
حياة البادية
في نجد
تاليف
عواض بن ضيف الله العتيبي

حياة البادية

في نجد

تأليف :

عواض بن ضيف الله العتيبي

الطبعة الأولى
١٩٩٩

تمهيد

المجتمعات العربيــة بحاجـة إلى مزيـد مـن الدراسـات الاجتماعيـة، الـتي تـبرز أهـم العوامل المؤثرة في نموها، وتغير أحوالها عبر تأريخها الطويل، لتستفيد من هذه الدراسات في بناء مستقبلها، حتى لاتتكرر التجارب المريـرة الـتي عـانت منهـا في تأريخهـا السـابق، أو الحديـث، فقد جربـت بعـض المجتمعـات العربيـة في العصـر الحديـث أنظمـة سياســية، واقتصادية، واجتماعية، كانت سبباً في أزمات كبيرة بين هذه المجتمعات، فتفرقت الكلمة، وضعفت الأمة أمام أعدائها سياســياً، واقتصاديـاً، وعلميـاً، ولم تنـل مـن التقـدم الحضـاري ماكانت تأمله، وتطمح إليه على مدى قرن تقريباً، على حين سـبقتها أمـم في الشـرق، أو في الغرب كانت أكثر منها تخلفاً، فتبوّأت مكانة بارزة في مدة قصيرة.

والمجتمعـات العربيـة شـهدت تغيرات كبـيرة، ونـالت حظـاً مـن التعليـم في العصـر الحديث، لكن كثيراً من طاقتها مازالت تذهب هدراً لتفرقها، وتمزقها لأن كثيراً من الأنظمة التي فرضت عليها كانت بعيدة عن مبادئها الإسلامية الخالدة، ورسالتها الـتي كلفـت بهـا من لدن الحكيم الخبير، فزادت عوامل الفرقة فيما بينها.

وإذا كان الله تعالى قد اقتضت حكمته أن ينبثـق نـور الإسـلام مـن جزيـرة العـرب في أيامه الأولى، فإن هذه البقعة المباركة قد شهدت في العصر الحديـث تجربـة ناجحـة في بنـاء المجتمعات المتحضرة، عندما استبانت السبل بعد دعوة الشيخ بـن عبـد الوهـاب، فـاهتدت القيادة إلى عوامل النجاح، ثم بنت البنيان على أسس قويمة، جمعت المتفرقين، وآخت بـين المتحاربين، فانضووا تحت لواء الحق مقتنعين، لامكرهين. وليس هذا الكتاب بحثـاً في تلـك التجربة، أو دراسة لمرحلة معينة من تـأريخ نجـد، ولكنـه قـد يكـون بمـا فيـه مـن أخبـار، وحوادث مادة للدراسة الاجتماعية.

والمجتمعات العربية يغلب عليها الطابع القبلي، وخاصة في شبه الجزيرة العربية، وبعض دول المغرب العربي.

فالمجتمع النجدي مجتمع قبلي بدوي في الغالب، لم يفارق حياة القبيلة، والبادية منذ العصر الجاهلي، وحتى العصر الحديث الذي تغير فيه كل شئ، فالقبيلة بما تعيشه من استقلال ذات سلطة على أفرادها بما تتمسك به من عادات،وتقاليد تتمسك بها إلى أبعد حد، يقول شاعر من عتيبة قد ملَّ هذه التقاليد:

من نشدني قلت مانيب بدعجاني   مَن يمش الوسم عن خد المطية

ليت أبويه من صليب أهل الهواني   حتى لا أشره ولا يُشره عليه

فهو يتمنى الخروج عن سلطة التقاليد ولو إلى حين.

وهذه التقاليد المرجع فيها إلى زعيم القبيلة، أو الوجهاء، ولايسع الفرد داخل القبيلة إلا الالتزام بها، وهذا الاستقلال أعني استقلال القبيلة، وإن كان فيه شئ من الحرية التي تعشقها النفس، وترتاح لها، كان سبباً في الفوضى الأمنية، فكثر السلب، والنهب بين القبائل، وكل ما كان من خارج القبيلة من مال أو أرض أو مورد ماء، يجوز في عرف القبيلة الأخرى الاعتداء عليه، ويعد غنيمة مباحة، بل نعمة يشكر الله عليها! ولو أخذت بسفك دم صاحبها، وقتله! مع أن الجميع يدينون بدين الإسلام، لكن شعب الإيمان اختفت عندما تراكم الضلال، والجهل عبر السنين، فلم يبقَ منها إلا القشور.

وهذه العادات الجاهلية ظهرت بين القبائل في غياب الدولة والسلطة، فلم يكن في نجد دولة، ولاسلطة عدة قرون، غير إمارات صغيرة لاتتجاوز سلطتها أسوار بنيانها. بل إن هذه الإمارات كانت تمارس ما يمارسه أبناء القبائل إذا سنحت لها الفرصة.

على هذه الحالة عاش المجتمع النجدي عدة قرون حتى قيل: ((أن نجداً خرجت من تاريخ الإنسانية عشرة قرون! وهي الأرض التي قيل فيها أكثر شعر العرب، حتى أصبحت الأحجار، ومواضع الخيام مشهورة، وهي أيضاً مهد الدم العربي الأصيل الذي مازال يتدفق في شرايين الأمة الإسلامية)) (١).

ولعل المجتمع النجدي أكثر المجتمعات العربية تغيراً في العصر الحديث، بل لعله أكثرها نجاحاً في تجربته الحضارية الحديثة، عندما أقبل على مناهل العلم في كل مكان، ثم بنى المصانع، واقتنى الآلات العصرية، وشارك العالم في حضارته الحديث في كل جوانبها، وعبّد الطرق، وقاد الطائرات، والسفن، وزرع الأرض القاحلة. ويعود هذا النجاح إلى:

أولاً: فضل رب العالمين الذي أيقظ من بينهم مجدداً دينياً هو ابن عبد الوهاب، فصحح المفاهيم المعوجة، فتغير ما بالنفوس، فرحمة الله عليه، وعلى الرجال الذي جاهدوا مع، وبعده، فقد مهدوا الطريق إلى التحضر، والاستقرار لهذا الجيل، وأسسوا دولة مباركة على أسس قوية تقوم على المبادئ الإسلامية العظيمة، فجمعت الشمل، وأقامت العدل، وأمنت الخائف.

ثانياً: ماأخرجه الله من كنوز من بطن هذه الصحارى القاحلة، جعلت الكثيرين يغبطونهم أو يحسدونهم، فاستغنى أهلها، بعد أن عاشوا على الشظف عدة قرون. فلعل الله يرزقنا شكر نعمته، ونعوذ به من زوال النعمة: قال تعالى: ((وإذ تأذن ربكم لئن شكرتم لأزيدنكم)) (٢).

---

[١] - محمد جلال كشك: السعوديون، والحل الإسلامي ص ١٠٥

[٢] - آية ٧ من سورة إبراهيم.

العلاقة بين نجد والأقاليم المجاورة

انفصل نجد عن الخلافة العباسية عندما قامت الدولـة الأخيضريـة فيـه عـام ٢٥٣هـ واتخذت الخضرمة قـاعدة لهـا، وهـي تقـع في أسـفل وادي الخـرج قـامت علـى أنقاضهـا: اليمامة، والسلمية، والسيح. وحـوالى سـنة ٤٧٠هـ اسـتطاع العيونيـون بمسـاعدة الخليفـة العباسي القائم والسلطان السلجوقي ملك شـاه القضـاء علـى القرامطـة في البحريـن (السـاحل الغربي للخليج العربي)، وتأسيس الدولة العيونية في الأحساء فاختفت الدولة الأخيضريـة في نجد تبعاً لذلك لأنها تتبع القرامطة، وتشاركهم في المذهب. فتفككت وحـدة نجـد السياسـية [1]، وتـرك أمـره إبـان الحكـم العثمـاني إلى الولايـات المجـاورة لـه، فمـرة يتدخـل والي الحجاز، ومرة يتدخل والي الأحسـاء، حسـب مصـالحهم الشـخصية، وحـاجتهم إلى فـرض الضرائب، تحت ذرائع فرض الأ من وحماية الحجاج! فإن شاء أحدهم تدخل دون أن يـلزم نفسه بأي شئ لهذا الإقليم، وإن شاء امتنع عن التدخـل غـير معـاتب. وكـان اتصـال نجـد بإقليم الحجاز، وإقليم الأحساء قوياً، ويكاد يكون اتصاله منحصراً بهما، أما اتصاله بالشام، واتصاله باليمن فضعيف. وإن وُجِد اتصال بهما فهو اتصال غير مباشر. يمر عبر الأقليمـين ــ الحجاز والأحساء ـ لهذا يجـدر بنـا أن نـأخذ لمحـة موجـزة عـن تـأريخ الحجـاز، وتـأريخ الأحساء، وطبيعة العلاقة بينهما وبين نجد.

فالحجاز أهم أقاليم الجزيرة العربية، منـذ بـزغ فجـر الإسـلام فيهـا لاحتوائـه علـى المقدسات الإسلامية ــ وسيبقى كذلك مـابقي الإسـلام ــ قدكـان يرتبـط بالخلافـة العباسـية ارتباطاً اسمياً كغيره من أقاليم الدولـة عندمـا ضعفت الخلافـة بعـد منتصـف القـرن الثـالث الهجري، ولم يتغير الحال كثيراً في عهد المماليك، والعثمانيين، فاستقلت بحكمه عـدة أسـر

---

[1] ـ د / عبد الله الشبل: تحقيق تأريخ الفاخري.

بدءاً من أسرة بني الأُخيضر٢٥١ - ٣٥٠. ثم أسرة بني موسى٣٥٠ ـ ٤٦٠ ، ثم أسرة بني فلِتة الهواشم٤٦٠ - ٥٩٨ ثم حكمته أسرة الأشراف المنتسبة إلى الخليفة الراشد علي بن أبي طالب رضي الله عنه، من ٥٩٨ ـ ١٣٤٣ هـ عندما دخل الحجاز في حكم الدولة السعودية (١). وقد دخل الحجاز في حكم العثمانيين سلمياً، عام ٩٢٣ هـ عام ١٥١٧ م، عندما أرسل شريف مكة مفاتيح الكعبة إلى السلطان العثماني، فأقر الأشراف في حكمهم للحجاز، وعُينَ والٍ عثماني في جدة، وأصبح القضاة، وأئمة الحرم يعينون من الخليفة مباشرة، و أسرة الأشراف فرعان: آل حَسَن (الحَسَنيون)، حكام مكة وماجاورها، وآل حُسَين (الحُسينيون) حكام المدينة المنورة، ولم يكن لهم قانون في تولي الإمارة، مما سبب نزاعا شبه مستمر على تولي السلطة، وكان الخلفاء مع الذي يحكم، يؤيدونه، ثم إذا انتصر خصمه، أرسلوا إليه ماكان يرسل لسلفه من الهدايا ! لذلك كثرت الصراعات بينهم على السلطة، وبينهم وبين أبناء عمهم الحُسَينيين حُكّام المدينة، حتى آل الحكم في المدينتين إلى آل حَسَن في القرن الحادي عشر الهجري، ورحل أشراف المدينة إلى البادية، وصاروا بدواً رُحّلاً يقيمون ويظعنون وراء مساقط الغيث (٢).

أمّا الأحساء، فهو إقليم واسع كان يشمل مسماه المنطقة الشرقية من المملكة العربية السعودية الآن، وربما امتدّ مسماه إلى قرب البصرة شمالاً، وإلى قرب عمان جنوباً، وقد انتزع الجبور من بني خالد ـ القبيلة النجدية المعروفه ـ حكمه من بقايا القرامطة في القرن التاسع

١ـ أمين مدني: التاريخ العربي وجغرافيته ١٥٢ـ ١٦٣

٢ـ عايض الردادي: الشعر الحجازي في القرن الحادي عشر ١/ ٨١

الهجري (١)، واستمرّ حكمهم له حتى سنة ٩٢٧ هـ ١٥٢١م، عندما احتل البرتغاليون البحرين ، وقتلوا السلطان مقرن بن زامل الجبري حاكم البحرين، وخضعت، المنطقة لحكم الولاة العثمانيين الذين دخلوها في نفس السنة، لمقاومة البرتغاليين، وبرزت إلى جانبهم بعض القوى المحلية على حساب النفوذ الخالدي، فاستقل اليعاربة بحكم عمان بزعامة السلطان ناصر بن مرشد اليعربي، ودخل إلى المنطقة زعماء المنتفق آل مغامس ـ حكام البصرة آن ذاك ـ بعد أن طلب بعض زعماء الجبور مساندتهم، فاستغلوا الفراغ السياسي الذي خلفه قتل السلطان مقرن الجبري، وضعف الذين تولوا السلطة بعده، فبسط الشيخ راشد بن مغامس سلطانه عليها، ولقب نفسه بسلطان البصرة والحساء والقطيف، سنة ٩٣١ هـ ١٥٢٥ م، لكن سلطته لم تستمر فقد عين العثمانيون حكاماً من قبلهم، وزادوا من سيطرتهم على المنطقة بعد استيلائهم على بغداد، والبصرة سنة ٩٥٢ هـ ١٥٤٦ م، وقد استبد حكام هذا الإقليم العثمانيون بالسلطة، وفرضوا ضرائب باهضة على السكان، كانت سبباً في تذمرهم وقامت عدة ثورات، كان بنو خالد وراءها، فقد كانوا أصحاب السيادة الحقيقية في المنطقة حتى استولوا على السلطة في هذا الإقليم سنة ١٠٧٤ هـ ١٦٦٤ م بزعامة آل حميد الخالديين (٢)، فتولّى براك بن غرير بن عثمان بن سعود بن ربيعة آل حميد الحكم، فزحف المنتفق من العراق إلى الأحساء بزعامة راشد بن مغامس آل شبيب، يريدون انتزاعه من بني خالد فدارت بين الجانبين معركة حاسمة، قضت على آمال المنتفق في المنطقة،

---

[1] ـ د / عبد الله الشبل: تحقيق تأريخ الفاخري(الأخبار النجدية) من مطبوعات جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ص ١١ـ ١٣

[2] ـ عبد الكريم الوهب: بنو خالد وعلاقتهم بنجد.

وانتهت بهزيمتهم، وقتل زعيمهم الشيخ راشد، وأصبحت الأحساء تحت حكم الشيخ برا[illegible]
بن غرير، وخلفه بعده عدة أمراء منهم:

محمد بن غرير تولّى السلطة بعد وفاة أخيه ١٠٩٣-١١٠٣هـ -١٦٨٢-١٦٩٢م

سعدون بن محمد بن غرير ١١٠٣- ١١٣٥هـ ١٦٩٢- ١٧٢٣م

علي بن محمد بن غريـــر ١١٣٥ - ١١٤٢هـ ١٧٢٣ - ١٧٣٠م

سليمان بن محمد بن غرير ١١٤٢- ١١٦٦هـ ١٧٣٠- ١٧٥٣م

عريعر بن دجين بن سعدون ١١٦٦ - ١١٨٨ هـ ١٧٥٣ - ١٧٧٤م

وبعد عريعر تولى السلطة ثلاثة من أبنائه فدبّ الخلاف بينهم وقتل بعضهم بعضاً، ثم تولّى بعدهم عدة أمراء من بني خالد. حتى انتهى دور الزعامة الخالدية على يد قوات الدعوة الاصلاحية، بعد معركة (الشيط) سنة ١٢٠٧هـــ ١٧٩٣م [1]. وفي العهد الخالدي أُنشئت مدينة الكويت، وكانت عبارة عن حصن، ومركز تموين للجيش الخالدي، ثم نزلت بالقرب من الحصن بعض الأسر منها أسرة آل الصباح، فتحول الحصن إلى مدينة، ثم إلى دولة .

أمّا علاقة نجد بإقليمي الحجاز، والأحساء، فقد كان يسودها التوتر، ويغلب عليها طابع الحرب، حتى كادت تختفي معها المصالح الأخرى بل إن المصالح الاقتصادية كانت تقف وراء تلك الغزوات الحربية لإقليم نجد، وخاصة بعد دخول العثمانيين إلى المنطقة، في القرن العاشر الهجري، وقد استمرت هذه الحالة حتى انتهاء حكم بني خالد للأحساء سنة ١٢٠٨هـ وانتهاء حكم الأشراف في الحجاز سنة ١٣٤٣هـ فقرى نجد، وقبائلها التي كانت تعيش حياة مستقلة عن الأقاليم المجاورة، بل كل قرية، أو قبيلة تعيش

[1] - عبد الكريم الوهبي: بنو خالد وعلاقتهم بنجد ص ٣٢٧

حياة مستقلة، عمّا جاورها من القرى والقبائل ـ كانت هدفاً للحملات العسكرية، القادمة من الشرق، أو الغرب، وكانت حملات الأشراف أكثرها ضد القرى النجدية، أمّا القبائل فكانت الهدف الأول لبني خالد القادمين من الشـرق. ولنأخذ أمثلة مما قاله المؤرخون عن هذه الحملات، من كتاب (سمط النجوم العوالي) للعصامي مؤرخ الأشراف ، ومن كتاب (عنوان المجد) لابن بشر المؤرخ النجدي وكتاب (بنو خالد وعلاقتهم بنجد) لعبد الكريم الوهبي:

في سنة ٩٨٦هـ قام الشريف حسن بن أبي نُمَي بحملة على نجد، قوامها خمسون ألفاً من الجند، فوصل إلى قرية (معكال) قرب الرياض، فحاصرها حتى استسلمت، فهدّم وقتل بعض أهلها، وأسر كثيراً منهم، ثم عاد بهم إلى مكة، وأودعهم السجن، ثم أطلقهم بعد سنة، بعد أن تعهدوا له بدفع مايرضيه من الضرائب. وبعدها بثلاث سنوات، أي سنة ٩٨٩هـ قام بحملة أخرى، فاحتل البديع، والخرج، والسلمية، واليمامة، وعيّن فيها رؤساء من قبله وفرض عليها ضرائب باهضة. وفي سنة ١٠١٥هـ قام الشريف محسن بن حسين بن حسن بحملة احتلت(القصب) وهدّمت حصونه، وصادرت أموال أهله. وفي سنة ١٠٥٧هـ قام الشريف زيد بن محسن أمير مكة بحملة ضد قرى سدير فاحتل (الروضة)، وقتل رئيسها محمد بن ماضي، وأجلا بعض أهلها، وولّى فيها الشاعر رميزان بن غنام، حتى قُتِلَ هو بدوره سنة ١٠٧٩هـ بعد أن انشغل عن نصرته الأشراف بنزاعهم على السلطة. وفي سنة ١٠٦٤هـ قام الشريف محمد الحارث بحملة على آل مغيرة[1] وتقابل الطرفان في روضة عقرباء قرب الجبيلة. وفي سنة ١٠٦٩هـ قام الشريف زيد بن محسن بحملة على قرى سدير فاحتل التويم، ثم رحل عنها بعد أن استجيبت مطالبه.أمّا الحملات الحجازية على القبائل النجدية فقد كانت أقل كما أسلفنا، ومنها: حملة الشريف حسن بن أبي نمي بن

---

[1] ـ آل مغيرة: أحد فروع قبيلة بني لام.

بركات على شمر وعنزة ، والظفير سنة ٩٦٣هـ وقد أسر بعض زعماء هـذه القبائل، وكان سببها أن شريف المدينة مانع الحسيني قطع مرتبات كـانت تصرف لبعض زعماء القبائل استخفافاً بهم، مما حملهم على الاعتداء على حـاج المدينـة في وادي (الفُرَيـش). وفي سنة ١٠٨٨ هـ غزا الشريف محمد الحارث الفضول (١)، وقتل زعيمهم غـانم بـن جاسر. وكثيراً ماكانت القبائل المستوطنة على الحدود بين الدول المتنافسة تقع بين نارين، وتدخل الحرب مكرهة، حيث لاناقة لها فيها ولاجمل! لذلك كانت قبائل الحجـاز تشكل العمود الفقري لجيش الأشراف، لقرب بلادهم من مركز الحكم الشريفي، وقد استمرت هذه الحالة حتى أفل نجم حكمهم في الحجاز. أما القبائل التي تسكن أطراف الحجاز الشرقية، وأطراف نجد الغربية كالشلاوى، والبقوم، وسبيع ، وعاليـة عتيبـة ، فكـانت مواقفهـا متغيرة باستمرار، بحكم موقعهم بـين الإقليمـين الحجـازي، والنجـدي. فعجـير بـن مهـرس الفـارس المشهور صاحب البندقية المعروفة (حشراء) من قبيلة الشلاوى هو أحد رجال الشريف المخلصين، وقد قُتل في غزوة للشريف عبد الله بن الحسين على السقايين من بني عبد الله مـن مطير على نفي. قال ابن بليهد: ((حدثني رجل من أهل نفـي قـال: رأيـتُ عجـير بـن مهـرس، وهو مقتول والشريف عند رأسه في ظل قصر نفي، وبيده منديل أخضر، وهو يبكي عنده، ويمسح الدمع بالمنديل، ويقول: يا مال الجنة يا عجير، وعزم على الرحيـل، وقـال: يـا أهـل نفي اقبروا عجيراً وغوّطوا قبره حتى تأكله السـباع)).وهـو الـذي يقـول فيـه دليـم الطر المرشدي العتيبي:

يا أهل النضا ريضوا عسى فالكم خير لين إني أخذ مزة وتعميره(٢)

---

١ ـ الفضول: أحد فروع قبيلة بني لام أيضاً.

٢ ـ عادة التدخين من العادات السيئة، وهي ليست منتشرة في نجد وأصحابها قلة.

إنكانكـم يـم الشـلاوى معـاييـر تحملوا لِلبرّ شـرّه و خيـره

أخاف من حشرا مع الصبح وعجيــر هذيك مذبوحة وهذي عقيره

إن كـان عارضكم صبي المخاسـير ضاقت بكم ريعان كل الجزيره[1]

ويقول دليم الطر أيضاً في غارة عليهم لمقبول بن هريس الشلوي:

يم أبرق الجلبة جَرَى لي عشية لا وهني اللي عن أسبابها غاب

جانا مع ابن هريس قوم روية جونا وجيناهم نرمي بالأسلاب

ياليتني يوم الدخـن قاد فيه وإليامعي مسلوبة كنها الدّاب

مهيب جبعا عقيرةٍ في يدي وأرمي بها رمياً كثيراًولاصاب[2]

أمّا بنو خالد فأكثرهم من أهل نجد، وزعـامتهم في القرن التاسـع الهجـري الخـامس عشر الميلادي كانت في الجبور، الذيـن حكمـوا إمـارات السـاحل الغربـي للخليـج العربـي، والأحساء حتى قتل البرتغاليون زعيمهم، السلطان مقرن بن زامل الجبري في البحرين، كمـا سبق، فانتقلت الزعامة الخالدية إلى آل حميد الذين استولوا على إقليـم الأحسـاء فيمـا بـين ١٠٧٤ و ١٢٠٨هـ . ولم تختلف علاقة نجد كثيراً ببني خالد في عهد الزعامتين الخـالديتين عنها مع الأشراف، فالسلطان أجود بن زامل الجبري وجه عدة حملات على نجد، ولقـب نفسه بسلطان نجد [3]، وهو الممدوح بالقصيدة التي منها: [4]

ونجد رعا ربعي زاهي فلاتها على الرغم من سادات لام وخالد

---

[1] ـ محمد بن بليهد: صحيح الأخبار٤ /٢٨٣

[2] ـ عبد الله بن بليهد: صحيح الأخبار ٢/ ١٥٨

[3] ـ عبد الكريم الوهبي: بنو خالد وعلاقتهم بنجد ص ١٩١

[4] ـ القصيدة تنسب إلى شاعر اسمه جعيثن اليزيدي.

ثم توالت هجمات الخالديين في عهد آل حميد، وخاصة في عهد براك مؤسس زعامة آل حميد وفي عهد سعدون العهد الذهبي لزعامة آل حميد. وكان الظفير من أكبر قبائل نجد في تلك الفترة، قبل رحيلهم إلى الشمال الشرقي للجزيـرة العربية ـ وقد دارت بينهم وبين الأشراف عدة معارك، وبينهم وبين بني خالد كذلك، ففي سـنة ١٠٧٩هـ تقابل آل عبد الله الأشراف والظفير في معركة انهزم فيها الأشراف، وفي سنة ١٠٨٦هـ وقعت معركة بين بني خالد والظفير، أسرفيها سلامة بن مرشد بن صويط، بعد أن طرحه عن فرسه براك زعيم بني خالد، فأسره، وسجنه حتى استجاب لمطالبه، ثم أطلقه، ثم اعتقله الشريف عبد العزيز سنة ١١٠٨هـ ثم أطلقه، وكان الشريف عبدالعزيز قد عُيِنَ على نجد من قبـل الأشراف في هذه السنة، وفي سنة ١٠٨٨هـ غزا الأشراف الظفير عند الضلفعة، فتصالحوا على أن يأخذ الأشراف بعض إبل الظفير، وأن يبتعد الظفير عن جبل سلمى، وفي سنة١١١٢هـ ١٧٠٠م قاد سعدون آل غرير تحالفاً مكوناً من بني خالد، والفضول، وبعض قبائل الحجاز ليغـيروا على الظفير القبيلة القوية عند البتراء، أو السليع، لكن الظفير هزموا هـذا التحـالف، فأعـاد هذا التحالف الهجوم مرة ثانية فانهزم، ثم أعاد الهجوم، فـانهزم الظفـير في المـرة الثالثـة، وفي سنة ١١٢١هـ يتجدد الصراع فيغزوهم سعدون آل غرير ببني خالد، ومن معهم عند الساقة في (الحِجَرَة)، ثم السنة التي بعدها يعسكر الطرفان علـى أوضاخ ونفـي في وسـط نجـد، وتدور بينهم عدة معارك لم ينتصر فيها أيّ طرف. ويبدوأن هـذه القبيلـة قـد أزعجـت الجـانبين - الحجازي، والخالدي ـ وعجزوا عن هزيمتها، في عدة مواجهات بينها، وبينهم، وقد يكون بين هذه المواجهات فترات هدنة، ففي سنة ١٠٩٦هـ أعلن شيخ الظفير سـلامة بـن سويط دخوله في طاعة الأشراف، فيعفو عنه الشريف أحمد بن زيد، لكن ابـن سـويط يخرج على طاعة الأشراف متى أراد، ففي سنة ١١١٨هـ هجم على معسكر الشـريف عبـد العزيـز الذي

لقب بشريف نجد، فأخذ جميع ما في المعسكر، فعمل الطرفان ـ الحجازي والخالدي ـ على تكوين تحالف من قواتهم، والقبائل الموالية لهم كقبيلة عـنزة، وقبيلـة عـدوان، ضـد قبيلـة الظفير ، فهجمت جموعهم علـى الظفير وزعيمهـم صقـر بـن حـلاف مـن آل السـعيد عنـد الساقي في الخرج سنة ١١٤٩هـ ١٧٢٨م واسـتمرت المعركـة شـهراً كـاملاً دون أن ينهـزم أحد الطرفين، حتى وصلت جموع من الأحساء والقطيف لمساندة بني خالد والأشراف، ومـن معهم من القبائل، فانهزم الظفير في النهاية. وقد أضعفت هـذه الحمـلات العسـكرية قبيلـة الظفير، مماجعلهم ينهزمون في معارك أصغر من التي كانوا ينتصرون فيهـا مـن قبـل. ففـي سنة ١١٦٦ هـ ١٧٥٣م أو التي بعدها كما يقول ابن بشـر انهـزم الظفـير أمـام بـني خـالد بقيادة عبد الله بن تركي آل حميد في معركةالسبلة قرب الزلفي في نجد. ويبدو أنهم أخـذوا في النزوح إلى الشمال الشرقي، بسبب هذه المعارك، وماتلاهـا مـن مواجهـات بينهـم، وبـين قوات الدرعية، فقد قاوموا الدعوة الاصلاحية، مما عجّل بنزوحهم عـن نجـد، فقلّ ذكرهـم فيها، بل يرد ذكرهم خارج منطقة نجد، فابن بشر يذكر أنه في سنة ١١٩٤هـ أغارت قبيلة سبيع النجدية على الظفير وهم على ماء سفوان قرب البصرة فأخذوا منهم نحـو أربعـة آلاف بعير. ولم تكن حملات الخالديين ضد قبيلة الظفير وحدهم، ففي صيف سـنة ١٠٩هـ: أغـار براك بن غرير ببني خالد على السهول، وهم على ماء رماح ففاجأهم، وانهزموا فاستولى على مواشيهم، ثم اتجه إلى قبيلة قحطان، وهم على الرميلة بالقرب من القويعية، ويبدو أنهم قـد استعدوا له فانسحبوا إلى شعيب الخنقة الحصين، ليتمكنوا من الدفـاع، فوقـع بينهـم وبينـه قتال شديد قُتِلَ فيه كثير من الطرفين، منهم مناور بن صبيح من أكبر فرسان بـني خـالد، ومسافر بن علوش من أكبر فرسان قحطان. ثم تولّى الزعامة الخالدية محمد بـن غريـر، بعـد وفاة أخيه براك، فوجه هجماته ضـد القـرى النجديـة، ففـزا اليمامـة سـنة ١٠٩٣هـ ، ثـم

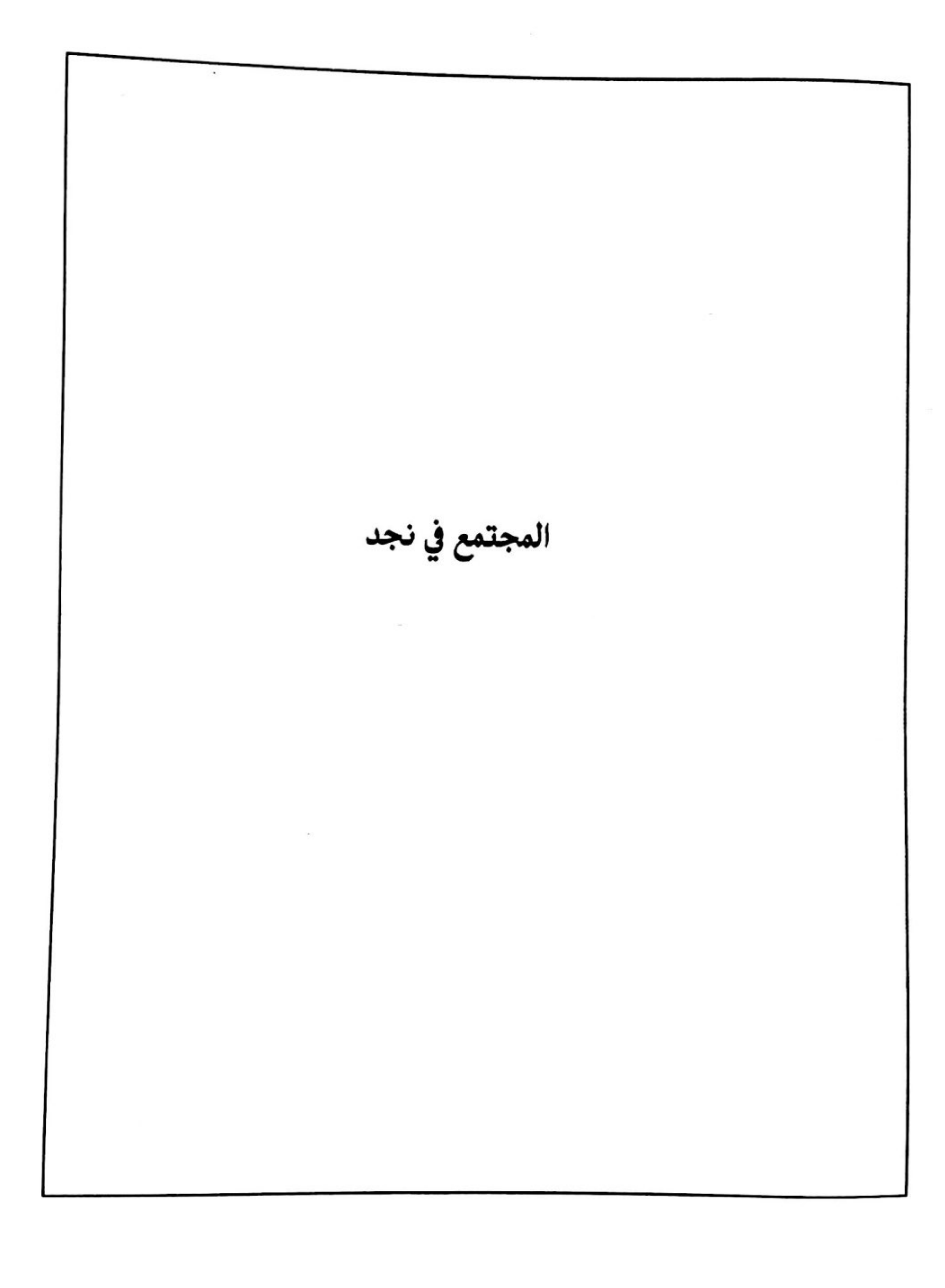
الخرج سنة ١٠٩٦هـ فاضطر زعماؤها آل عثمان إلى مصالحته بدفع ضرائب معينة، في نفس السنة توجه إلى قرى سدير فحاصر آل غزي من الفضول وعلى رأسهم شيخ الفضول ابن جاسر، ثم انتهى الحصار بالصلح. وفي عهد الزعيم الجديد ـ سعدون بن محمد آل غرير ـ استمرت الحملات على قرى، وقبائل نجد فغزو زعب القبيلة النجدية في تلك الفترة، واستولى على ماشيتهم سنة ١١٠٣هـ ١٦٩٢م، ثم غزا شمّر عند (راك) سنة ١١١٨هـ ١٧٠٦م، وفي سنة ١١٢٦هـ غزا اليمامة، ومعه ابن معمّر أمير العيينة أقوى قرى نجد في تلك الفترة، فاضطر البجادي أمير اليمامة إلى الصلح على شروطهم. ولم تكن القبائل في موقع الدفاع دائماً، فقد تهاجم إذا سنحت لها الفرصة، ففي سنة١٠٩٦هـ تعرّضتْ سرية من بني خالد بقيادة ثنيان بن برّاك لهجوم من قبل الظفير، فاستولوا على ما مع السرية. وفي سنة ١١٣٣هـ ١٧٢٠م هاجمت مطير قوات سعدون آل غرير ليلاً فكبدوها بعض الخسائر. وفي سنة ١١٤٢هـ هجمت مطير أيضاً على حجاج الأحساء عند (الحنو) بقيادة بني خالد، فتعرضت القافلة إلى خسائر كبيرة، مع أنها كانت تحميها قوة مسلحة من بني خالد. هذه الوقائع ذكرتها أمثلة، ولم استقص كل الحوادث وكان الدافع لهذه الحملات:

أولاً: ممارسة فن الحرب، الذي كان العرب قد تعودوا، ممارسته في ميدانه الصحيح قبل ذلك في أيام الفتوحات الإسلامية جهاداً في سبيل ا لله، لرفع راية الدين، ونصرة الحق، لكن هذا المبدأ انحرف في النفوس، وغابت الأهداف النبيلة، ولم يبقَ إلا الكر، والفر لذاته، أو لكسب مغنمٍ لايفرق بين قريب أو بعيد.

ثانياً: أخذ الغنائم، وفرض الضرائب على القرى وحاجة الجانبين الحجازي، والخالدي للمحاصيل الزراعية النجدية على الرغم من قلتها ـ كانت من أولويات هذه الحملات. أمّا الهدف المعلن فهو حماية الحاج، وتأمين الطرق، وتأديب الخارجين على

العدالة! وصحيح أن طرق الحاج لم تكن كلها آمنة، وكان بعض الشواذ يقومون بالاعتداء، والسلب والنهب، وهذا حاصل في كل الأقاليم تقريباً، حتى في مكة عندما يتنازع الأشراف، ويضطرب الأمن، وليس خاصاً بنجد، ولا مقتصراً على القبائل النجدية. ولم تنجح هذه الحملات في تحقيق أهدافها المعلنة أو غير المعلنة، على الرغم من التدمير، والقتل، ومصادرة الأموال، بل ازداد التوتر في المنطقة، وساءت العلاقة بين نجد وجيرانه خاصة الحجاز، وأصبح الحاج النجدي غير آمن، فالأشراف يعتقلونهم في الحج أحياناً كما فعل الشريف مسعود بن سعيد سنة ١١٦٢هـ أو في السنة التي قبلها كما يقول ابن بشر، فقد حَبَسَ حجاج نجد، ومات أكثرهم في السجن، وذكر المنقور في تأريخه أن الشريف سعد ـ شريف مكة ـ اعتقل حوالى مائة شيخ من شيوخ قبيلة عنزة (١)، لكن هذا الخبر يبدو أنه مبالغ فيه. أمّا العلاقة بين الحجاز والأحساء ـ الأشراف وبني خالد ـ فلم تشهد أي مواجهة بينهما مع أنهما يتعاقبان على المنطقة، بل أحياناً يغزوانها في وقت واحد، وقد يشتركان في خوض معركة ضد قبيلة معادية لهما، كما فعلا في الخرج ضد الظفير، مما يدل على اتفاقهما في الأهداف، التي لاتعدو ـ على مايبدو ـ جمع الغنائم، وفرض الضرائب، ولو كان أحدهما يرغب في بسط سيادته الفعلية على نجد، لحصل بينهما نزاع، ولنشبت بينهما الحرب.

[1] ـ نقلاً عن عبد الكريم الوهبي: بنو خالد وعلاقتهم بنجد ٢١٠



المجتمع في نجد

المجتمع في نجد

المجتمع العربي في نجد مجتمع قبلي في الغالب، قبل العصر الحديث، فأكثره بدو رحل إلا القليل كأهل القرى الذين يعملون بالفلاحة، ويسكنون بيوت الطين، وهم، وإن حلت رابطة القرية عندهم محل رابطة القبيلة لايختلفون في حياتهم كثيراً عن حياة البادية، بل إن العادات تكاد تكون متطابقة وصلتهم بالبادية قوية، فهم يشاركونهم في رعي الأغنام، والإبل حول قراهم. والعادات والتقاليد، مستمدة من مبادئ الإسلام الخالدة، ولكن اعتراها شئ من البدع في ظلام الجهل، وانعدام الأمن. وللبيئة وطبيعة الصحراء دور كبير. فحياة البادية لاتعرف الاستقرار، والراحة ولاتعرف الترف والنعيم، ومازالت كذلك في نجد منذ العصر الجاهلي حتى العصر الحديث، الذي تغيّر فيه كل شئ، وكان أشدُّ ما يحرص عليه البدوي حريته وكرامته، فعاش في صحرائه عزيزاً أبياً، متمسكاً بتقاليد القبيلة وعاداتها إلى أبعد حد، على مافيها من شدة وقسوة. وكان نجد وسط الجزيرة العربية ــ قليل الموارد الطبيعية، قليل المياه لاتفي مياهه بمتطلبات زراعة، أو صناعة، قبل أن تكتشف وسائل استخراج المياه الحديثة، ومناخه قاريّ، شديد الحرارة صيفاً شديد البرودة شتاءً. وكان الطابع البدوي بكل سماته هو الطابع الغالب على حياة أهل نجد فيما قبل العصر الحديث، فقد استمروا على هذه الحالة منذ العصر الجاهلي، مرورا بالعصر الإسلامي، والعصر العباسي، وما بعده، إلى أن وصلوا إلى عصر الكهرباء، و السيارات، والطائرات، والآلات، و عصر الاتصالات التي جعلت العالم قرية واحدة ! فحياة التنقل، والترحال، وشظف العيش، وقسوة طبيعة الصحراء بحرها، وبردها، وسنيها المجدبة، وأيامها المعشبة، وشمسها المحرقة، وسمائها الصافية، ونجومها المتلألئة، كل هذا قد طبع حياة المجتمع النجدي بطابعه. فأنشأه على الصبر، وقوة التحمل، والقناعة بالقليل، والتضحية بالجزيل

فعاش قوياً حراً أبياً، فإن أقام استظل بخيمته في أي مكان يستقر به، حول مورد، أو روض معشب وإن رحل طواها، وحملهـا إلى مكـان آخـر، فتنقضـي أيـام حياتـه وهـو يتنقل بين الأودية، والشعاب، والرياض، والفياض فإذا جادها الغيث طرب، فتغنى بأزمارها وغدرانها و جاوب أطيارها، حتى إذا جفّ غديرها، ويبس عودها، ولفحته سمومها، رحـل عنهـا إلى منهل يطفئ ظمأه، وعاد غناؤه حنينـاً إلى الأمـاكن السـابقة، واستسـقى الله لهـا، وهـو إذ يكتفي بظل خيمته، أوظل عباءته على عصاه المركوزة، ويكتفي بلقيمات من الزاد في اليوم أو في عدة أيام، ويقطع المسافات الشاسعة ماشياً، أو راكبـاً راحلتـه ـ قـد لايـرى أن في الدنيا أحسن حالاً منه، وربما يكون مصيباً إذا كانت السعادة شعوراً بالاطمئنان، ورضًى بالمقسوم، أمّا إن كانت غير ذلك فما أبعدها عنه !

وإذا كانت الجزيزة العربية قد ربّتْ ابنها علـى الشـدة، والقـوة، والحريـة فإنّـه قد فرض سيادته عليها فاخترق صحاريها، واجتاز رمالها، وجبالها غاديـاً، أو رائحـاً، شمالاً وجنوباً أو شرقاً وغرباً، منتجعاً الغيث أينما وجد، ولسان حاله يردد قول عنترة بن شداد

كم ليلةٍ سرتُ في البيداء منفـرداً   والليلُ للغربِ قد مالت كواكبُـهُ

سيفي أنيسي ورُمحي كلمانَهِمَتْ   أُسدُ الدِّحالِ إليها مال جانبُـهُ

ولم يبعد عن الحقيقة بونابرت، عندما وصف العرب قبل العصر الحديث فقـال:((إن ضراوتهم لايعادلها إلا انحطاط مستوى معيشـتهم، لأنهـم أبـداً معرضـون للرمـال السـاخنة، والشمس المحرقة، محرومون من الماء...، وكان هوءلاء الرجـال مـن سـلالة أسـلافهم الذين فتحوا نصف العالم قبل أحد عشر قرناً))(١). فهـذا الوصـف لايكـاد ينطبـق إلا علـى سكان نجد، وما شابههم من سكان الصحراء في المغرب العربي.

---

١ - محمد كشك: السعوديون والحل الإسلامي ١٢٦

فالماء قد يتقاسمونه بالميزان لندرته، وفي هذا يقول شليويح العطاوي العتيبي مفتخراً بالصبر وتحمل العطش:

أن قلت الوزنة خذوها المشافيح   أخلي الوزنة لربعي وأشومي

ومن أخبارهم التي تصور لنا صعوبة حياتهم: أن ذعار بن خشمان الوهبي الحربي غزا بقومه، فطالت بهم الأيام حتى قلّ ماؤهم، فتقاسموه بالميزان، فلمّا جاء دوره عرض نصيبه على رفاقه، فامتنعوا عنه حياءً، فأخذه، وأراقه مظهراً لهم التجلد والصبر، ومبيناً لهم أن مَن يغزو معه لابد له من تحمُّل هذه الشدة! ، وقد بالغوا في القصة حتى قيل: إنّ أحدهم سقط عن ذلوله، وهم يسيرون ليلاً، فلم يتحرك، وظنّوه قد مات، فلما جاءوا إليه وجدوه نائماً! فقال أحدهم:

ليت مجلي الثنايا شاف ساير   يوم دقّ القاع في غفوة منامه

مادرى أنه من ظهر وجناه عاير   دايخاً من عقب هوشه وانهزامه

فعل ربعيمرذية شيب الفطاير   في لهيب القيض في شده ولامه

عركة صارتْ لنا عند العشاير   يوم ثارالهيج غطانا كتامه

كلما ثار الندب شفت العشاير   لين ردينا الفزع يم الجهامه

ربعي اللي ما بهم منهو يخاير   كل شغمومٍ نفظ زهية احزامه[1]

ويقول ذعار بن مشاري بن ربيعان العتيبي يذكر قلة الطعام وصبرهم على الجوع:

ذا لي ثلاث سنين من ضيق في ضيق   وقتٍ هلالي والطعام معدومي

نمسي على الخمرة ونصبح على الريق   ونهوش دون وجيهنا بالعزومي

---

[1] ـ منديل الفهيد: من الآداب الشعبية في جزيرة العرب ٦/ ١٩٦ـ ١٩٧

وقد اشتد عليهم القحط واستمر عدة سنوات، كسنوات القحط التي يسمونها ملهام، وشيته، ومن أمثلة ذلك ماقاله الفاخري في أحداث سنة ١١٣٦هـ قال: ((عمّ الغلا من الشام إلى اليمن في البدو، والحضر، وماتت الأغنام، والرواحل، وغارت الأبهار، وجلا أكثر أهل سدير، ولم يبقَ في المطار إلا أربعة رجال، وجلا أكثر أهل نجد إلى الحسا، والبصرة، والعراق. وفي هذا القحط يقول أحد أدباء سدير:

غدا الناس أثلاث فثلث شريدة	يلاوي صليب البين عارٍ وجايعا
وثلث إلى بطن الثرى دفن ميت	وثلث إلى الأرياف جالياً وناجيعا))

وهم مع شدة زمانهم، وجدب أرضهم لايفضلون شيئاً عليها، وهي إذا جادها الغيث، وأعشبت فياضها، وشعابها، وغردت طيورها، وحان وقت الصيد، أمتعتهم أي متعة .يقول زيد بن غيام من الجبلان من مطير:

وا لله يا لولا زرفلة شقح الأقطاع	وأقول لا آخذ لي مع البدو قرطوع
لأسكن بقصر لا مروع ولا أرتاع	لا هالكٍ ظما ولا ميت جوع
مير أنالاشفت الحباري مع القاع	وا لله ما أغبط اللي يصوغ الذهب صوغ
يا زين هد الطير والنشر منداع	في ماقف المجذا شمالاً من الكوع
جبلان لاشافوا على الصلب لماع	ما يمرحون الليل من طيرة الشوع
تلقى لهم من عند أبا القد مرماع	ما عبّروا بعريفج الشق مقطوع[1]
في ماقع لقليقلانه تمرياع	والرمث ينبت في مثانيه طاووع
في ماقع لاجاه راع الغنم ضاع	تلقى الجوازي خنس فيه وارتوع

[1] - أبا القد ...

ويقول محمد بن سعد الحمقّي من المقطة من عتيبة، وهو من سكان مدينة الشعرا:

أحب نجداً وخاطري منه مشتـــان   مشـــفٍ على شوفة جباله وخـده
مشفٍ على شوفه و من فيه سكان   حضـــر وبـــدو نازلين بمهده
ما أقبل به التسرير لعلو طينان   وما حدته عروَى على المستجدة
زين التمشي فيه من عقب ودان   هوًى عـــذي ورقـــةٍ مجرهـدة

ولا تختلف أحوال المجتمع كثيراً في الجهات القريبة من نجد عن الحالة التي عليها أهل نجد، قال الفاخري في أحداث سنة ١١٣٧هـ: غلا الزاد في الحرمين حتى لايوجد ما يباع. وأكلت جيف الحمير، ومات أكثر حرب، وعرب القبلة، واشتد المحل، والقحط، والغلا إلى الغاية، ومات كثير من الناس.

على هذه الحال عاش ابن الصحراء في نجد، وما حولها قروناً على حين تغيرت أحوال مَن رحل من إخوانه إلى الشام، والعراق، ومصر، والغرب، والأندلس أيام المد الإسلامي المجيد، فنالوا من التحضر ما نالوا، حتى دارت الأيام دورتها، فإذا الأنظار تتجه إلى نجد مشدوهة بما تفجر فيه من خيرات، وظهور حضارة، ومدنية جديدة، فإذا ابن البادية يقود الطائرات والسفن، ويبني المصانع، ويستخرج المعادن، ويزرع الأرض الجرداء فتتحول بفضل الله حقولا خضراء، بعد أن مكنه الله من استخراج المياه البعيدة في الأعماق، ويعبد الطرق في الرمال، ويشق الأنفاق في الجبال، ويبني المدن الحديثة، ويشارك العالم في المحافل الدولية، وتهاجر الأيدي العاملة من مختلف الشعوب إلى نبع الحضارة الجديدة، والخيرات المتدفقة، التي أنعم الله بها على ابن الصحراء، فيختلط بالأمم المهاجرة إليه، فيتأثر بها كما يؤثر فيها بالعادات، والتقاليد.

قصَصُ مِن البِيئة

كان محمد بن منصور بن ريس من أهالي الرس ضمن قافلة قادمة من مكة المكرمة بعد آداء الحج بقيادة ابن رخيص، وفي طريقهم سقط أحد أفراد القافلة فأصيب بكسور بالغة، لايسيتطيع معها البقاء على ظهر الراحلة فاجتمع قائد الحملة برجال القافلة، وأخذوا يبحثون عن حل لصاحبهم، فاتفق الجميع على أن يصلبوه على أحد الجمال، ويواصلوا سيرهم، فإذا سلم، فالحمد لله، وإذا مات فهذا أجله، وقضاء الله، وقدره. لكن رجل واحد من رجال القافلة، لم يرضَ عن هذا العمل القاسي، تطوع بالبقاء معه قيل قال المارك هو خالد العلي، وقيل محمد بن ريس، فقال أبقى معه في أحد غيران هذا الجبل حتى يقضي الله في أمره، فبقي معه ، وانطلقت القافلة من عنده ومعها زوجته، بعد أن تركوا عنده شيئاً من الزاد ، والماء، فبقي وحيداً معه، لكن الزاد والماء نفدا فأخذ يجلب له الماء من بعيد، ويصطاد له حتى منّ الله على المريض بالشفاء بعد مدة، فلحقا بقومهما، وعادا إلى مدينتهما الرس، وكان ابن ريس قد قال هذه القصيدة عندما تخلف عن صاحبه، وأرسلها مع القافلة إلى والدته :

قل هيه هلا يا شايبات المحاقيب	أقفن من عندي جداد الأثاري
و أقفن بالوخصة كما يقفي الذيب	إليا طالع الشاوي بليل غداري
لكن صفق أذيالهن بالعراقيب	رقّاصة تبغي بزينه تماري
يا ابن رخيص كب عنك الزواريب	عمارنا يا ابن رخيص عواري
خوينا ما نصلبه بالمصاليب	ولا يشتكي منادروب العزاري
لزماً تجيك أمي بكبده لواهيب	تبكي وكثر البكا ما تداري
تنشدك باللي يعلم السر و الغيب	وين ابني لك خوي مباري
قله قعد في عاليات المراقيب	في قنة ماحوله إلا الحباري

يتنا خويه لين يبدي لــه الطيب ولا يجيه من الصواديف جـاري

إن كان ما قمنا بــحق الواجيب حرمن علينا لابسات الحزاري

هذه قصة العرفجي، وهو رجل من أهل بريدة، وقال لي مهنا عبد العزيـز المهنـا: إنه من أهل الغاط، كان العرفجي كريماً سخياً، فانفق كل أمواله في البذل، والعطاء، ثم أجبرته الظروف أن يستدين من أصدقائه، وأصدقاء والده، وفي ذات يوم جاء إلىرجل كان يظـن أنه سيقدره، ويقضي حاجته، فقال زن لي من القهوة، فقام صاحب المحل، وكان يُسمَى قرباط، ووزن له من القهوة حسب طلبه، فأخذها العرفجي، فقـال صاحب المحـل: الثمـن! فقال العرفجي: سيأتيك ثمنها متى ماتيسر إن شاء ا لله.

فقال صاحب المحل: نزِّل القهوة ، فأنا لا أبيع على المفلسين! فـانصرف العرفجي كئيباً حزيناً من هذه الحالة التي أجبرته على مثل هذا الرجل الذي لايقـدر ، ويهتـم بفعل المعروف. وبعدما انصرف من عنده رأ ى قافلة تمرٌ بلده متجهة للعراق، فودع أهله، ولحق بالقافلة، ثم قال لرئيسها: أنا أخدمكم على أن تحملوني معكـم إلى العـراق، فـلزم الرئيس، يخدمه، ويرعى ركائبهم إذا نزلوا، فأعجب القوم بأخلاقه، وخدمته، ولما وصـل إلى بغـداد، عمل في بعض الأعمال اليسيرة حتى تكوّن عنده بعض المال اليسير.

وفي أحد الأيام رست سفينة على الشاطئ محملة بالبضـائع، فـاجتمع التجـار حوله ليشتروا البضاعة، وأخذوا يزايدون في الثمن، ودخل معهم، فرست البضاعة كلها عليـه، ثم تخلص منها في الحال، بربح كبير، على أحد التجار قبل أن يسدد هو قيمتها، فليس لديـه مايكفي لسداد هذا الثمن الباهض، لكن ا لله فرّج له، ومنّ عليه بفضله، فأصبح لديـه مـال، وأخذ يتعامل به حتى اغتنَى. وفي ذات يوم رأى أهل قافلة يستعدون للانطـلاق نحـو نجد،

فتذكر أهله، فكتب هذه الرسالة، وهي قصيدة رائعة، يخبر أهله بحاله، وبما منّ الله عليه بالرزق، ويخبرهم بأنه سيعود إلى وطنه قريباً، فقال:

يا راكبين نافشات المواطي   من ساس ريمة ما خالطهن بخلاط
حوفوا عليهن لين أ ولم قشاطي   آخذ دواة الحبر وأجيب خطاط
قطم الفخوذ مشرهفات علاطي   فج النحور اعضودها فج الأباط
لاجالهن تقريب خمس ظباطي   مع سوق ثامر لوذن مثل الأوساط
العصر تزمي لك خشوم الحياطي   خص لياهفن مع الكيح هبّاط
تلفون مَن يملا كبير السماطي   لا صار بالديرة بخيلين وقحاط
قل يا أبو محمد فزتي واختباطي   من حاجة حدت على بيت قرباط
لكن جرح بالحشا ما يخاطي   على عشير يجدل الراس بمشاط
وعلى عيوني من فراقه غطاطي   ودواء عيوني لحجيبه إلى ماط
يوم أذكره لكن جوفي يماطي   أو كن يضرب بسرة القلب مخباط
ياويلكم يارجال صنق الأباطي   دب الليالي بينكم زجر وغلاط
تبدلوهن جعلكم للحباطي   باللي نسمهن ريح مسك إليا عاط
إياكم اللي ريحهن ريح ماطي   أو ريح جرب نفطوها بالأنفاط
يا غرستين على جال شاطي   امذريات عن هوى الصيف وشباط
إن كان مالي من ثمرهن بطاطي   لعل يسطمهن من الهيف سماط
يا سائل عني ترى فانبساطي   في سوق بغداد على زل و بساط
لاجا نهار فيه مثل الشياطي   ملبوسنا الماهود هو و الزقلاط

هذه قصة لرجل من أهل قرى العرض في نجد، رحل في طلب الـرزق، وقصد الخليج للغوص، وقد ترك زوجته، وهي حامل، ولما أنجبت ابنها، ومضى على غياب زوجها أكثر من سنتين، بعثت له أبيات مع القوافل، تخبره بأن ا لله رزقـه بـابن، وتطلـب منـه سرعة العودة، وقد أخبرني بالقصة، والأبيات مهنا عبد العزيز المهنا مـن أهـل الدوادمـي، قالت الزوجة:

ياراكبين فوق خمس بكراتِ متحنيـــاتٍ كأنهـن الأهله

إن روحن يشدن فرق اقطواتِ وإلا حمام ناحـرٍ الأظلـه

قله ترى نجـداً زهَى بالنبـاتِ وخل كل خل ينتحي يم خله

فلما وصلت الرسالة إلى زوجها، بعث الجواب مع رجـل اسمـه محمـد بـن ضلاف، وقال:

يا محمد بن ضلاف ردوا وصاتي وإن كان جيتوا هايف الخصر قله

قله ترى عمري عليه الطـراةِ أدش غبـــات البحر فـدوةٍ له

إن كان ما يصبر ثلاث سنواتِ يروح من عندي وأنا مرخص له

رشيد بن مقلقل العرادي البلوي، وكان قوي الجسم عظيم البنية أخـذت إبلـه بليل، فلحق القوم، وأخذ يتلصص عليهم حتـى بـاتوا، وقـد عـرف زعيمهـم فلمّـا نـاموا، جاء إلى زعيمهم فاختطفه، وكمّ فَمَه، ثم سرى به، ولم يشعروا بـه حتـى أصبحـوا وفقدوا زعيمهم، فتبعوا الأثر حتى عرفوا آخذه، فجاءوا إليه، فقال: تردون الإبل، ونرد صاحبكم، فلم يجدوا بداً من أن يردوا إبله! فقال أحدهم:

خطف حمد وقفا كما يقفي الذيب   يا ليتنا حضّار يوم التوى به [1]

فخلف بن دعيجة الشراري أُخِذَ أهلُهُ، وهو غائب فلمّا رجع إليهم وجدهم فقراء فلم يبقَ معه إلا ذلوله، فصار يخرج هو واخوه عليها يصطادان، ويطعمان أهلهم، وكانوا في فصل الشتاء، فمنعهم المطر والسيل من الخروج ثلاثة أيام، وكان بعض قومهم يتعهدونهم بالطعام، لكن خلفاً لايريد أن يُرى كالمسكين، فنحر ذلوله، وأطعم أهله، وقومه وخصّ الذين كانوا يعينونهم، ومنهم امرأة كان قد خطبها، فلم ترضَ به لفقره، وتزوجت رجلاً غنياً من قومها، اسمها رخية، وفي هذه المناسبة قال يخاطب أخاه علياً الذي كان يلومه على ذبح الذلول:

يا علي يامشكاي حَقِقْ رخية   عشه لحم لعيالها لايجوعون [2]

يوم أن رَجْله خصني بالوصية   من عقب ما هم عن خيالي يفضون [3]

عشيتكيها في الوقوت الردية   يوم أن عفنين المحازم يدوجون

من أهون المعاني ذبحتي للمطية   وا لله ما سوّى سواياي مجنون [4]

والحروب القبلية المستمرة في جزيرة العرب جعلت الرجل لايسير في أرض غيرأرض قبيلته إلا في جوار رجل من القبيلة التي تسكن هذه الأرض، والرجل الذي يقبل جوار رجل

---

[1] ـ منديل الفهيد: من أدابنا الشعبية ٦/ ١٣٨

[2] ـ الضمير في ((عشه)) يعود على رخية، و في عامية بعض قبائل الشمال يتساوى ضمير المؤنث والمذكر الغائب.

[3] ـ الخيال: يريد به الشخص، ويفضون: يريد به يبتعدون، والمعنى أن زوج هذه المرأة، خصه بالرعاية في وقت ابتعاد الناس عنه.

[4] ـ منديل الفهيد: من آدابنا الشعبية ٦/ ١٤٢

آخر عليه أن يحميه حتى يفارقه، ويجاوز ديار قبيلته، فإن تعرض له أحد من القبيلة كان
على صاحبه أن يمنعهم، وأن يأخذ حق جاره، فإن لم يفعل سُبَّ به، وسقطت سمعته،
وسمعة قبيلته. في إحدى السنوات نزل كليب بن سميح المحياني في فصل الصيف (رنية)
المدينة المعروفة، فجاء إليه رجل من آل محمد من سبيع، وأهدى له هدية، عبارة عن صرة
من القهوة، وأخبره أنه يريد أن ينزل في جواره في ديار قومه إذا جاء الربيع، فقبل كليب
الهدية، والطلب، ولما حان وقت الربيع جاء السبيعي حتى نزل على كليب، فبقي معه
حتى انقضاء الربيع، ورغب الناس في انتجاع الموارد، فغادر جاره متوجهاً إلى ديار قومه،
ولكنه كان مراقباً من بعض رجال القبيلة، وفي منتصف الطريق، بعد أن جاوز ديار عتيبة،
أغار عليه رجال من المقطة، وأخذوا إبله، فرجع السبيعي إلىجاره كليب، وأخبره، وقال:
أخذوني في دياركم، فجاء إلى أمير المحايا بهيشان بن عور، وأخبره، فذهب الاثنان إلى
محمد بن هندي بن حميد، وأخبراه، وطلبا إعادة الإبل المأخوذة، فطلب ابن هندي الذين
أخذوها، فقالوا: لم نأخذها في ديار عتيبة، إنما أخذناها في ديار سبيع، فقال ابن هندي:
ما عليك حق للسبيعي يا كليب! فالإبل خرجت من ديار قوم، ودخلت في ديار قوم، فلم
يرضَ السبيعي بهذا الحكم، فقال ابن عور يحلفون لنا، ونرضَى، فرفضوا الحلف، فاعتبر
ابن عور هذا إقرارا بتعديهم على جاره، فقام المحايا، وأخذوا ثلاثة ذيدان من إبل
الحوابية، الذين أخذوا إبل السبيعي، واستاقوها إلى الملوح من سبيع، فلما علم ابن هندي،
اعتبر هذا تعدياً على سيادته، ورفضا لحكمه، وهمَّ بمعاقبتهم، لكنه عدل عن هذا خشية أن
تقع فتنة بين المقطة، والنفعة، وهم إخوان من دون غيرهم من فروع عتيبة، فأرسل إلى ابن
عور، ليحضر، وحلت القضية، بما يرضى الطرفين وقبل السبيعي الحل. وقال أبو عبد
الرحمن: ((ومن عاداتهم العلقة، وهو أن يأتي إنسان إلى أمير قبيلة أو أحد من أفرادها،

فينزل مستجيراً ويعلن هذا الضيف حق الجوار بشاة يقودها، ويدخلها البيت، أو يذبحها عند الباب، ولايسمَّى الجوار علقة إلا بهذا [وقال أبو عبد الرحمن] ووجدت في كراسات الشيخ منديل عن أحداث العلقة أنه استجار أحد البقوم بسعيد بن مقنزع من الحمارين من العصمة بوسيلة تسمَّى العلقة. وبعد مدة سافر البقمي، فلقيه جماعة من العضيان، وأخذوا ما معه، فعاد إلى جاره سعيد، وأثار نخوته بهذه الأبيات:

يا فاطري حني ونادي الحمارين وابدي لهم في كل راسٍ يبيني

إن سندوا وإن جوك من فرع منحين وإن واردوك الما مع الواردين

خصي بها صايل نحاز المعادين لا درهمن مسرعات القريني

ثم انخي الشفعان هم له موالين هم و لحقاهم كانهم جازعيني

وانخي لشجعان على الحق قاسين أبا العلا وربوعه الطيبيني

خصي جزا حامي عقاب المتلين ليا رفعوا لقطيها بالمديني

يا أولاد عصمة يا الرماة المتاقين ياما أيتمن أيمانكم من جنيني

يا عنك ما أنتم عن مثاره بمزرين وإلا ترانا نعذر العاجزيني

فسعى شيخ العصمة جزا أبا العلا في رد ما أخذ من البقمي بتدبير حكيم دون حصول أي فتنة))(١). ونقل أبو عبد الرحمن عن منديل الفهيد: ((أن سعود بن رشيد أراد أن يخفر السويط بناء على رغبة آل سعدون، والخفر نكال، وهو أن يأخذ من إبلهم أطيبها فخف زامل السبهان، وآل سعدون، وأبت عبدة من شمر متابعة ابن رشيد لأن بينها، وبين السويط حلفاً. فدعا ابن رشيد بحمود بن صويط شيخ الظفير، فأمسك به، وبدأ عمال ابن رشيد

---

١ ــ أبو عبد الرحمن بن عقيل: تاريخ نجد في عصور العامية ٣/ ٦٢

ينتقون من الإبل، وتركوا إبل الشيخ ابن سويط حتى وصلوا الى بني على مـن حـرب جيران السويط ينتقون منها، وكان عقوب بن عفنان من شيوخ السويط جالساً على الشـداد في بيته، فسمع النساء يقلن: خفروا جيراننا الحروب. فقـال عقـوب معتزيـاً: أنـا سـويطي! ، ومات جزعاً على شداده، لأنه لايقدر على منع جيرانه، فمات كمداً. وقد قيل في هذه المناسبة عدة قصائد منها قول حمود بن سويط :

عزاه من عينٍ قليلٍ هجوعـه   يا أبو الدحيلي يا ذرا لايذ الجار

لي لابة عمسات الأريا طبوعه   قامت تقطف زرع قلبي بمنشـار

لو تسفهل النفس ساعة سبوعه   قاموا يعقدونه مقابيس الأشـوار

من لاصبر بالغيظ ماحب كوعه   عز ا لله إني يا فتى الجود صبار))

والسويط مشهورون بحماية الجار، ولهم قصص مشهورة في ذلك، وقد قتل أحدهم ابنه عندما اعتدى على جاره(١).

وقال أبو عبد الرحمن: ((ومن نوادر الجوار ما قرأته في كراسات الشـيخ منديـل قال: روى لي الشيخ بدر بن شفلوت من شيوخ قحطان أن نهار بن شري، وجماعتـه المساردة من قحطان ساروا إلى وادي الدواسر لاجتلاب الطعام، والمسافرون لهـذا الغـرض يسمون مديداً، ومعهم امرأة لها ولد صغير من أقارب الشيخ زيد بن شفلوت، فمروا على راعي إبل للدواسر، فحلب لهم لأجل الصبي. ولما عـاد القحطـانيون وجـدوا إبـل الدواسـر في الفـلاة، فأخذوها، وأخذوا الراعي معهم حتى أبعدوا به عن أرض قومه، ثم تركوه يعود، فعاد، وأنـذر الدواسر إلا أن الإبل فاتتهم، وليس بإمكانهم إدراكها لطول الوقت. وبعد تمام الحول ذهب الدواسر وسألوا عن القحطانيين الذين مدوا في العام السابق، فعلموا بأهل الصبي الذي حلب له راعي

١ـ انظر فهد المارك: من شيم العرب ٢/ ٦٣ـ ٦٦

إبل الدواسر، فوجدوه من أقارب الشيخ ابن شفلوت، فنزلوا على ابن شفلوت، فطلب ابن شفلوت من جماعته آداء الإبل، وكادت تكون فتنة إلا أنهم أدوا الإبل لما ذكرهم شاعرهم فراج بن ريفة بالعادات المتبعة، وقد قال فراج على لسان زيد بن شفلوت:

يا راكبين ثنتين عوص تباری تلفح سفايفها وفيها خنانيق

تنصّ ابن سودة زين راعي الثبارا ما عندنا له لا ذموم ولاليق

الذم في عرك الحقوق الجهارا حل النشب ما بين طماع ونفيق

عند آل شري مودبين المهارا اللي لها بوجيه ربعي مواثيق

عار على شيباننا و الصغارا ولوم على اللي يلبسون العواليق

وا لله لو راحوا لهضب الشرارا وإلا نبا له في قفار دواريق

حلفت أنا لاقلط عليهم جهارا وفعولنا تعرف إليا نشف الريق

حنا كما سم على الكبد جارا يفضي العظام ويفضح الكبد لاذيق))

وقال أبو عبد الرحمن: ((ومن مسائل الجوار (الخوة)، وهو أن يترافق اثنان في السفر، فإذا أرادا الافتراق وسم كل واحد عصا رفيقه بوسم قبيلته هو ليكون له بذلك أمان عند القبيلة، فإذا لم يؤمنوه لزم رفيقه أن يرد له حقه. وقد كان نصار العازمي رفيقاً لأحد المجالسة من مطير يدعى الهفتا، اسمه أحمد أو محمد، فوسم المطيري عصا نصار العازمي، فواجهه غزو من مطير عقيدهم فارس العميل الجبلي، فأخذ ذلول نصار، ولم يصدق بصحة الوسم ظناً منه بأن نصاراً هو الذي وسم العصا. فقال نصار العازمي:

يا راكباً من عندنا فوق مذعار سفايفه مثل اللواليح تومي

فوقه غلام نقوة الربع مختار يسري إلى من دلبحن ا لنجومي

تلفي على واصل وعلم بالاخبار واشهر بصوتك في طويل الرجومي

فكاكة المظهور بالموسم الحار ومطوعة راس الحصان العزومي

أولاد واصل لا تلومون نصار الله يلــــوم اللي لحالـي يلومي

كان الخوي قد فك من لاهب الحار فانــا خـوي له خوي لزومي

محمـد بخوتنا و لمتنــاالاقدار ووخذت ذلولي والتفق والهدومي

يا فاطري أرجيك مع كل مرار وأرجيـك لو أني بلذات نومي

انخي شبيب إن كان سو البلا ثار لا رددوا وسط المجالس علومي

يفزع بشلفا سنها كل بيطار يوم أن ولد اللاش يفزع بشومي

ثم قال يحثهم بقصيدة ثانية :

يا فاطري عيفي ردي المحاريف ما كان يرضى بالحقوق الهوافي

حنــي وعيد عندهم بالتواقيف أظـن لا فيهم من البعد لافي

وصيحي لهم مننجد لا ماقع السيف وانخي بصوتك لابسات الغدافي

وانخي عنان العزم ريف المواجيف مطلق إليا حلوا مجاله سنافي

أولاد صندل بالملاقا مزاهيف لاصاح مجلي الثمان الرهافي

وطامي ولد شباب ريف المواجيف لاجت هزال و المزاهب خفافي

ربع القريفــة فارقيـن المواليـف لاجا نهـار فيه ما من عوافي

وانخي رفاعي وإن كبا النذل ماشيف شبره على كل المناعير وافي

مقدم هل الجدعا حرار المشاريف من فوق هجن كنهن الطخافي

وأولاد مناع كرام على الضيـف ربع يحطون الشحم بالصحافي

من سر نبعة مروبة شذرة السيف   ذباحــة للحيل هي والهرافي

وانخي متيهــة البكار المشاعيـف   هوامـل والفعل منهم يشافي

ونعـم لا ركبوا المهار المزاغيف   صفر تغذى في حليب الصحافي

وأولاد ديحان ربوع مزاهيف   لاجا طلبهم صامـل ما يغافي

وروى أبو عبد الرحمن عن الشيخ منديل، قال روى: ((لنا فيحان بـن دغيم بـن هدبـا المطيري أن عمه طلال بن هدبا وابن عمه غالب بن طلال بن هدبا صديقان لطلق بـن وسـيود الروقي من عتيبة. وفي ذات مرة غزا طلال، وابنه غالب، وصادفوا إبل صديقهم ابن وسـيود، ولم يعرفوه إلا أن غالب لم يكتفِ بالإبل، بل طمع في أن يلحق بصاحبها ليغنم بندقيته مـع أن والده نهاه عن ذلك، فلم يمتثل. أما ابن وسيود فلما رأى غالباً يسير نحوه ـ وأحدهمـا لا يعرف الآخر ـ رماه، فقتله، وأصاب عمه بجروح، وهرب، ولما رجع المطـران بـالإبل عـرف طلال والد غالب إبل طلق، فقال: لا مطمع لنا في هذه الإبل، لأنها إبل صديقنا ابن وسيود، وهو لم يعرفنا، ونحن لم نعرفه، وابني هو المعتدي وقـد دنـا أجلـه، ثـم أمـر بـرد الإبـل، وتنازل عن دم ابنه، وأرسل إلى ابن وسيود يطلب منـه إرسـال مـن يسـتلم إبلـه. فـأبى ابـن وسيود استلام الإبل، وقال: هي إهداء لغالب، ونحن أشد حزناً عليه من والده. وعندما أراد قوم طلق بن وسيود الغزو، قال هذه الأبيات يتحسر على ذلول يركبها:

ياهل العيـدي عليكم مشرهية   اركبوني ياهل الجيش الأصايل

مقدر الحقكم ولا عندي مطية   غير و البارود غابٍ له ظلايل

في مكان يا سـعد عسر عليه   ولا بليتوا به على طول المهايل

يوم ردوا كنهم لـي أدوميـة   عندي ذودي ما يعرفون العذايل

اعتزيـت وعزوتـي بالمزحميـة   و اعتزَى بـالاد عباد الشوايل

قلت يا أهل الجيش ماجوب عليه جنبوا عنها وأنا يبس البلايل

اجتمعنا والترقنا في شوية يوم للدم الحمر جاله وشايل

ليت يوم الرب ميلهم علي صاملين الراي لاجات الحفايل))

وبندر التمياط رئيس عشيرة التومان من شمر، وهم قوم معروفون بالفروسية والشجاعة، كان له جار من حرب اسمه (براك النخيش) كان مقيماً عنده في أحسن حالة على ماكان عليه الجوار بين العرب. وفي ذات يوماً ضاعت إحدى نياق النخيش، فراح يسأل عنها، فعرف أنها دخلت في حِمَى الأمير محمد بن عبد الله الرشيد، فرجع إلى جاره الشمري يخبره، إذ ليس له طريق للحصول عليها بعد دخولها الحمى إلا عن طريقه. فجاء بندر التمياط إلى محمد بن رشيد، يطلب أداء ناقة جاره، لكن دخول الناقة للحمى قد مضى عليه مدة طويلة، وقد وسمها ابن رشيد بوسمه، وهذا يعني أنها لايمكن أن تعاد. فقال ابن رشيد للتمياط، نعطيك ناقة بدلها، فرفض التمياط الطلب، وأصر على أن تعاد ناقة جاره، وفاء لما بينهما من حقوق الجوار. لكن ابن رشيد رفض الطلب، فعاد بندر التمياط إلى قومه، ثم أغار على حمى الأمير، واستاق بعض إبله، ثم أعطاها لجاره، ثم رحل بقومه إلى سورية، وترك بلاده، وقبيلته، ومضى حتى نزل على الشيخ جدعان بن مهيد رئيس الفدعان من عنزة. فما أن علم ابن رشيد بنزوح التومان عنه حتى ثارت ثائرته، وأراد أن يلحق به ليعاقبه، فمضى في طريقه إليهم، يريد الهجوم عليه وعلى ابن مهيد، فلما اقترب منهم، وعرفوا أن لا قوة لهم بمواجهته، انسحبوا، وتركوا المكان له فتبعهم ابن رشيد عدة أيام، ثم عاد، وتركهم. فاقام التمياط، وقومه مع ابن مهيد مدة، في أحسن جيرة. لكن قبيلة عنزة، وقبيلة شمر يقع بينهما مايقع بين القبائل في ذلك العصر من حروب، وثارات، و كثيراً ما كانت تقع بعض

المعارك بين الجانبين، أثناء إقامة التمياط، وقومه بجوار ابن مهيد وقومه، فيقف مع من التمياط ؟ هل يقف مع قومه شمر ضد عنزة ؟ أو يقف مع جيرانه الفدعان ؟

وقع في الحيرة، من هذا الحرج، الذي وجد نفسه فيه، وزاد من حرجه أن الجانبين عنزة، وشمر يشككان في مواقفه، فقال شاعر من التومان يصف هذه الحالة:

المسعد اللي ماهو تومي　　　من كل يم ماهو غالي

من كل الأشناق متهومي　　　كل يرصه على الجالي

وقال أبو عبد الرحمن: ((وجدت في كراسات الشيخ منديل: أنه حل عند نويشي بن ناشي ضيف من ذوي بدير من مطير. ونويشي بن ناشي من بني عمرو من حرب، فقتل الحربيون، ومن ضمنهم خال نويشي المطيري الضيفَ. فلما علم نويشي بخفرهم لذمته اختفى، ولاذ بمغارة بأحد الجبال، وصار يقتنص أبناء قبيلته بالبندقية حتى قتل منهم عدداً، وقد عجزوا عن الوصول إليه، وقد أرعبهم فعله، فصوت له شيوخهم بالكفالة، والأمان على أن يكف عنهم، وقد أصلحوا الأمور بدفع الديات، بعد تجميعها من الأفراد. وبعد مدة كان نويشي، وخاله يسيران، ومرا بمحل المطيري المقتول، فأشار الخال بيده إلى مكان مذبحه، وقال: هذا هو الذي سبب المآسي على جماعتنا. فقال نويشي: أخبرني ياخال ماذا قال قبل أن تقتلوه ؟ قال: أنا خوي نويشي، فقال نويشي: ياخال يد أشرت بها لا بد أن تطيح عنده وقطع يد خاله، فصارت مثلاً للشعراء. قال الشمري:

لا وهني نويشي اللي قضى الدين　　　متقبل نصف الشهر من قمرها

عقب أربعة واثنين يسلم من الشين　　　غير اليمين اللي نويشي كسرها

أما نساء المطيري القتيل فقد أكثرن اللوم، والإلحاح على نويشي قبل أن يفعل فعله. فقال نويشي بهذه المناسبة:

يا راكب اللي شايبات مقاريه	مثل الظليم إلى ضرب له قرارا
يسرح ومماه البديري حراويه	اللي نزل بين السهل والوعارا
خوينا يا ترف الأقدام نغليه	لو حال من دونه مقابيس نارا
تصبّري با لله واللوم خليه	يا مدمج الساقين بيضا غرارا
وش معجلك يا بنت حنا بثاريه	واللي ورا الصبيان دروبه عسار
مطلق عضيدي ما أحسب القلب يصخيه	عند الخوي كنه هريد الجفارا
خلي ورا المطراق كل نظر فيه	ورمن عليه غدافهن العذارى
ذا فعل ولد القبع من دون عانيه	يسمع به اللي من بعيد الديارا))

وكان بين بني سعد(١) وبين بني الحارث حروب قبلية كما كان يحدث في الزمن الماضي، وقد قتل بنو سعد شيخ بني الحارث ابن مقبول، وأرسلوا قصيدة استفزازية لبني الحارث، منها:

يا راس ابن مقبول قبلك روس ما راسك أطيب من بني سعد

فغضب بنو الحارث، وأقسم مستور بن مقبول أن يقتل عقيد بني سعد، وهو ابن محفوظ. وفي ذات يوم كان ابن محفوظ عابر سبيل ورمى به القدر إلى بيت غريمه مستور، وهو لا يعلم بذلك، فلما قرب من البيت قال:

ياراعي البيت جاك ضيف جوده (يعني أعطه الأمان)، فأعطاه الأمان، وأكرمه، وذبح له، وتعارفا. وفي الصباح مشّى مستور مع ضيفه ابن محفوظ متحفزاً ببندقيته، وكان

١ـ بنو سعد أصل قبيلة عتيبة، ومساكنهم في السراة جنوبي الطائف، قال شاعرهم:

يا سيدي حنا رجال عتيبة والناس يسمونا بني سعد

ابن محفوظ يظن أن مستوراً سيقتله ثأراً لأبيه، ووفاء بقسمه. فاستمر معه حتى انتهت حدود بني الحارث، وبدأت حدود بني سعد فقال مستور: هذه بلادك اذهب سالماً، فهذا ما تقضي به عادات العرب، واعلم أنني وراءك مستقبلاً، ولن أترك ثار أبي (١).

هذه القصة رواها المارك عن الشيخ محمد آل سليمان التركي عن عبدالعزيز الميمان، عن بطلها عبد الله العمري المتوفى فيما بين (١٢٩٥ – ١٣٠٠)هـ كان عبد الله العمري من أهل عنيزة ، فهاجر إلى الزبير، واشتغل بالتجارة فوفق فيها، وأصبح من الأثرياء، و احتل مكانة عظيمة في البلد، ووثق به الناس، فأخذوا يؤمِّنون عنده الأموال الطائلة في وقت لم تكن البنوك معروفة في المنطقة، وفي مقدمتهم أعيان البلد آل إبراهيم أمراء الزبير، وتجارها، وكان الرجل من أهل الخير، والإحسان، فعرفه الفقراء كما عرفه الأغنياء، وعاش كثير منهم على إحسانه، واستمر به الزمن طويلاً، وهو على هذه الحال الطيبة. لكن الدنيا لاتدوم على حال، فقد تغيرت الأمور، وخسر الرجل كثيرا من أمواله، وأخذ يخفي ما أصابه عن الناس، حتى ركبت عليه الديون، وأصبح أمام أمرين أحلاهما مر : أما أن يعلن إفلاسه، أو يستمر في الانفاق من الودائع ويتراكم عليه الدين أكثر فأكثر، فلو أعلن سيطالبه الناس برد ودائعهم، ولاقدرة له بذلك .وأخيراً قرر الخروج من البلد، والعودة إلى بلده عنيزة في نجد، والبقاء فيها حتى يفرج الله كربته. فخرج من الزبير آخر الليل لكي لايعلم أحد بخروجه، وتوجه إلى نجد، فلما وصل مدينته انتظر حتى جنَّ عليه الليل، فدخلها متخفياً حتى دخل بيته، فلازمه، ولازمته الهموم، فظل حبيساً في الدار، حتى لايعلم أحد من أهل البلد بوجوده، فيعرف الناس قصته المحزنة، وليس عندهم غير الشماته، وربما أبلغوا مَن في الزبير بوجوده. وبعد مدة جاء رجل من أمير عنيزة، وطرق عليه الباب، وأخبره أن الأمير

---

[1] ـ أبو عبد الرحمن بن عقيل: تاريخ نجد في عصور العامية ٣/ ٥٦ بتصرف.

يعلم بوجوده في البلد، وقد جاءه طلب من أمراء الزبير ، يطلبـون حضـورك، لتـؤدي حقوق الناس التي عندك، وأمير عنيزة يأمرك بأن ترحـل فـوراً! لم يجـد العمـري بـداً من العودة للزبير مهما كانت النتائج. فرحل عائداً على ذلوله، وفي الطريق ضاف رجلا من شمَّر، فأكرم الشمري ضيفه، وبالغ في إكرامه، وأراد أن يسامره، ويـروح عـن خـاطره بعـد عنـاء السفر، لكن الضيف لم يكترث بهذا الإكرام، وهذه المباسطة، وبدأ غارقاً في همومه، فعـرف المعزب أن ضيفه، واقع في مشكلة كبيرة. فسأله عن مشكلته، فأخبره بهـا. فابتسـم الشمري وقال، كل هذا الحزن من هذه المشكلة اليسيرة ؟! كيف لوحصـل لـك مشـكلة أكبر ؟ قـال تـاجر الزبير باستغراب: وأي مشكلة أكبر من هذه ؟

فقال الشمري: أظنك لم تصب في حياتك بأي مكروه ؟

قال التاجر: نعم لم يصبني قبل هذا أي مكروه، وكانت حياتي قبلها تسير من حسن إلى أحسن ولم أرَ مثل هذه المصيبة التي لامثيل لها!

فقال الشمري ضاحكاً: لامثيل لها؟ هذا خطأ فادح أيضاً!

فقال التاجر: وما الخطأ الفادح؟

قال الشمري: الخطأ الفادح أن تظن مشكلتك أكبر المشكلات!

فقال التاجر: وهل هناك مصيبة أكبر من أن يكون الرجل ذليلاً بعـد أن كـان عزيـزاً، ويكون فقيراً بعد أن كان غنياً.

قال الشمري: المشكلة الأكبر أن يستولي عليـك اليـأس، وينقطـع الرجـاء، فهـذه هي المشكلة التي ليس لها حل، أما مشكلة التجارة، فإن الـذي أعطـاك المـال هـو الـذي أخذه منك، وقد يتفضل عليك، ويرده لك ، فالله يبتلي الناس بالخير، والشر.

مست كلمات هذا البدوي قلب التاجر، وبدأ الأمل يبرق أمام عينيه، وأخذت عزيمته تعود إليه شيئاً فشيئاً. ركّز انتباهه على كل كلمة يقولها هذا الرجل، ثم قال: أراك حكيماً مجرباً، فهل حدث لك من مصائب الدهر، ما علمك هذه الحكمة؟

فقال الشمري: نعم، لقد كنت قبل ثلاثين عاماً مقيماً في هذا المكان، وكنت صاحب خيل، وإبل كثيرة ورثتها عن والدي، ولي ولدان يتفوقان على أبناء القبيلة في كل شئ، فليس في عشيرتي أحد يماثلني بالمال، والعيال، ولم أعرف الهم إلا باسمه!

وكنت أخرج كل يومٍ في الصباح للصيد، وأعود في المساء بما أصيده إلى أهلي، فأجد بعض رجال العشيرة في انتظاري، ونجلس على القهوة، وأحاديث السمر بعد أن نتعشى من لحوم الصيد. وفي أحد الأيام رجعت إلى أهلي في وقت القيلولة، ولما اقتربت منهم لم أرَ بيوتاً، ورأيت شبحاً قادماً، فتناولت الناظور، ونظرت إليه، فإذا هي زوجتي، ومعها ابنتها الرضيعة، فأسرعت إليها، فلما دنوت منها سقطت من التعب، والعطش، فأنخت الراحلة، وبادرت إلى الطفلة، التي كانت تصرخ من شدة الرمضاء، فوضعتها في الخرج على الراحلة، وأطلقت وكاء القربة، وصببت الماء في القدح، وبينما أنا أصب الماء من القربة قفزت أرنب من إحدى الأشجار القريبة، فنفرت الذلول، وجرت بسرعة، وأنا ممسك بفم القربة، والطفلة عليها، ولم أستطع إيقاف الذلول أو ترك القربة حتى سقطت الطفلة، فتركت القربة، والذلول، وجئت إلى الطفلة فوجدتها، ميتة ، وانطلقت إلى أمها فوجدتها قد فارقت الحياة، فوقفت أنظر إليهم، وقد أخذ الهم، والحزن مني كل مأخذ، وليس عندي ماء، ولا ذلول، ولم أدرِ ما الذي حصل لأبنائي الآخرين، فانطلقت إلى مكان قومي، فلما وصلت اليهم، أخبروني بأن قوما غزاة هاجموهم، فأخذوا جميع الإبل، وقتلوا كثيراً من رجال العشيرة، ومن بينهم أبنائي! فبقيت، وحيداً فقيراً ذليلاً بعد أن كنت غنياً عزيزاً! لكني لم

ظاهرة الحروب القبلية

ظاهرة الحروب القبلية

من الطبيعي أن يختلف الناس في أمور الحياة، والاختـلاف مـن طبيعـة البشـر، فـإذا وقع الاختلاف، ولم يكن هناك سلطة فاعلة أو قانون منظم وقع التنازع بين الناس، ونشبت الحرب، وهذا ما كان يحدث في غياب السـلطة والقـانون في نجـد في القـرون الماضيـة، فقد أصبح الاقتتال على المياه، والمراعي، والغزو لأخذ أموال الغير ظاهرة مألوفـة في إقليـم نجـد، أما الأقاليم المجاورة لنجد فهي أكثر استقراراً، وإن كانت أحياناً يقع فيها مثـل مـا يقـع في نجد إذا ضعفت السلطة، ولكن بشكل أقل، لأنها غير مهملـة سياسـياً، فالخلفـاء، يعينـون عليها ولاة من قبلهم، أو يؤيدون الدول التي تقوم فيها، فجيران نجد أحسن حظاً مِن ناحية الأمن، والاستقرار خلال تلك الحقب الماضية، أما نجد فقد أهمـل سياسـياً مـن قبـل الـدول التي حكمت بعد زوال الخلافة، ولم تقم فيه دولة قوية قبل العصر الحديث، فعمته الفوضى فترات طويلة، حتى قامت الدولة السعودية، فرعت دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب حـق الرعاية، فأثمرت خيراً، وعم الأمن كافة حدود الدولة، قال أمين الريحـاني: ((كـان في بـني أمية معاوية، وفي بني العباس المأمون، وفي الأيوبيين صلاح الدين، ثلاثة من عظماء العـرب، بل من عظماء الرجال في التاريخ العام، لكنهم ، وإن وصلوا إلى ذرى المجـد، ورفعـوا أعـلام العرب في أقاصي البلدان لم يتمكنوا من بسـط سـيادتهم علـى شـبه الجزيـرة كلهـا، ولاكـان يهمهم العنصر الأكبر فيها، أي البدو إلا كحطبٍ للحروب ... حتى [جاء] عبـد العزيـز بـن سعود بجمع شملهم، ويوحد مقاصدهم، ويعزز جـانبهم))[1]. وفي غيـاب السـلطة السياسـية عمّت نجدا الفوضى وانعدم الأمن تقريباً وخاصة في القرون الثلاثة الـتي سـبقت قيـام الدولـة السعودية ((حتى قيل إنّ نجداً خرجتْ مـن تـاريخ الإنسـانية عشـرة قـرون، [وهـي] الأرض

---

[1] ـ أمين الريحاني: تاريخ نجد الحديث ص ٨ ـ ٩

التي قيل فيها أكثر من ثلثي الشعر الجاهلي، حتى أصبحت الأحجار فيها وبقايا الخيام مشهورة، ومعروفة))(1)، فانعدم الأمن، وكثر اعتداء القبائل بعضها على بعض وسادَ شعار ((اذبح تربح))(2)، ((وكانت هناك حالة حرب مستمرة... بين القبائل المختلفة وأحياناً بين فروع القبيلة الواحدة، وكانت كل قبيلة بصفة عامة تحتل منطقة محددة تحديداً تقريبياً وتسيطر على مراعيها، وموارد مياهها، بحيث لاتمر عبرها قبائل أخرى إلا بإذنها أو بقوة السلاح))(3). ولم تكن القرى في نجد أحسنَ حالاً من القبائل، قال ابن بِشر: ((ورؤساء البلدان... لايعرفون إلا ظلم الرعايا والجور، وقتال بعضهم بعضاً))(4). فالحروب بينهم كثيرة، وشبه مستمرة، فحالها أسوأ من حال القبائل المحيطة بها، فهي أكثر صراعاً، وأكثر نزاعاً، ((والواقع أن من يطلع على المصادر التي سجلت أحداث القرون الثلاثة التي سبقت قيام الدولة السعودية... تواجهه حقيقة مروعة هي أن تلك الإمارات كانت دائماً في صراع مستمر، وتنافس على السلطة، ومرابطة دائماً، وثأر لاينقطع ... بل تطور الآمر إلى صراع داخل القرية الواحدة، وبين الأسرة الواحدة))(5). وهذه أمثلة من أحداث القرى كما ذكرها ابن بشر تبين ما كانوا عليه من حروب وتناحر، قال ابن بشر في كتابه : عنوان المجد في تاريخ نجد :

---

(1) - محمد كشك: السعوديون والحل الإسلامي ص ١٠٥

(2) - أبو عبد الرحمن بن عقيل الظاهري: تأريخ نجد في عصور العامية ١/ ١٢٥

(3) - محمد المانع: توحيد المملكة العربية السعودية ص ٢٨ ـ ٢٩

(4) - عثمان بن بشر: عنوان المجد في تاريخ نجد ص ٧

(5) - د/ عبد ا لله الشبل: تحقيق تأريخ الفاخري، من مطبوعات جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ص١٢

القصيم كانت تقف في بعض الأحآيين إلى جانب القبائل المحيطة بها كقبيلة مطير، وقبيلة حرب. وهذه المواقف منطلقها الوقوف إلى جانب الأقوى، فليس هناك من مصالح مشتركة، غير التعاون على الدفاع، والهجوم! وربما وقعت القرى بين نيران القبائل المتحاربة، فتقف إلى جانب طرف ما، ثم ينهزم، فتدفع الثمن غالياً، وهذه الحروب بين أهل القرى، لا تختلف كثيراً عن أسبابها التي تقوم من أجلها بين القبائل، فالثأر، والانتقام، أو الكسب، والغنيمة كانت هي الأسباب الظاهرة لهذه الحروب الفوضوية! ماعدا التقاتل على السلطة، فإنّه بين أهل القرى شائع، وقليل بين زعماء القبائل أو نادر الحدوث. وربما تكون هذه الحروب حركاتٍ لاشعورية يثيرها القلق، والخوف لانعدام النظام، أكثر مما يثير أي سببٍ آخر. فظلام الجهل، والتوترات العصبية ثار غبارها في المجتمع النجدي، فحجبت الرؤى الصادقة عن المستقبل، فتاه الناس، وأكل بعضهم بعضاً! فكيف يرى الحقيقة مَن ينام إذا نامَ وأصبعه على الزناد؟، وربما أطلق النار على أهله، أو على نفسه! فما أبعد الفرق بين الأمس، واليوم لو أن أهل الدثور، يتذكرون حال آبائهم يوم كانَ نومهم غِراراً، وهم يتوسدون بنادقهم، أو خناجرهم، وربما قُتِلَ أحدُهم دون أن يُعرفَ قاتلُهُ، وكان أحدهم لايقطع مسافة ساعة، إلا وقد استعدَّ للحرب، والمخاطرة، على حين يسير أحدنا من الخليج شرقاً إلى البحر الأحمر غرباً، لايحمل معه حتى الزاد، فإذا أراد شيئاً في وسط الصحاري وجده، على طريقه كأنّه عند أهله، وفي مدينته! وينام أحدنا مواصلاً نوم ليله بنوم نهاره، وربما ضيّع الفرائضَ بنومه أو باستغراقه في اللهو والدعة، في غفلة عن الشكر الذي لاتدوم النعم إلا به. فإنّ كفر النعم مؤذنٌ بزوالها قال تعالى في أهل سبأ: ((وجعلنا بينهم وبين القرى التي باركنا فيها قُرًى ظاهرة وقدرنا فيها السير، سيروا فيها ليالي وأياماً آمنين. فقالوا ربنا باعد بين أسفارنا وظلموا أنفسهم، فجعلناهم أحاديثَ ومَزّقناهم كُلَّ ممزَّق، إنّ في ذلك لآياتٍ لكلّ

أسفارنا وظلموا أنفسهم، فجعلناهم أحاديثَ ومَزّقناهم كُلَّ ممزّق، إنّ في ذلك لآياتٍ لكُلِّ صَبّارٍ شكور)) آية ١٨ و ١٩سبأ.على أن هذه الحروب التي فرضتها ظروفها الصعبة، لم يرضَها العقلاء في هذا المجتمع، فكانت حالهم كحال القائل: [١]

قربا مَرْبَطَ النَّعَامَةِ مِنِي لَقِحَتْ حَرْبُ وائل عَن حِيَالِ

لم أكن من جناتها علم الله وإنــي بحرها اليوم صالي

ويقول تركي بن حميد شيخ عُتَيْبة يصف الحرب:

الحرب سقم العين ماهي براحه تسهر ويقزي نومها عن حجورها

ويقول:

إليا اجتمع ضوء المقابيس وإبليس المسعد اللي حظ ربعه يقومي

فهو يرى أن الحرب ويلات وهموم، وأنها حرب شيطانية، يديرها إبليس! كيف لا، وهي بين الإخوان في الدين، والدم، والوطن؟ لكن الواقع فرضها عليه كما فرضها على غيره. وهذه الحروب كما أرى ويرى غيري تعود إلى سببين:

الأول: انتشار الجهل، الذي أضعف الوازع الديني في النفوس، فظهرت البدع وصُدقتْ الخرافات، فعادت إلى عقول العرب الأوهام والضلالات، التي كان الإسلام قد قضى عليها. الثاني: غياب السلطة السياسية الفاعلة، قال ابن خلدون: ((اعلم أنّ الله سبحانه وتعالى - ركّبَ في طباع البشر الخير و الشر ... والشر أقرب الخلال إليه إذا أهمل في مرعى

---

[١] - هو فارس النعامة الحارث بن عُبَاد، والنعامة فرسه، وقال ذلك عندما أسرف المهلهل أخو كليب في قتل البكريين ثأراً لأخيه كليب، وكان الحارث يتصبر، ويمتنع عن المشاركة في الحرب رجاء أن يقلع مهلهل حتى قُتِلَ ابن الحارث، فقال ما قال، والمعنى أنه قد جدّالجدُّ.

عوائده، ولم يهذبه الاقتداء بالدين ... ومن أخلاق الشر فيهم الظلم والعدوان ... كما قال الشاعر:

والظلم من شيم النفوس فإن تجد ذا عفةٍ فلعلة لايظلمُ

أما المدن والأمصار فعدوان بعضهم على بعض يدفعه الحكام، والدولة)) (١) ولم تكن في نجد دولة، تدفع أو تمنع، غير إماراتٍ متفرقة، تمزقها الإحن، والضغائن، في ظل تمزقها السياسي الذي استمرّ قرونا متتابعة. فإذا نزح أحد سكان نجد إلى الأقاليم المجاورة، ولقي الأمن والاسقرار تذكر، وطنه فبكى عليه، وتمنى له الخلاص من هذه الفوضى، يقول عجلان بن رمال الشمري، وقد نزح إلى الجزيرة في العراق:

متى يجينا طارش فوق مجحود يعلمن عن ديرتي وش جرى به

هي على ماجان اسهود وامهود وإلا على خبري سواة الذيابه

ويقول عقاب بن سعدون العواجي، وكان عند أخواله في سوريا، فاستدعاه والده إلى نجد فقال يخاطب صديقه:

ياعيد اجلب مهرتك عفنة الذيل لاعاد ماتكسب حذى قول خيال

رحنا لنجد ولا بنجدٍ محاصيل نطرد ونُطرد فوق عجلات الأزوال

ويقول تركي بن سداح بن محيا أمير الحناتيش من الروقة من عتيبة (٢).

يامن يبشرني وأسوق البشارة عسى على نجد حقوق الشخاتير

دار بها صقع الحدا والنذارة أخير من دارالرخا و الجواخير

---

[١] ـ عبد الرحمن بن خلدون: المقدمة ١/ ١٣٣

[٢] ـ محمد العصيمي: شعراء عتيبة ١/ ١٢٣ـ ١٢٤

نجدٍ العذي ا لله يسقي قراره   مدهال زرفات البكار المغاتير

يا حلو مرباعه ومشرب بياره   لاقطبوا جيانها بالدواوير

كم هجمةٍ نودع عليها كرارة   فوق النضا ومعسكرات المسامير

حريبنا دايم نزوره بداره   حتى غدت عنا القبائل بعاثير

حريبنا ياما شكى من خساره   خسارته شجعان ماهي مخاسير

إليا ركبنا فوق مثل السعارة   مركاضنا يشبع به الذيب والطير

ويقول سلطان المريبض من الروسان من عتيبة، وقد نزح عن قومه إلى الشرق، ونزل في وادي (الشق) شرقي حفر الباطن:

عسى الليالي يا محمد مديره   مديرة بالخير وأسفر قمرها

لو كان داري بالحرايب نحيره   نوج ركود ونوج تلبس قشرها[1]

ياما وياما طالعوا من مغيره   وشافوا سَبَقها حوتت في نَشَرها[2]

وفزوا من المجلس بخيل عذيره   وكلٌ تباطا شقحته في ظهرها

ولحقوا فوات وريعت للكسيره   ونَطَحَهم الفارس وكل قهرها

---

[1] ـ نحيرة: يريد مشهورة، نوج: يريد مرة كذا ومرة كذا ((عامية الاستعمال، ولعل مجازها المعنوي من ناج نوجاً إذا [رآه في عمله] لأن عمل المرائي ليس على وتيرة واحدة)) أبو عبد الرحمن بن عقيل، وقشرها: يريد شرها.

[2] ـ سبقها: يريد أول الخيل، وحوتت في نشرها: يريد دخلت في الإبل المنتشرة في المرعى. ولعل حوتت مأخوذة من حركة الحوت، وغوصه في الماء.

وكانت حروبهم بعضهم مع بعض، أياماً تعـوّدوا عليهـا، وألِفوهـا فصارت مع طول الزمن جزءاً من حياتهم، التي يعيشونها، فالإلف، والعادة، من أسباب استمرارها في ظلام الجهل والفراغ السياسي، اللذان كوّنا البيئة المناسـبة لعـادة الحـرب، وممارسـتها، فـالنفوس يشعلها أكثر مما يشعلها الكره، والطمـع، فليـس هنـاك مـن سـبب لاستمرارها قرونـاً، فالمتحاربون كلهم عرب، وكلهم مسلمون، تجمعهـم العقيـدة واللغـة والاصل والتـاريخ. قال موزل: ((إنّ الحروب الدائرة بين البادية، ليس سببها الجوهري الطمـع، والرغبـة في سفك الدماء، وإنما تستهوي رجال البادية المخاطرة، والرغبة في ممارسة فن الحرب))(١). وكـانت حال بعضهم كحال القائل:

ويوماً على بكرٍ أخينا ... إذا لم نجد إلا أخانا!

فالمغامرات تستهويهم، وخاصة الشباب، وهذه محاورة بين رجل وابنه، الابن يتمنى الحرب، والأب يقنعه بما لديه من مال، ويسخر من تمنياته، يقول الابن عمهوج:

يا أبوي أنا شفي من الجيش حرة ... بعيدة المسراح يوم انثني الـورك

تشرب حثال بالقلص يوم أثـره ... لاجالهـن عند الموارد لهـن عرك

غدا لهن من عقب الإدلاج صرة ... صرة قطاة حركوا بيضها حرك

فقال الأب:

عمهوج هَيّضني بصوتٍ يجـره ... سَلطْ عليـك غليّـم وَلْ ما أقـشرك

جمعت لك ذوداً كما وصف حَرّة ... وبيتاً كبيـراً و المسـايير تـنحـرك

وعمهوجةً تلعب بحبـل المجـرة ... تطرب نظيرك يوم بالعين تنظرك

---

(١) ـ انظر رأي موزل في أبي عبد الرحمن بن عقيل الظاهري: تأريخ نجد في عصور العامية٣/ ٧٩

ما قَدْرك إلا في يمينك مكـرة ومركبك عير يفرك الخد بك فرك[1]

ويقول ضيف ا لله العفار[2] بن تركي بن حميد:

عاداتنا نرعى الـخطـر دايم الـدوم يــرعى دبشنـا فيه والحظ قايم

نرعى بربعٍ كنهـم دولــة الـــروم مركاضهم بالضيق يجلا اللوايم

لا صاح صيّاح الضحا جَن حثلـوم الخيل بالفرســان عجل همايم

يازين سَجّاتٍ على الفُطّـر الكـــوم يومٌ بلاش ويومٌ جبنا الغنـايـم

فـالحرب هوايـة مفضلـة عنـد فرسان الباديـة، والمواقـف فيهـا ترفـع مـن شـأنهم في المجتمع، الذي تعوّد عليها، فكـم مـن خـامل ذكـره طـارت صيتـه، وسُـمِيَ باسمـه، بعـد معركـة، عندمـا جَـالَدَ الشجعان، وانتصر عليهـم، فصعـد إلى مراتـب الشـرفاء، وخطـب الحسناوات المزايين، فرضين به بعد أن ثبتت شجاعته لديهن، وليس هناك أفضل من رجل يقارع الأبطال، ويحمي حريمه، وماله، في خضم المعارك الدائرة باستمرار، فهذا سعود اليتيم فضلته إحدى الفتيات على بني عمها، ورضيت بــه زوجـاً، بعدمـا ظهـر فعلـه في المعركـة، وكان غزا مع قومه المقطة من عتيبة على قحطان، فلمـا انهزمـوا ثبـت، وحـول الهزيمـة إلى نصر، وقال في هذه المناسبة:

هيه ياركبيــن الحُـــول كان طاب الغضي طبنا

---

[1] - أبو عبد الرحمن بن عقيل: تاريخ نجد في عصور العامية ٣ / ٩١، والمكرة آلة مثـل المحـراث يجتث بها العشب.

[2] - العفار: لقب، وسببه أنـه أقسم أن يفعل فعـلاً لم يسبقه إليـه أحـد، فكـان إذا اشـتبك المتحاربون رمى سلاحه وخطف الفارس من فوق حصانه، ورماه أرضاً فيقتلـه بالمصارعـة أو يعفـو عنه!

إن غزينـا ولا جبنا يفتشل ناقض المجـدول

ويش ظنه إلى غبنا ليت مَن ينشد المجمـول

كان وخذت ركايبنا(١) ويش عذري منه بالقول

وهي ((نوع من الرياضة أكثر من كونها نتيجة كراهية للعدو، فقد كانت تسلية محبوبة لديهم يخففون بها من رتابة حياة الصحراء، وقسوة المعيشة))(٢). فكثيراً ما كان يظفر أحدهم بخصمه، ثم يعفو عنه، مكتفياً بتحقيق الانتصار، أو أخذ الغنيمة. ومن طريف أخبارهم في هذه الحروب ما يروى: أن محمد بن هندي شيخ عتيبة دخل بقومه في معركة مع القحطانيين، وبدأت المعركة قبل الظهر، فاستمرت إلى ما بعد العصر، فخشي ابن هندي فوات وقت الصلاة، فأرسل فارساً من بني هاجر ـ كان جاراً لهم ـ إلى زعيم القحطانيين يطلب منه إيقاف المعركة لأداء الصلاة، فقال القحطاني: قل لابن هندي يقرب لنصلي جماعة، وفعلاً تقابلا بين الجيشين، وصليا، ومعهم بعض قومهم، فلما انتهوا من الصلاة، نظروا إلى المتقاتلين فرأوا أحد فرسان قحطان يغير ببعض قومه على جيش ابن هندي، فتقتل فرسه ويستنقذه قومه، ثم يعود ويقتل فرسه مرة أخرى. فقال ابن هندي لِمَن عنده من القحطانيين: مَن هذا ؟ فقالوا: هذا محمد بن حشيفان القحطاني. فقال ابن هندي: اللهم نجه! يدعو له بالسلامة، وهو يغير على قومه. فهذه المعركة كأنها مباراة رياضية! وأطرف من هذا: أن بخيت بن ماعز أخا شليويح العطاوي لمّا أهدت له سارة الوازعية البقمية جوخة قال: جزاها حصان نكسبه من قومك! وفعلا غزا على قومها، وكسب حصان الفارس قطنان

---

١ ـ أبو عبد الرحمن بن عقيل: تأريخ نجد في عصور العامية ٣/ ٩٠

٢ ـ محمد المانع: توحيد المملكة العربية السعودية ص ٢٩

البقمي، وأهداه عليها جزاءً لهديتها! وسبب الهدية الأولى: أن بخيتاً حدق النظر في سارة الوازعية، وهو في بيت أبيها، فقالت: النظر لك، والزين لغيرك! فقال بخيت:

لد النظر ماهو بعيبٍ عليه أبا أتحلى بنت ماضين الأفعال

ياونتي ياسارة الوازعية ونة غريب تالي الليل عمّال

تقبل وتقفي فوق جال الركية عقب الشحم كمّل ظهرها من الحال

لاشدوا العربان دوج الحنية يبرى لها قاعد بتسعين خيّال

وكان مع بخيت في غزوته على البقوم جماعة من الحفاة (فخذ من الروقة) رئيسهمساير التوم، وكان شيخاً مسناً وفرسه ليست من السوابق، فجاءت ابنته(قويلة) إلى بخيت قبل الغزو، وأعطته قطعة لحم من الذبيحة هديةً، وأوصته على أبيها، فلمّا اشتبكوا في المعركة، صارت الهزيمة على قوم بخيت، فنجا الفرسان بأنفسهم، وأخذ بخيت يحميهم من الخلف، وعينه على ساير التوم، فرأى قطنان البقمي يحاول أسره، فتصدى له بخيت، وقتله، وأخذ فرسه، وأنقذ ساير من الأسر، وقال بخيت في هذه المناسبة قصيدته التي منها

يا قويلة جينا بمَن يذبح الكوم لو راح ما تنفع سمان العذارى

إلى أن قال :

أبوك نعم فيه ما يلحقه لوم لا شك غوجه قاصر بالمغارا

يا سابقي عرضك بعيدٌ عن اللوم لاجا نهار مثل هاك النهارا

تهوي كما يهوي من الجو صيروم يبا العشا من نابيات الفقارا

وكثيرمن المعارك تخلف خسائر كبيرة في الأرواح والأموال، خاصة إذا تحالفت قبائل ضد قبائل أخرى، أوجاء غزو من الخارج وتحالفت معه بعض القبائل ضد قبيلة معينة، فإنّ الانتصار لايحصل إلا بخسائر كبيرة. قال ابن بشر: في أحداث سنة ١٢١٠هـ سيّرالشريف

غالب بن مساعد عساكر كثيرة إلى نجـد، وجعـل قيادتهـا لفهيـد الشريف، فأغـاروا على هادي بن قرمله وقومه، وهم علـى (مأسـل) المـاء المعـروف في عاليـة نجـد، فتقـاتلوا أشد القتال، فانهزم القحطانيون بعد ماقتل من الجحادر نحو ثلاثين رجلاً، فمشى المنهزمون من الرجال والنساء، والأطفال على أرجلهم بغير رواحل في شدة القيظ، فلمّا أشرفوا على الهلاك أنشأ ا الله لهم سحابة فأمطرت عليهم فشربوا، وارتـووا فـأنقذهم ا الله بهـا مـن الهـلاك أهـ و((أصل الغزو تابع للأخذ بالثأر، وهو شغل البـدوي الشـاغل، بـل هـو أكـبر مشـغلة))(1)، وأكثر الشعر العامي تسجيل لهذا الغرض الغزو، وما يتعلق به! لكن هذه الهواية ـ هواية الحرب، والغزو ـ تحولت مع مرور الزمن إلى السلب والنهـب فكـان الرجـل يمسي غنياً، ويصبح فقيراً، حتى اتخذت مهنة رئيسة ((عندما افتقدوا مقومات الحضارة فأخذوا ينـتزعون القوت بالقوة ممن يملكه))(2)، وزرعت الضغائن، وولدت الأحقاد بينهم، وضعـف أو انعدم الإخاء بين المسلمين، وحلّت محله العنصرية البغيضة، وحميـة الجاهليـة الـتي نهى عنها الإسلام، وتوعّد أصحابها بالعذاب الشديد. والحقيقة أن حياة أهـل نجـد في تلك الحقب، وأيامهم لاتختلف كثيراً عن حياة الجاهليين، ومازال أكثرهم يعدهـا جاهليـة، قـال لي أحد الشيوخ، عندما سألته عن أحد الشخصيات: هذا كان في الإسلام!، وحـارب مـع الإخـوان، وذاك قبل الإسلام لأنه لم يحارب مع الإخـوان! والحقيقـة أنهـم مسـلمون مـن قبـل الدعوة الإصلاحية، لكن الجهل، وانتشار البدع قد أضعف الوازع الديني حتى تحولـت حياتهم في كثير من الجوانـب إلى حيـاة جاهليـة. ومـن ينظـر في تـأريخ العـرب يجـد أنـه مـا ظهرت العصبيات المبنية على النعرات الجاهلية إلا اختفت روح التسـامح، والتـآخي بينهـم، وكان

---

[1] ـ أبو عبد الرحمن بن عقيل تاريخ نجد في عصور العامية ٣/ ٩٧

[2] ـ محمد كشك: السعوديون والحل الإسلامي ص ١٠٦

ظهورها دائماً مصاحباً للتقهقر، والتخلف، فإذا تقدم العرب اختفت من بينهم، هذه الأخلاق الجاهلية، وكلنا يعلم أن الذين فتحوا نصف العالم، ماكانت أخلاقهم إلا مبادئ الإسلام، وروحه الصافية . والحقيقة أن هؤلاء الرجال ـــ رجال البادية ـــ لم تنقصهم الشجاعة، وقد صدق أبو عبدالرحمن عندما قال: ((كل واحد منهم يصلح أن يكون قائد جيش عرمرم)) ولكنها في غير محلها. وفي مثلهم قال البحتري:

وفرسان هيجاء تجيش صدورها   بأحقادها حتى تضيق دروعها

إذا احتربت يوماً ففاضت دماؤها   تذكرت القربى ففاضت دموعها

((فقد شهدت هذه الجزيرة معارك دامية طاحنة، بين أحلاف من القبائل كما شهدت يومياً عدداً من الغارات والثأرات...

وهذا الظرف العابس هيأ لأهل الجزيرة استعذاب المكاره حتى صار الصبر على لوعات اليتم، والثكل من سجية النساء والصغار فضلاً عن الكبار. وكل من تغنى بنجد، وترابها في عصور العامية إنما ينطق بلسان المتنبي حيث يقول:

أحبك يا شمس البلاد وبدرها   وإن لامني فيك السها والفراقدُ

وذاك لأن الفضل عندك باهر   وليس لأن العيش عند ك باردُ

وعن هذا الظرف العابس ولدت كفاءات حربية نادرة في ممارسة الحرب، وولدت فرسان يعتبر نضالهم، واستبسالهم من خوارق العادات، لاسيما في عرف أبناء الجيل منذ أصبح الظل في بلادنا بارداً وكان وازع الإسلام ضعيفاً جداً في واقع هؤلاء منذ استباحوا الدماء بينهم، فإن وجد عندهم شئ من الرحمة فبحكم العرف المتوارث فقط. ونثر الدماء المعصومة ليس جريمة ولا ذنباً عندهم، بل هو فضيلة يتغنون بها!

والسلب، والنهب، وأرذل ما في ذلك، وأخزاه لصوية الحيافية مما يتغنى به زعماؤهم، وفرسانهم... وهذا جهز بن شرار يعتبر النهب مكرمة من ا لله، قال:

كم ذود مصلاح نجي به ليا هيب حنا السهب يوم ا لله أمر بمده

فالمال المنهوب المقتول صاحبه نعمة يشكرون ا لله عليها ويستزيدونه منها، وليس ذنباً يستغفرون ا لله منه! وقال طايل السلات في الحيافة:

حلفت أنا لأضوي ليا هوّع الليـــل متهذلف ضيف لجزل العطيـه

وأصبحت ألاحي لي نياق شماشيل مهديهـن المولى عليك وعليه

((وأسباب الحرب التافهة التي تولدت عنها تلك الحروب وتولد عنها الشعور القبلي دون الشعور بأمة واحدة أسباب [لاخير فيها] جعلت تدمير الأمة في تدبيرها وأريقت على حصباء الجزيرة دماء لن تحتاج الجزيرة إلى التضحية إلا بالقليل منها، ولو أريقت في سبيل ا لله، لأن الفارس العربي الذي يعدل فارساً عربياً من بني قومه إنما يعدل مئات من فرسان الأعلاج، واستمرار هذه الحال أدى إلى استمرار الجوع، والشظف، والخوف ، والجهل، والمرض، وهوان خطر الأرض، حتى جاء **الملك عبد العزيز** رحمه ا لله، فوجّه هذه البطولات النادرة الخارقة إلى أمة واحدة، ذات هدف، فكانت انتصارات **الإخوان**، ــ وهم البادية بعد تهجيرهم ــ من أعاجيب الدنيا، وبفضل ا لله، ثم بفضل هذه البطولات، والانتصارات وحّد عبد العزيز جزيرته. وقبل ظهور عبد العزير [آل سعود] كان حاكم نجد الأمير عبد ا لله بن رشيد ــ رحمه ا لله ــ إلا أنه كان شريك الحال في فوضوية أهل الجزيرة، فمقياس النصر عنده أن يغير على عنزة، فيسلبها، أو يغير على عتيبة أربعين غارة، لينال منها، ولو كان عنده شعور الزعيم ببناء دولة لوحد هذه البطورت، ولكانت فرصته قبل ظهور الملك عبد

العزيز لتوحيد الجزيرة، وإقامة دولة حضارية، ولكن شتان بين عقلية الزعيمين))(١).

وافتخربعضهم بقتل بعض، وماكان للمسلم أن يفتخر بقتل أخيه وهو يؤمن بقول الله تعالى: ((ومَن يقتل مؤمناً مُتعمداً فجزاؤه جهنم خالداً فيها وغضب الله عليه ولعنه وأعدّ له عذاباً عظيماً)) النساء آية ٩٣

---

[1] ـ أبو عبد الرحمن بن عقيل: تأريخ نجد في عصور العامية ٣ / ٣٧ ــ ٣٩

الدعوة الإصلاحية في نجد

مَن يكتب عن تأريخ نجد في العصر الحديث، لابد أن يقف عند أهم حركة إصلاحية في نجد، بل في العالم العربي، والإسلامي كله. وهي دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب ـ رحمه الله ـ الدعوة التي أنقذ الله بها نجدا من الفوضى السياسية التي كان يعيشها قروناً عدة. ولن أتكلم عن تأريخ الدعوة، ومبادئها، فهي معروفة مشهورة، وهناك مؤسسات تعليمية تقوم على مبادئها، بل دولة قد تكون أهم الدول الإسلامية في المنطقة، وهي دولة آل سعود، التي تبنت الدعوة، ورعتها منذ أن بزغ نورها، حتى اكتمل بناؤها في المملكة العربية السعودية، فقد قامت هذه الدولة على المبادئ الإسلامية العظيمة، فقضت على الفوضى السياسية، و أوقفت الحروب بين القبائل بعضها مع بعض، أو بين القرى المتناحرة فيما بينها، وحاربت البدع والخرافات، فعمَّ الأمن أرجاء البلاد. قال المؤرخ العراقي الشيخ عثمان بن سند البصري الكويتي الأصل ـ من جزيرة فيلكا الكويتية ـ: ((ومن محاسن الوهابية أنهم أماتوا البدع ومحوها ... وأمنوا البلاد التي ملكوها ... وصار جميع العرب على اختلاف قبائلهم ... كأنهم إخوان أولاد رجل واحد ... فهذا بيت عنزي، وبجانبه بيت عتيبي، وبقربه بيت حربي)) (١)، ((فلا يلقى بعضهم بعضاً في المفازات... إلا بالسلام والرجل يجلس مع قاتل أبيه، وأخيه كالإخوان، وزالتْ سنن الجاهلية، وزال البغي والعدوان، وسيِّبت ... المواشي في الفلوات [تنتج في مواضعها] آمنات))(٢). والذي يعنينا في هذا البحث هو موقف المجتمع النجدي من الدعوة، وخاصة البادية موضوع البحث. لكن لايمكن لنا أن نتكلم عن موقف البادية دون أن نطلع على مواقف الآخرين من المعارضين، والمؤيدين في الداخل، وفي الخارج، لتأثر هذه المواقف المختلفة بعضها ببعض. يحدثنا التاريخ

---

[١] ـ انظر رأي الشيخ عثمان في: محمد كشك: السعوديون والحل الإسلامي ص ١٣٢

[٢] ـ عثمان بن بشر: عنوان المجد في تأريخ نجد ص ٣ ـ ٤

أن كل مبدأ جديد أو حركة إصلاحية دينية أو غير دينية يكـون لهـا أنصـار، ومعارضون، وتكون المعارضة قوية في البداية، وتجابه عند أول ظهورها بمقاومة كبيرة من المجتمع الذي تظهر فيه، وتستمر المقاومة بين الطرفين حتى يتغلب أحدهما على الآخر، وغالبـاً ما يكون الانتصار للأصلح. فعندما يكون قوياً في مبادئه فإنـه يكسـب الأنصـار المخلصين تدريجياً في الوقت الذي يضعف فيه الجانب المعارض شيئاً فشيئاً، ومـع مـرور الزمـن تـزداد الحركات الإصلاحية قوةً حتى تتغلب على القوى الآخرى. ولما ظهرت الدعوة الاصلاحية في نجد كان لها مؤيدون، ومعارضون كغيرها من الدعوات الإصلاحية، وهناك طائفة أخرى من المجتمع التزمت جانب الحياد في بادئ الأمر، كبعض القرى، وبعض القبائل الـتي لم تكـن تعارض الإصلاح، لكنها تسانده، ولا تدعو إليه، وهذه الطائفـة انقسـمت فيمـا بعـد بـين الطائفتين المؤيدة والمعارضة دون أن يتغير موقفها الحقيقي، وذلك عندما شعرت بأن الحياد غير ممكن. وقد مرت الدعوة الإصلاحية في نجد بعـدة مراحـل، اختلفـت فيهـا المواقـف في كـل مرحلة حسب تغير الظروف المحيطة بالمنطقة:

المرحلة الأولى بداية الدعوة: لقد كان للنهج الذي سار عليه محمد بن عبد الوهـاب، وأنصاره أثره البالغ في المجتمع النجدي قبل أن ينتشر في غيره من المناطق، فقد كان رحمه الله على قدر كبـير مـن العلـم، والأخـلاق الفاضلـه، وكـان عالمـاً بحقـائق التوحيـد، وتميز بالذكاء، وحدة المزاج الـذي غالبـاً مـا يكـون سمـة النوابـغ، والأذكيـاء. لهـذا كـان قويـاً في شخصيته، قوياً في رده، ومجادلته للمعارضين، مما زاد من ثقة أنصاره به، واقتنع كثير من الناس بسلامة نهجه، فاتبعهوه مقتنعين، ولاذ المعـارضون للـدس، والكيـد عندمـا فشلوا في اقناع الناس بالحجج، والبراهين. وفي هـذه المرحلـة مرحلـة البدايـة ماكـان يؤيـد الدعـوة إلا المخلصون المقتنعون بسلامة نهجهـا، وماكـان معارضوهـا إلا العصـاة، والفسـقة، والكـارهون

للحق، والتزم كثير من الناس في القرى، وفي القبائل الحياد، فهم لايكرون الحق، ولكنهم لايضحون بشئ من أجله، ولم يتغير موقفهم هذا إلا في المرحلة الثانية.

المرحلة الثانية وفيها ازداد عدد أتباع الدعوة، وكثر أنصارها، وأصبحت قوة يحسب لها حساب. ومع ذلك لم يكن الشيخ، وأتباعه راغبين في الصدام مع المعارضين، فالدعوة بالحكمة، والموعظة الحسنة هي الأساس الذي يسيرون عليه ((قل هذه سبيلي أدعو إلى ا لله على بصيرة أنا ومن اتبعن))(١). لكن المعارضين هم الذين بدأوا الصدام مع الشيخ، وأنصاره عندما شعروا بأن مراكز في المجتمع أصبحت في خطر، وأن ماتعوّدوا عليه من البدع سيزول إذا لم يدافعوا عنه، فبدأت غاراتهم على الدعوة، وأنصارها، ولم تكن هناك سلطة أو قانون يمنع المعتدي، بل لم يكن هناك نظام يلتزم به المجتمع، علاوة على الجهل الذي كان يخيم ظلامه في المنطقة منذ عدة قرون، فلم يدرك أكثرهم قيمة هذا النور الذي جاء يحمل مصباحه ابن عبد الوهاب، فخافوا كما يخاف اللصوص نور الفجر. فلما هاجموا الدعوة، حمل أنصارها لواء الجهاد، في سبيل ا لله، وكانت الحرب سجالاً بين الطرفين، لكن انتصارات الدعوة الإصلاحية كانت أكثر. وفي هذه المرحلة تغير موقف المحايدين، فبعد أن كان المجتمع النجدي في بداية الدعوة ثلاث طوائف أصبح في هذه المرحلة طائفتين، فانقسم المحايدون في الطرفين المتنازعين، لما شعروا بأن الحياد غير ممكن، فالمحافظة على المكانة الوهمية في المجتمع، ورغبتهم في الاستقلال الذي كانوا يمارسونه عدة قرون كل هذا أملى عليهم هذا الموقف، فبعض الذين انضموا للدعوة أو انضموا إلى معارضيها في هذه المرحلة كان أكثرهم لايفضل طرفا على آخر على مايبدو بدليل تغير مواقفهم عندما يميل الموقف لصالح طرف ضد الآخر، فبعض القرى، وبعض القبائل التي انضمت للدعوة كانت تقف خلف

---

[1] ـ آية ١٠٨ سورة يوسف.

لاتعدو الكسب المادي من غنائم الحرب الآنية، وعلى مايبدو أن هؤلاء غير كارهين للحق، فهم كلهم مسلمون، وأهل نجد لايوجد بينهم غير مسلم منذ أن بسط الإسلام ظلاله على جزيرة العرب، ولم يكن أحد منهم يرغب في اعتناق غير الإسلام، لكن ماكان يمارسه بعضهم من البدع الدينية أبعدتهم عن جوهره الصحيح. لهذا أرى أن المؤرخين الفاضلين ابن بشر، وبن عنام كانا يبالغان كثيراً عندما يقتصران بوصف المسلمين على أنصار الدعوة.

زعمائها أين ما اتجهوا وتنظر إلى مصالحها القريبة التي

قلت: إن انتصارات الدعوة كانت أكثر من انتصارات خصومها في هذه المرحلة حتى وصلت قواتها إلى الحجاز، والعراق، وجنوب الجزيرة العربية، ووصلت إلى الخليج العربي. وفي هذه المرحلة اختفى المعارضون للدعوة في نجد.

أما المرحلة الثالثة فقد بدأت عندما بدأ التدخل من خارج المنطقة فقد سيرت الدولة العثمانية حملات عسكرية كبيرة من مصر، والعراق للقضاء على الدعوة، ووقف نشاطها، وكان أخطرها حملات الباشا محمد على التي قدمت من مصر، وتمكنت بعد عدة حملات من تدمير الدرعية في صيف سنة ١٢٣٤هـ ١٨١٨م، وأسر كثير من العلماء، والأمراء، وأسرت إمامها المجاهد عبد الله بن سعود، وأرسلته إلى تركيا حيث أعدم هناك. وهذا التراجع الكبير للدعوة كان تراجعاً عسكرياً أكثر من أن يكون تراجعاً منهجياً. وفي هذه المرحلة تغيرت بعض المواقف داخل المجتمع النجدي، فتراجع بعضه عن تاييد الدعوة، والوقوف معها، بل إن البعض انضم إلى قوات الباشا، للحصول على الغنائم، وهذا كما قلت دليلاً على أن بعض من أنضم إلى الدعوة في المراحل السابقة كان غير مخلص لها. وكل هذه المراحل السابقة تمت في عهد الدولة السعودية الأولى التي استمرت من سنة(١١٦٧إلى١٢٣٤)هـ (١٧٤٤إلى١٨١٨)م

المرحلة الرابعة، وهـي مرحلـة انتقاليـة بـدأت فيمـا بـين تدمـير الدرعيـة، وفـترة الاستيلاء المصري، وبين قيام الدولة السعودية الثالثة. وفي هذه المرحلة الانتقالية قامت الدولة السعودية الثانية مـن سنة(١٢٣٦إلى سنة ١٣٠٢)هـ مـن (١٨٢٠ إلى ١٨٨٤)م وفي آخرهـذه المرحلة أيضاً نشطت إمارة آل رشيد في حائل.

المرحلة الخامسة التي شهدت قيام الدولة السعودية الحديثة عندمـا فتـح الملـك عبـد العزيز الرياض سنة (١٣١٩ هـ ١٩٠١) م. وقـد كـان فضـل الله عظيمـاً علـى أهـل نجـد في العصر الحديث، فقد أظهر منهم الشـيخ محمـد بـن عبـد الوهـاب الـذي أنقذهـم مـن ظـلام الجهل، وردهم إلى الطريق الصحيح على هـدي محمـد صلـى الله عليـه وسـلم، وعلـى نـور الإسلام العظيم، ثم أظهر منهم سياسياً عظيماً هو الملـك عبـد العزيـز الـذي وحدهـم في دولـة عصرية جمعت الشمل، ووطدت الأمـن وألفت بـين القلـوب، ولم يكـن ذلـك ليتحقـق لـولا الاعتصام بالله، والعمل الجاد ليلاً، ونهـاراً، فلـم تكـن الصعوبـات التـى واجهـت تأسـيس الدولة في هذه المرحلة هينة، ولايسيرة، فالمجتمع النجدي، كان يعاني من الفرقة بين القرى بعضها مع بعض، وبين القبائل المتناحرة على المراعي، والتدخـلات الأجنبيـة تزيـد الفرقـة فيما بينهم، والمجتمع الذي يعاني من هذا الواقع، ويتذكر مرارات التجارب السابقة، كـان أيضاً يتذكر دعوة الشيخ، ومحمد بـن عبـد الوهـاب، وكـانت روح الدعـوة تسـري في دمـه، فتجاوب أكثر أبناء هذا المجتمع مع تطلعات الملك عبد العزيز، فظهرت حركة الإخوان التي كانت الساعد القوي للملك عبد العزيز، فقهر بهم الأعداء في الخارج، والداخل، وضرب بهم قوى الشر، فتمكن من تأسيس هذه الدولة المترامية الأطراف. ثم أظهـر الله لهـم مـن خزائـن الأرض كنوزاً لم يحلموا بها، فتمت نعمة الله علـى عبـاده، فلـه الحمـد، والشـكر، والثنـاء أولاً، وآخراً. وسـيبقى هـذا الجيـل والأجيـال اللاحقـة مدينـة بـالفضل لله، ثـم لابـن عبـد

الوهاب، وابن سعود، والرجال الذين جاهدوا معهم. لقد ظهرت الدعوة الإصلاحية في نجد في فترة عصيبة من تأريخ المسلمين، والعرب خاصة، فالخلافة العثمانية التي تحكم أجزاء كبيرة من العالم الإسلامي، ومنه الوطن العربي، وحملت لواء الإسلام إلى أوربا كانت دولة عسكرية بحتة، وأعني أنها أهملت الجانب العلمي، والجانب الاقتصادي، وكما هو معروف:

بالعلم والمال يبني الناس مجدهمُ لم ينبنَ مجدٌ على جهل وإفلاسِ

فنامت الشعوب الإسلامية في ظلام الجهل، فلما استيقظت وجدت نفسها قد نشبت في أوحال التخلف العلمي والإقتصادي (١). وفي هذا الظرف بزغ نور الأمل في نجد، فظهرت الدعوة الاصلاحية التي كانت ((تحدياً للمصير الذي كان ينحدر إليه الشرق، والمسلمون أمام تفوق أوربا، [فظهورها كان] تحركاً مضاداً للاتجاه الأوربي الذي كان يهدف لإبقاء التخلف الإسلامي كقاعدة لازدهار، ونمو، وتوسع الحضارة الأوربية، القائمة على استعمار الشرق، باعتبار أن الإسلام... مركز المقاومة الوطنية التي يحسب حسابها... [وقد وصف بعض المؤرخين] ((الكارثة التي كانت تواجه العالم الإسلامي فقال: في أقل من قرن لم يقتصر الأمر على الإحداق بالعالم الإسلامي، بل أمكن تطويقه تماماً، ووضع الطوق حول رقبة الفريسة ... وبالنسبة للجانب الإسلامي أصبح الموقف هو محاولة الإفلات من ذلك

---

[1] ـ لا أريد بهذا أن أحمّل العثمانيين مسؤلية تخلف العرب، فالعرب هم المسؤولون عن ذلك لأنهم أضاعوا حقوقهم، عندما اعتمد الخلفاء العباسيون على العنصر الأجنبي، الذي مزّق الخلافة، وجعل الموالي يحكمون العرب، في أهم الولايات، وإن كان هذا يدل على سماحة الإسلام، فإنه يدل أيضاً على تفريط العرب في حقوقهم التي خصّهم الله بها، قال تعالى: ((وإنه لذكر لك ولقومك، وسوف تسالون)).

المأزق العصيب))[1]. وكان حال الدعوة، وصاحبه المجدد في أول عهدهـا كحـال أيّ دعـوة أوفكرة جديدة، يكون لها مؤيدون، ومعارضون على أن الحقيقة التي لاجـدال فيهـا هـي أن الدعوة قامت بعد توفيق ا الله لها بجهود مؤسسها [2]، والرجال الذين وقفوا وجاهدوا معـه، وبعده، وفي مقدمتهم، أمراء آل سعود، دون أي دعم خارجي، وقد يكون من جزاء ا الله لهـم في الدنيا، أن عوّضهم بإمارتهم الصغيرة في الدرعية دولة، تعد اليوم من أكبر الـدول وأغناهـا وأهمها في المنطقة، وكان النجديون أول من جاهد لرفع راية التوحيد، ونصرة الدعوة، حتـى الذين عارضوها في بادئ الأمر، مالبثوا أن انضوى الكثير منهـم تحـت رايتهـا، ثـم سـنادهم إخوانهم في الأقـاليم المجـاورة فيمـا بعـد، ولم تخمـد روح الجهـاد في نفوسـهم الحمـلاتُ العسكرية، التي شُنت عليهم، حتى تلك التي دمرت الدرعيـة، وأعدمـت إمامهـا المجـاهد

---

[1] ـ محمد كشك: السعوديون والحل الإسلامي ص ١٠١ ـ ١٠٣

[2] ـ ولد الشيخ محمد بن عبد الوهاب بن سليمان التميمي سنة ١١١٥هـ ١٧٠٣م في العُيينة بـوادي حنيفة قرب الرياض، وقيل في حريملاء، وظهرت عليه علامات النضج والبلوغ الجسمي والعقلـي مبكراً فتزوج وعمره اثنتاعشرة سنة، ثم حج وزار المدينة، ثم عاد إلى بلدته، وأخذ يقرأ على والده كتب الفقه والحديث والتفسير، ثم زار الحجاز والبصرة مراراً، وكان أكـثر إقامتـه بـالبصرة فقـرأ كتب اللغة والحديث على الشيخ محمد المجموعـي، وبـدأ دعوتـه فيهـا، لكـن البدايـة الفعليـة كانت عندما عاد إلى وطنه العيينة، وكان عثمان بن معمر أمير العيينة سنده القوي، حتى تخلـى عنه بعد تهديد ابن عريعر له، فرحل إلى الدرعية، وفيهـا بـدأ العهـد التـاريخي بينـه وبـين آل سعود سنة ١١٥٧هـ ١٧٤٤م. وقد توفي الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه ا الله في الدرعيـة سـنة (١٢٠٦) هـ (١٧٩٢) م.

(١)، وأعادت المنطقة إلى الفوضى السياسية (٢)، ولم تخمدها الحرب الأهلية التي سببها النزاع على السلطة في الدولة السعودية الثانية، فقد بقيت روح الجهاد، وروح الدعوة تتأجج في نفوسهم، حتى توجوا جهادهم بتوحيد المملكة العربية السعودية، على يد البطل عبد العزيز (٣)، وبنوا للأجيال اللاحقة، وطناً يُحسدون عليه. ولم يستند المعارضون إلى حجة

---

[١] ـ هو الأمير عبد الله بن سعود الكبير الذي أسره إبراهيم باشا بن والي مصر محمد علي باشا، عندما حاصر الدرعية في صيف سنة ١٢٣٣هـ ١٨١٨ م، حتى استسلمت بعد حصار خمسة أشهر، وبعد أن تكبدت كثيراً من الخسائر في الأرواح، فقد جاء إلى خيمة الباشا، وقال ((ماغلبتنا جنودك، وإنما الله أراد ذلنا)) كلمات المؤمن الصابر الراضي بقضاء الله وقدره، فأخذ إلى مصر، ومعه حوالى أربعمائة من العلماء والأمراء، فلما وصل مصر، بقي فيها يومين، ثم أرسل مع اثنين من رجاله المخلصين كرها أن يفارقاه ـ إلى الاستانة، وهناك طوفوا بالأسواق يومين، ثم نُفذ فيهم حكم الإعدام في اليوم الثالث.

[٢] ـ في هذه الفترة قامت الدولة السعودية الثانية، فعملت ما أمكن عمله لتخفيف أثر الصدمة العنيفة في نفوس الناس من جراء تدمير الدرعية، وما أعقبها من دخول الأتراك المنطقة، وقد تخلل هذه الفترة فترات هدؤ واستقرار نسبي في عهد كل من: الإمام تركي بن عبد الله (١٢٣٦ ـ ١٢٤٦) هـ (١٨٢٠ ـ ١٨٣٠) م، وعهد ابنه فيصل في فترتي حكمه وخاصة فترة حكمه الثانية (١٢٥٨ ـ ١٢٦٨)هـ (١٨٤٣ ـ ١٨٦٨) م، وفيصل بن تركي هوالذي مكّن عبد الله الرشيد من حكم حائل، لكن ابنه محمد تنكّر لهذا المعروف ونازع آل سعود على حكم نجد في آخر عهد الدولة السعودية الثانية.

[٣] ـ هو عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل آل سعود، مؤسس المملكة العربية السعودية، من عظماء الرجال في العصر الحديث، غادر الرياض طفلا مع والده وأسرته، عندما اختلف أعمامه على السلطة، فضيّعوها، فاستقروا في الكويت برهة، ثم عاد شاباً لم يتجاوز الثانية والعشرين من

صحيحة تقدح في الدعوة، أو في صاحبها لكن الناس أعداء ماجهلوا، ولهذا كان للدعوة معارضون من الداخل في بادئ، الأمر بقدر ماكان لها من مؤيدين، وكان التأييد منحصراً في الداخل أمّا المعارضون، فقد كان أغلبهم من الخارج، وخاصة بعد ما اتسعت رقعة المنطقة التي شملتها الدعوة. فمعارضو الدعوة الإصلاحية، كانوا كثرا لكنهم يقلون مع مرور الوقت في الداخل، ويزدادون في الخارج، ومع ذلك فقد استمرت الدعوة حتى أثمرت ثمارها الطيبة، ومن الغريب أن يكون من أول المعارضين أخو الشيخ صاحب الدعوة (١)، وبعض العلماء منهم اثنان من علماء الرياض هما: محمد بن سحيم، وابنه سليمان اللذان سعيا بصاحب الدعوة إلى علماء الحرمين، وعلماء الأحساء والبصرة، وطلبا منعه، والتصدي له ولدعوته، لذلك قال الشيخ محمد في بعض رسائله: ((ولايخفاكم أن الذين عارضونا في هذا الأمر الخاصة لا العامة)). فكثير من المحسوبين على العلماء وقفوا ضد الدعوة، وللشيخ رسائل في محاورتهم، والرد عليهم، ذكرها ابن غنام في تأريخه، وقد أثرت مواقف هوءلاء في العامة، وضللت الكثيرين منهم. أمّا المقاومة المسلحة، فأول من بدأها حاكم الرياض دهام بن دواس عندما هاجم منفوحة لمنع أهلها من اعتناق الدعوة، فتصدت له قوات الدرعية عاصمة الدعوة، وساندت أهل منفوحة، ثم جاءت الهجمات من الشرق من بني خالد، وخاصة عريعر بن دجين، وابنه سعدون اللذين قاما بعدة هجمات على الدرعية، وعلى القرى الموالية لها ولكنها صُدت جميعاً، وكان يقف وراء هذه الهجمات الوالي العثماني في بغداد،

عمره إلى الرياض فاتحاً عهداً جديداً في تأريخ نجد سنة ١٣١٩هـ ١٩٠١م وتوفي سنة ١٣٧٣هـ بعد حياة مليئة بالكفاح والنضال الموفق ، الذي توجه بتوحيد المملكة العربية السعودية

(١) - هو سليمان بن عبد الوهاب قاضي حريملاء عارض دعوة أخيه محمد وكتب رسالة في ذلك، ثم تراجع عن موقفه، وندم.

وقبائل المنتفق وبعض القبائل النجدية. يقول الشيخ في بعض رسائله: ((أمّا القتال: فلم نقاتل أحداً إلى اليوم إلا دون النفس والحرمة، وهم الذين أتونا في ديارنا ولا أبقوا ممكناً، ولكن قد نقاتل بعضهم على سبيل المقابلة، وجزاء سيئة مثلها)). وفي الغرب كان هناك الشريف غالب صاحب مكة، فقد طلب من الدرعية أن يرسلوا له أحد العلماء ليعرض عليه دعوة الشيخ، فأرسلوا له الشيخ عبد العزيز الحصين، فعرض عليــه حقيقـة الدعـوة فتظـاهر بالموافقة أول أمره، ثم تراجع وقرر الحرب، فجهّز حملة عسكرية كبيرة بقيادة أخيه عبد العزيز، فقدمت هذه القوات حتى وصلت قصر بسام في السر في نجد، فحاصرته، ثم عجزت عن اقتحامه، ثم رجع إلى بلدة الشعراء، وهناك لحـق بـه أخـوه غـالب بقـوات أخـرى، فحاصروها، ثم انسحبوا دون أن تحقق هذه القوات أي شئ من أهدافها! هذه القوى كان لمواقفها أثر على القبائل النجدية، فبعضها ينضم إليهم، في حملاتهم على قوات الدرعية، ولكن جميع هذه الحملات فشلت في أن تنال من قوة الدرعية المتنامية، التي أخذت تقوى، وتزداد مع مرور الزمن، حتى عمت سيطرتها جميع قرى وقبائل نجــد، ووصلـت إلى أرض السماوة شمالاً، ووادي الدواسر جنوباً، والأحساء شرقاً وجبال السروات غرباً، ممـا حمـل القبـائل المعارضة على النزوح من نجد [1]، بعيداً عن سيطرة قوات الدعوة. وهذه القوى المتصارعة في المنطقة كانت تتنازع ولاء القبائل النجدية، التي ليس لهـا هدفـاً في الحـروب الدائـرة، إلا ماكانت تحصل عليه من غنائم مادية، لذلك كانت تقف اليـوم مـع جـانب، وتقـف غـداً ضده مع الجانب الآخر. مما جعل قوات الدعوة تشن حملات عسكرية على بعض القبـائل لتغير من مواقفها، حتى تلك القبائل التي لزمت الحياد لم تُترك حتى تتخـذ موقفـاً معيناً فلابد من

---

[1] ـ كقبيلة الظفير، وقبيلة عنزة. وبعض فروع قبيلة شمر. فقد نزحـت هـذه القبـائل إلى الشمال واستوطنت أرض الجزيرة في العراق، وبادية الشام، وشمال المملكة العربية السعودية فيما بعد.

تصفية الحسابات قبل أن تنضم إلى القوى المعادية. وفي فترة الحروب الأهلية في آخر عهد الدولة السعودية الثانية، نشطت إمارة حائل، بعد أن دعمتها الدولة العثمانية فتقوى موقف آل الرشيد حكامها، فأخذوا يشنون حملات عسكرية على القبائل والقرى النجدية، لتغير من ولائها للقوى السابقة، ولأخذ الزكاة منهم، ومنعهم من دفعها لغيرهم، وقد اشتدت حملاتهم على القبائل، في عهد محمد بن عبد ا لله الرشيد ١٢٨٨- ١٣١٥هـ ١٨٧١-١٨٩٧م الذي بايعته أكثر القبائل النجدية كرهاً، لاحباً، وهو الذي يقول فيه مخلد القثامي العتيبي:

وا لله يا لولا شيخ لفتنا زكايـــاه ما نعطي الجيرة للحاربينا

شيخ تجئ له سُبّق الخيـل مهـداه ابن رشيد مروع الغافلينا

وظل دور بن رشيد يتنامى، حتى ظهر عبد العزيز بن سعود، و استرد الرياض منهم، واستمرت المواجهات العسكرية بين الطرفين، ودارت بينهم عدة معارك من أهمها معركة روضة (مهنا) سنة ١٣٢٤هـ ١٩٠٦م التي قُتل فيها عبد العزيز بن رشيد، ومعركة (جراب) سنة ١٣٣٣هـ ١٩١٥م التي انهزم فيها ابن رشيد، وقتل فيها مندوب بريطانيا الكبتن شكسبير، وهو مع جيش عبد العزيز آل سعود، وبعد هذه المعركة أخذ دور الرشيد يضعف حتىانتهى نهائياً بضم حائل لابن سعود. وقد نجحت قوات الدعوة في دورها الأول في ضم أغلب قبائل نجد إلى صفوفها، فكونت منهم جيشاً قوياً، أرهب الأعداء، وحمل راية التوحيد إلى أماكن بعيدة في أطراف الجزيرة العربية. ولم تنجح حملات ابن رشيد في كسب ولاء القبائل النجدية إلا ما قلّ، ولم تنجح في إعادة الأمن والنظام إلى المجتمع في نجد بل زادت من الفوضى والارتباك بين القبائل، وأخذ ابن رشيد يضرب بعضهم ببعض، عملاً بقول القائل: فرقْ ، تسدْ، لكن تأثير الدعوة الإصلاحية في المجتمع النجدي كان كبيراً، فبقي الولاء لها كامناً في النفوس حتى جاء عبد العزيز آل سعود ففجّره، في حركة الإخوان

أو جيش التوحيد (1)، فتمكن بهم من توحيد المملكة العربيــة السـعودية، فتحولت القبائل المتناحرة إلى شعب واحد، ومجتمع مترابط، يؤمن بمبادئه وقيمه الإسلامية، حتـى وصل إلى مانراه اليوم، بعد أن استقر أكثره في المدن والقرى، والتزم بالنظام، وأقبل على التعليم والعمل وشارك العالم في الحضارة الحديثة المتطورة، بعد أن كان منعــزلا في صحرائـه، يأكل بعضه بعضاً.

[1] ـ انظر في الكلام عن حركة الإخوان: محمد كشك: السعوديون والحل الإسلامي 501 ـ 604، وأمين الريحاني: تاريخ نجد الحديث 270 ـ 277، ومحمد المانع: توحيد المملكة العربية السعودية 161 - 194

تغير مساكن القبائل

ظاهرة الحروب القبلية التي كانت سائدة في نجد عدة قرون، التي اتخذها أبناء القبائل مهنة رئيسة، وما صاحبها من كوارث القحط والمجاعات والأوبئة، والهجرة القادمة إلي نجد من الجنوب، والغرب، والحملات العسكرية الموجهة إلى المنطقة من الأقاليم المجاورة قبل قيام الدولة السعودية ـ كانت سبباً في انعدام الاستقرار للقبائل في هذه المنطقة، فلا تكاد تثبت قبيلة في مكان واحد، حتى ترحل عنه، وتستوطنه قبيلة أخرى، ولاتختلف قبيلة عن أخرى في هذه الظاهرة، إلا ماندر، ولايُستثنى منها أقوى القبائل وأعتاها وأكثرها عدداً، فإن الكوارث، والحروب المستمرة تأكل الأخضر واليابس، وتجعل القوي ضعيفاً، والغني فقيراً. فكانت القبائل في المنطقة في شبه حركة مستمرة، مهاجرة منه أو إليه، وكانت هجرة قبائل الجزيرة العربية في عصورها المتأخرة ـ كهجرتها في عصورها المتقدمة تكون غالباً من الجنوب، والغرب إلى الشمال، والشرق، وأغلب قبائل نجد الآن من القبائل المهاجرة إليه من الحجاز والجنوب، وسنوضح ذلك ـ إن شاء الله ـ عند ذكر كل قبيلة، وفي ظني أنه لولا نشوء الدول في العصر الحديث، وتحديد الحدود بينها لوجدنا كثيراً من هذه القبائل، التي تسكن نجداً الآن في أماكن بعيدة عنه، وعلى كُلٍّ فالعربي أخٌ للعربي في أي مكان ما تمسّك بإسلامه، وحافظ على إرث محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ، وعلى الشرف الذي خصّه اللهُ به، وكلفه برعايته وتبليغه، فإنّ ماعداه من روابط تعد واهية إذا قيست بروابط الإسلام العظيم الذي:

به اجتمعت أنسابنا بعد فرقةٍ   فنحن بَنِي الإسلام نُدعَى ونُنسَبُ [1]

---

[1] ـ البيت للشاعر الأموي الكميت بن زيد الأسدي (٦٠ ـ ١٢٦)هـ

وفي نجد من الحاضرة مَن يتصل نسبه بقبائل نجدية قديمة كتميم، وعامر بن صعصعة، وفيه قبائل أصولها قديمة في المنطقة كالقبائل الطائية، والغطفانية، وهناك قبائل سكنت نجداً فترة، ثم اختفت منه كبني حُسين المنتسبين للأشراف، ولن يرد ذكرهم ضمن هذا الباب لقلة المعلومات عنهم. وسأذكر أهم قبائل نجد في الوقت الحاضر، والقبائل التي كان لها دور فيه في فترة البحث، أمّا القبائل التي لها صلة قوية بنجد لقربها منه، فقد ترد بعض أخبارها ضمن أخبار قبائل نجد في الأحداث المشتركة بين القبائل، وسأبتدئ بأقدم القبائل سكناً في نجد حسب ما اطلعت عليه من تاريخها، وهو على وجه التقريب لاالتحديد. وقد استفدت كثيراً، من ((تاريخ نجد في عصور العامية)) للعلامة أبي عبد الرحمن بن عقيل، ومن ((صحيح الأخبار)) لابن بليهد الذي قال عنه أبو عبد الرحمن: ((أنه كحب الشعير مأكول مذموم، ولقد مُني بكثيرٍ من الجحدان، والتنكر من قبل المختصين، لا يكاد يذكرونه إلا متعقبين، وما وجدوا له من صالح دفنوا)) (1). وميزة ابن بليهد أنه ذكر من أخبار القبائل ما تعمد إهماله الآخرون، وخاصة أخبار ظاهرة الغزو، وقد أهملها كثير من المؤلفين تجنباً لما قد يُثير الفتن، على أن هذه الظاهرة قد زالت الظروف التي فرضتها على المجتمع النجدي، وقد أصبحت في خبر كان، ولم تكن محبوبة من العقلاء في وقتها، فكيف يمكن أن يكون لها أثر الآن إلا ما يكون فيها من عبرة، وعظة ؟ وقد قال ابن بليهد عن نفسه: ((كنتُ في صغري مشغوفاً بحب الآعراب، والاختلاط بهم، والسماع لحديثهم، وحضور نواديهم، والتعرف برؤسائهم ، واستماع أشعارهم، ومعرفتي لفرسانهم))(2).

---

[1] - أبو عبد الرحمن بن عقيل: تأريخ نجد في عصور العامية ٣ / ١٣٧

[2] محمد بن بليهد: صحيح الآخبار ٥ / ٢٧٢

بنو لام

بنو لام من قبائل نجد الكبيرة التي كان لها دور في أحداثه في القرن التاسع والعاشر الهجريين، ثم بدأ دورهم في التلاشي في القرن الحادي عشر بسبب الحروب، وكوارث القحط، والمجاعات، حتى اختفى نهائياً في منتصف القرن الثاني عشر الهجري تقريباً، وقد أخذت باديتهم في النزوح إلى العراق ابتداءً من سنة ١٠٨٥ هـ[1]، ولم يبقَ في نجد منهم إلا الأسر المتحضرة في القرى والمدن . قال ابن بليهد في صحيح الأخبار: أن بني لام ثلاثة بطون كبيرة: آل مغيرة، وآل كثير، وفضل(الفضول)، ثم قال: أن آل مغيرة مساكنهم في عالية نجد، ويرأسهم عجل بن حنيتم، وكان ذا سلطة، وهيبة، بحيث لايسكن أحد من الأعراب تلك النواحي إلا بإذن منه، وقال: إن له قصرا في وادي الشعراء كانت بقايا أطلاله معروفة عند أهل المنطقة إلى عهد قريب، وأورد البيتين التاليين لابنة هذا الزعيم:

ألا يا بلاد جنب تيما مقيمة ما دامت الشعراء هيام قليبها

أخذنا على ولد الشريف بن هاشم على الحوض حقة من وردها يجيبها

قلت: ولاتزال بقيا هذا القصر موجودة إلى هذا الوقت، وقد وقفتُ عليه بتأريخ ١٤١٧/١٢/٥هـ بصحبة كل من الشيخ محمد بن زيد آل زيد من أهل الدوادمي، والشيخ محمد بن سعد الحمقي من أهل بلدة الشعراء، فدلاني على موقعه، وهو يقع في شمالي غرب بلدة الشعراء في الجهة الغربية من طرف وادي بلدة الشعراء على بعد خمسة أكيال منها تقريباً، ولم يبقَ منه غير كومة كبيرة مربعة الشكل يبلغ طول قطرها حوالي خمسة وعشرين متراً، ويحيط به بقايا سور قطره حوالي مائة متر تقريباً. وقال الشيخ محمد بن سعد الحمقي:

---

[1] ـ عثمان بن بشر: عنوان المجد أحداث سنة ١٠٨٥هـ ، وهي سنة القحط المسمى جرمان؛ الذي غلت الأسعار فيه، وأجدبت الأرض.

إن في التلاع المنحدرة من جبل ثهلان نحو الشرق تلعة تسمى تلعة شماء بنت عجل بن حنيتم. وقال ابن بليهد: الرئيس الثاني ابن عروج يرأس الفضول، وآل كثير ومساكنهم في أسافل نجد و العارض والوشم وسدير، وأنشد قول رميزان صاحب روضة سدير:

حكرنا لها وادي سدير غصيبة   بسيوفنا اللي مرهفات حدودها

حكرنا لها وادي وسالت نخيلها   وفي القيظ من جم البطاحي ترودها

إليا صدر اللامي والأجناب قلطت   حيضانها فاما نردها ترودها[1]

قلت: ذكر بعض المؤرخين أن لآل كثير رئيسا يدعى جساس قتل في معركة بين قومه، وبين عنزة عند بلدة عشيرة في سدير [2]، وأن للفضول رئيسا اسمه غانم بن جاسر، قتل أيضاً في معركة بين قومه والأشراف بقيادة محمد الحارث سنة ١٠٨٨هـ ١٦٧٧م[3]، ولبني لام وقائع كثيرة مع قبائل نجد في عصرهم، ومع القوى الأخرى، وأكثرها مع قرى العارض وسدير والوشم، ومع قبيلة عنزة التي كانت تسكن في الجهة الشمالية من نجد، ومع قبيلة الدواسر التي كانت في الجهة الجنوبية منه، ثم مع مطير، والظفير، و قحطان فيما بعد. وذكر الفاخري أن الشريف زيد بن محسن قتل مهنا بن جاسر الغزي الفضلي[4]، وأن براك آل غرير من آل حميد زعيم بني خالد، انتزع الأحساء من العثمانيين سنة١٠٨٠هـ ثم أغار في السنة التي تليها على نجد، وطرد الظفير، وأخذ آل نبهان من آل كثير على

---

[1] ـ أبو عبد الرحمن بن عقيل: تاريخ نجد في عصور العامية ٣ / ١٦٤ ـ ١٦٥

[2] ـ عثمان ابن بشر: عنوان المجد أحداث سنة ١٠٩٩هـ

[3] ـ عبد الكريم الوهبي: بنو خالد وعلاقتهم بنجدص٢٠١

[4] ـ د/ عبد ا لله الشبل: تحقيق تاريخ الفاخري (الأخبار النجدية) أحداث سنة ١٠٥٧هـ .

سدوس، وذكر وقعة الأكيثال بين الفضول، والظفير (١). ويكثر ذكر هذه البطون في الأحداث منفردة، دون ذكر الاسم الجامع لها (بنو لام)، وقد يكون السبب أنها على غير وفاق، فلا تجتمع ضد عدو إلا قليلاً، وهذه حال بعض القبائل الكبيرة، إذ تكثر فيها الزعامات، ويشتد بينهم التنافس، حتى تظهر الخلافات، ثم الانقسامات، وقد ذكرت بعض المصادر وقوع معركة بين الفضول، وآل مغيرة سنة ٨٥١ هـ (٢). وابن عروج اسمه وديد وهو الذي رثته زوجته بالقصيدة المشهورة، التي يتناقلها الناس في نجد، وترويها الرواة ودواوين الشعر العامي وذكر أبو عبد الرحمن أن له عقبا بالعراق (٣)، وأن زوجته تزوجت أخاه الذي كان يشبهه في بعض صفاته، ولكنه بعيد عن الحرب والغزو، على خلاف ماكان عليه أخوه زوجها الأول، وفيما يلي نص القصيدة:

يا الله يا عايد على كل مضماه	يا مخضر الأرض الهشيم المحائل
أنت الكريم ورحمتك ما نسيناه	تروف باللي بقلبه حاميات الملايل
ألوج مثل أيوب من عظم بلواه	واسهر إلى ما يصبح النجم زايل
على حبيبٍ كل ما قلت أبا أنساه	لذكره تفطني من الهجن حائل
إلى نسيته ذكرتني بطرياه	شيباً ظهرها من عاصيات الجلايل
يلتاع قلبي كل ما أذكر سواياه	كما يلوع الطير شبك الحبايل
لوا حبيبي سبع سنين بفرقاه	عليه أنا قصّيت كل الجدايل

[1] ـ د/ عبد الله الشبل تحقيق تاريخ الفاخري (الأخبار النجدية) أحداث سنتي ١٠٨٠ ـ ١٠٨١هـ

[2] ـ فائز البدراني: من أخبار القبائل ١/ ١٩٩

[3] ـ أبو عبد الرحمن بن عقيل: تاريخ نجد في عصور العامية ٣ / ٩٨ ـ ٩٩

لوا حبيبي يتلف الهجن ممشاه   إلى بغَى لـه نية ما يسايـل

لوا حبيبي يسقي الربع من ماه   دليلهـن لا ضيّعوه الدلايل

لوا حبيبي يرعب الهجن بغناه   من كثر ما يوحيه ليل وقوايل(١)

لوا حبيبي كـل قـوم تنصّاه   تلقى ربوعـه طيبين القبايل

لوا حبيبي تدفق السمن يمناه   ياما ذبح من بين كبش و حائل

لوا حبيبي وافيات سجاياه   عليه غظات الصبايا غلايل

لوا حبيبي دوم للعفن ما أتقاه   ياما كلنه مدمجات الفتايل

لوا حبيبي بين ذولا وذولاه   خلّي بوجه معدلين الدبايل

لوا حبيبي طاح يوم الملاقاه   بنحور غلبا فوق قب السلايل

لوا حبيبي طير شلوى تعشاه   قطّاعة المهجة سناعيس حائل(٢)

ياعارفين أوديد يا طول هجراه   يا ليتني بوديد ما أبغي بدايل

أخذت أخوه أبي العوض ذاك من ذاه   والبيت واحد من كبار الحمايل

عندي مثيله واحد كنه إيّاه   عليه من توصيف خلي مثايل

الزول زوله والحلايا حلاياه   والفعل ما هو فعل واف الخصايل

ويقال: أنه لمّا سمع الزوج الأخير هذا الرثاء قرّر أن يكون مثل سلفه، فغزا، وأطال الغزو فما رجع حتى أنضى ركائبه، وأتعب رفاقه في الغزو، فقالت الزوجة نفسها:

يا بكرتي وش علم حالك ضعيف   أشوف حيلك واني عقب الاردام

---

[١] ـ قصُّ الشّعر عند المصيبة نهى عنه الإسلام، وهو من النياحة المحرمة.

[٢] ـ السناعيس: عبدة من شمّر، وهذه عزوتهم في الحروب، وإن صحّ البيت فهم الذين قتلوه.

عقب الشحم ومهادرك بالمصيف ... ومصاول القعدان مرباعك العام
عقب الاباهر والسنام المنيف ... صرتي كما المفرود من فعل لزام
قطع عليك ديار قوم تخيف ... تسعين ليلة راكباً الهجن ما نام
أقفى عليك من الحسا للقطيف ... لحوران والحرة إلى نقرة الشام
وتدمر وصلها وخمها مستخيف ... وشبيح والضاحك وقديمي الأقدام
وأخذ عليك أنواد جوٍ مريف ... وضح كما بُرْق الحباري بالأكوام
يزفها يقداه مشيه هريف ... واقفى عليهن متلف الهجن لا قام
وعادوا على العارض ركيب يهيف ... يتلون ابن عروج مقدم بني لام
زهابهم حب القرايا النظيف ... وسلاحهم صنع الفرنجي والاروام
ياما انقطع مع ساقته من عسيف ... ومن فاطرٍ مشيه عن الجيش قدام
عقب الشحم وملافخه للرديف ... قامت تسندر مثل مبخوص الاقدام
توي هنيت وطاب بالي وكيفي ... من عقب ضيمي صرت في خيروانعام

وقال لزام زوجها الأخير مفتخراً:

أنا ابن عروج وهذي سواتي ... موصل سمان الهجن شئ ما يجنه
خمسين يوماً والنضا مقفياتِ ... مع مثلهن وهن على وجههنه
نمشي النهار وليلنا ما نباتِ ... كم ذود مصلاح منيس خذنه
من ظن فينا الطيب شافه ثباتِ ... واللي هقى فينا الردا ضاع ظنه

ويقال أن بداح العنقري من أهل ثرمدا، وهو أمير، وفارس، : خطب إحدى بنات البادية، فأبدت له الموافقة أولاً، ثم تراجعت، بعد أن قيل لها أنه حضري، وليس بشجاع،

وفي ذات مرة، وقومها قاطنين على قرية العنقري ثرمدا كان العنقري ضيفاً عند أهلها، فأغار عليهم قوم من الفضـول، فاستاقوا إبلهـم، فلحـق أهـل الإبـل، ومعهـم العنقـري، فظهـرت شجاعته، وكان إنقاذ الإبل على يديه، فقال هذه القصيدة، وقد أملاها عليّ مهنا عبد العزيز المهنا من أهل الدوادمي:

وراك تزهد يا أريش العين فينا تقول خيال الحضر زين تصفيح

ترى الظفر ماهوب للظاعنينـا مـقسـم بين الوجيه المفاليح

للبدو واللي بالقرى نازلينــا كل عطاه ا لله مـن هبة الريح

أصيح صيحة مَن غدا له جنينا وإلا خلوج ضيعوهـا السراريـح

يا أبو نهود ما لهجها الجنينا منها جديد الثوب غـاد تشاليح

لاخــوخ لا رمان لاطلع تينا لا مشمش البصرة ولاوقم التفافيح

يوم الفضول بحلتكِ شارعينا أودعت عنكِ الخي صم مدابيح

يوم انكسر رمحي مشعت السنينا يوم السيف بخوانك سواة الزنانيح

عَنَزة

قبيلة عنزة إحدى القبائل الكبيرة في الجزيرة العربية، ويضرب بها المثل في كثرة العدد، فيقال: ((كل قوم دون عنزة))، كانت مساكنهم في إبان القرن التاسع الهجري وما بعده في وسط نجد وشماليه، حتى أخذوا في النزوح منه إلى الشرق والشمال ابتداء من منتصف القرن الثاني عشر الهجري، واكتمل نزوحهم في نهايته. ومساكنهم الآن في شمالي المملكة العربية السعودية، يحدهم من الجنوب شمّر وبنو رشيد، ومن الغرب الشرارات وبلي، وتمتد مساكنهم شرقاً إلى بادية العراق والشام. قال الجاسر: ((من أصول هذه القبيلة: مسلم، و وائل وعبيد، ومن فروع هذه الأصول: الرولة ، والمَحْلَف، ولْد علي، والنابهة (الحجاج) والعِمَارات، والفِدْعان وولد سُليمان، والسُّبَعَة، ولهذه الفروع أفخاذ كثيرة... وتمتد مساكنهم من واحة خيبر شرقاً إلى الجبلين (أجا وسلمى) والجوف ودومة الجندل ووادي السرحان والحمادّ، والسماوة إلى بلاد الشام))[1].

قلت: ذكر بعض المؤرخين أن بريدة عاصمة القصيم كانت ماء للهذال من شيوخ عنزة، فاشتراها منهم راشد الدريبي العنقري التميمي سنة ٩٥٨ هـ ثم عمّرها وسكنها، ومعه بعض قومه، والدريبي من آل عليان، وقد استمرت رئاستها فيهم حتى تغلّب عليهم آل مهنا من عنزة في آخر القرن الثالث عشر الهجري، وذكروا أن العمارات كانوا يسكنون الحناكية، وكان للهذال قصر فيها[2]. وكان لهذه القبيلة وقائع، إبان الصراعات القبلية في نجد، مع القبائل النجدية في عصرها، ومع قبائل أخرى خارج نجد. وأكثرها مع الظفير، وشمّر وفرع الزين من بني صخر، وفي نجد مع بني لام، والدواسر، وسبيع، ثم مع مطير في القرن الثاني

---

[1] - حمد الجاسر: معجم قبائل المملكة العربية السعودية حرف العين.

[2] - أمين الريحاني: تاريخ نجد الحديث ص ١٠١، حمد الحقيل: كنز الأنساب ص ٤٠، ١١

عشر، وما بعده . وقال ابن بشر: أن فيصل بن وطبان الدويش شيخ مطير، والحميدي بن عبد الله بن هذال شيخ عنزة ـ اجتمعا في خيمة الإمام سعود، وهو مقيم على الرس وذلك في غزوة الحناكية سنة ١٢٢٨هـ فتنازعا بين يديه وتفاخرا، وأظهرا نخوة الجاهلية، فقال أحدهم لصاحبه: احمدْ الله على نعمة الإسلام، وسلامة هذا الإمام الذي أطال الله عمرك بسببه، وكساك الشيب بعد أن كان آباؤك لايشيبون! يعني أنهم يقتلونهم قبل المشيب. فقال الآخر: احمدْ الله على نعمة الإسلام، وسلامة هذا الإمام الذي كثّر الله بسببه مالك، وسلّم عيالك، ولولاه ما سكنت في تلك الديار. فغضب الإمام، ونهض، وزجرهما ، وذكرهما ما أنعم الله عليهما به من نعمة الإسلام، والأمن ، والجماعة (١). وكانت هذه القبيلة تجوب مساحات شاسعة من الجزيرة العربية، بين نجد وأرض السماوة، ونقرة الشام، قبل قيام الدول العربية في العصر الحديث، وتحديد الحدود، واستقرت بعض فروع هذه القبيلة، وغيرها بعيدة عن فروعها الأخرى. ومن هذه الفروع الكبيرة الرولة،وأكبر مشايخهم نوري الشعلان الذي امتدت زعامته خمسين سنة ١٣١٢ ـ ١٣٦٢هـ، ومن زعمائهم سطام بن شعلان المشهور بكتمان السر الذي يقول فيه ابن عمه محمد بن مهلهل:

يمشي مع الضاحي ويخفي مواطيه ويكمى السحابة وأنت توحي رعدها

ومنهم الدريعي الذي ندبته حصة بنت الهذال عندما انهزم قومها في معركة بين الهذال، وشمّر فقالت: ((**الدريعي يا رجالي !**))(٢).

---

[١] ـ عثمان بن بشر: عنوان المجد ص ١٧٤

[٢] ـ حصة بنت الحميدي أخت عبد المحسن جد الشيخ محروت، وخلاصة القصة: أن الحميدي بن هذال عبربمن معه من عنزة إلى الجزيرة في العراق، بعدما أصاب أرضهم جدب، فاصتدم بسكانها من شمّر، فوقع بينهم عدة وقعات فتناوخوا لمدة شهرين، وكانت النهاية لصالح شمّر.

يقول ابن قويفل في آل شعلان: [1]

يامزنة غرا تقافى رعدهــا   تمطر علــى دارالدريعـي ونايـف

خله على الوديان تذهب ولدهــا   بديار مكــدينالأمهــار العسايـف

تملا الخباري للدريعي يردهــا   بقطعان عجلات على المازهايـف

يا ذيب يا شاكي من الجوع عدها   كان أنت لرماح ا لشعالين ضايف

تلقى العشا صفرا صخيف جسدها   من كف ستر معطرات العطايـف

وكم سابق بالكف عاقوا جهدهــا   مضرابها بالجــوف ماهو مـسايف

من كف شغموم ورد من هــددهـا   أو شايب شيبه من الخيل هـايف

كم قالة قفوا بهـا ما بعـدهــا   راح يتــولاهــا الدريعي ونايـف

حالوا وراها ودونها هم لددهــا   وقد عوضوا طلابهـا بالحسايـف

تنشبت ما أحد يحلل عقدهــا   ومن دونها يروون بيض الرهايـف

وله في الرولة أيضاً، وكان مجاوراً لهم، ثم تفرقوا:

اللي يكفون الشوارب بالأيمــان   هبيت يا حظ تنحيت عنهـم

فندبت حصة الدريعي بقولها ((الدريعي يا رجالي))، الذي أسرع إلى نجدتها ، وأمر قبائل عنز في سوريا أن يتـأهبوا للحـرب، وأن يذبحـوا كـل مهـر يلـد حتـى لاتضعـف الخيـل عن الطرا بالرضاع، فكان أحدهم إذا ذبح مهره قال: لعيون حصة ما تمصه! ثم تناوخوا مرة أخرى فكا النصر لعنزة، انظر أبا عبد الرحمن بن عقيـل تـاريخ نجـد في عصـور العاميـة ٣ / ١٠٣-١٠٤ وحمد الحقيل: كنز الأنساب ٣٩

[1] - أبو عبد الرحمن بن عقيل: تاريخ نجد في عصور العامية ٥/ ٢١٤٠

أقفيت عن ربعي عيال ابن شعلان   اللي كما شل الروايا طعنهم

ما ينتخون إلا بعليا وعليان   وإن حل ضرب مخلص جيد منهم

لبّاسة عند المظاهير شيلان   صديق عينك ما يطيح بحظهم

نزل الخلا ماهم فراقين فقسان   ما سقستوا للعنز تتبع ظعنهم

القلب ما ينسَى طويلين الأيمان   اللي يقزون العدو عن وطنهم

قطعانهم وإن غربت تقل غزلان   وإن شرّقت مثل البرد هاك عنهم

وهذه قصيدة لعمعوم العسكري[1] من الدغمان من الرولة :

اسمع جواب اللي تقولون عمعوم   العسكري راعي العلوم العجيبه

اليوم أنا من زايد الربع مسموم   الطيب سندا و المراجل صعيبه

أول مناتي ذبحة الكبش لسجوم   ونحط من فوق المناسف عصيبه

وثاني مناتي مهرة تسبق القوم   من فوقها ذود المعادي نجيبه

وثالث مناتي عومة بالغضي عوم   وريم الخضيري في ملاوي الدويبه

وطير بلا جنحان ما يدرك الحوم   واللي على رجليه يا ويش طيبه

وقالت زوجته تخاطبه :

عمعوم لا تشرب من التتن كره   احذر ترى شربك من التتن يُدْمرك

عندك مجاهيم تقل لون حره   وبيت كبير وضامر البطن ينحرك

ومهرة بنت العبية نبره   ومشلشل عود البلنزا يظاهرك

---

[1] ـ لقب بالعسكري لأنه عندما كان طفلاً كان يقول أنا سوف أكون عسكريا، أغزوكم.

وخطو الضنا لو جاك ما به مسره	اللي إليا كبرت علابيه وخرك
وإن كان ربك ناوي لك مسره	أنزل عليك أسباب الأقدار وأظهرك
وإن كان ربك ناوي لك مضره	لو كنت في عالي الشخانيب حدرك

وكان جديع الهذال شيخ العمارات أكبر شيوخ عنزة حليفاً لآل عُريعر زعماء الأحساء، وبني خالد، ولمّا ظهرت الدعوة الإصلاحية في نجد، وقف إلى جانب حلفائه القدماء بني خالد، فلمّا ضعف دورهم أصبحت القبائل الموالية لهم في موقف صعب أمام قوات الدرعية المتفوقة. وتذكر بعض المصادر أنه في سنة ١١٩٥هـ اشترك الهذال، وابن عُريعر في معركة ضد الدهامشة قوم فوّاز بن مجلاد، وهم من عنزة، ولم تذكر المصادر سبباً لهذه المعركة.والحرب بين فروع القبيلة الواحدة نادرة، ولاتكاد تحصل إلا عرضاً، لكن يبدو أن السبب وقوف الدهامشة إلى جانب قوات الدعوة، فكان النصر في هذه المعركة للهذال، وسعدون بن عريعر. وكان بين مطير وعنزة كغيرهم من القبائل حروب على المراعي، وموارد المياه، فاستعان الدهامشة بمطير، فأغاروا على الهذال وابن عريعر، الذي انسحب فجأة في أثناء المعركة لإنجاد حلفائه في قرى الخرج ضد هجوم قوات الدرعية على ما يبدو، فكانت نتيجة هذه المعركة لصالح الدهامشة، ومطير فقد قتلوا عدة رجال، وغنموا بعض الغنائم من الهذال، وابن عريعر. وأراد الهذال أن يستعد للمعركة المتوقعة مع قوات الدرعية، فجمع جموعاً كبيرة من عنزة، والظفير [1]، وأراد أن يحسم الموقف مع مطير مستغلاً انشغال قوات

---

[1] ـ كانت سبيع قد شنت هجوماً ناجحاً على الظفير، وهم على ماء سفوان قرب البصرة، فنهبوا حوالى أربعة الآف بعير، وهم قد انضموا إلى الدعوة الإصلاحية، فجاء الظفير مع عنزة لهذا الثأر منهم. ا نظر ابن بشر: عنوان المجد أحداث سنة ١١٩٤ هـ، وعبد الكريم الوهبي: بنو خالد وعلاقتهم بنجد ص ٣٠٠

الدرعية بالحرب في قرى الخرج، واستعدت مطير لمعركة غير متكافئة، ولم تذكر المصادر التاريخية أن مع مطير أحداً. فكانت هزيمتهم متوقعة، لكن يبدو أن الطرفين عنزة، ومطير توصلا إلى هدنة، قصيرة، لكنها لم تستمر. والذي حدث كما يقول ابن بشر، وابن غنام أن جديع بن هذال وبعض قومه صادفوا جمعاً من المطران على غير منازلة ولا استعداد، فتقاتلوا في آخر نهار فقتل جديع ابن منديل الهذال (١)، وثلاثة من أقاربه، منهم أخوه مزيد، وضري بن ختال. عند جبل كير، ثم ينقطع ذكر مطير، ويذكر ابن بشر وابن غنام أن هذه الجموع(جموع عنزة ومن معها) سارت إلى ماء مبايض في وادي مجّزل في سدير، وتجمّعت عليه، مما يؤكد أن الهدف الأول لهذه الجموع هو مواجهة قوات الدعوة، لاقبيلة مطير، وقد خرجت قوات الدعوة إليهم بقياد سعود، فلمّا أشرف عليهم استكثرهم، فرجع إلى بلدة تمير ، واستنفر أهل سدير فنفروا إليه مسرعين ، فنازل تلك الجموع ، وتقاتلوا قتالا شديداً، فانتصرت قوات الدعوة، وغنمت أموالهم، بعد أن قتل من الجانبين كثير، قال ابن بشر : إن الغنائم بلغت سبعة عشر ألفا من الأغنام، وخمسة آلاف من الإبل، وخمسة عشر فرساً، وقتل من زعماء الظفير دهام أبو ذراع، وثواب بن حلاف (٢).

وهذه قصيدة تنسب إلى مسعود الملقب بحصين إبليس من البراعصة من الموهة من مطير وهو الذي قتل جديع الهذال ببندقيته، قيل: أنه أرسل هذه القصيدة إلى الإمام عبد العزيز

---

[1] ـ قال لي أبو حواس ناصر بن عبيد: لم يكن في نجد في تلك الأيام من البنادق إلا بندقيتين إحداهما مع رجل من الشيابين من عتيبة، والأخرى مع مصعود الملقب بحصين إبليس من مطير، وهو الذي قتل جديع بن هذال بها.

[2] ـ عثمان بن بشر: عنوان المجد أحداث سنة ١١٩٥هـ، وحسين بن غنام: تاريخ نجد ص١٥٢، وعبد الكريم الوهبي: بنو خالد وعلاقتهم بنجد ص ٣٠٠

بن محمد بن سعود، مفتخراً بذلك، وقد تداخلت بعض أبياتها مـع أبيات قصيدة مويضي البرازية في المناسبة نفسها:

يا ا لله يا اللي ما حذاتك خيـارا ... يا اللي غني وكل عينٍ تـراعيه

تجعل لنا في جنة الخلـد دارا ... قصرٍ حصين نلتجي في مذاريـه

يا راكبٍ من فوق ناب الفقارا ... كن الضواري تنهشه من مقافيه

إلى مشيت الليـل هو والنهارا ... تلفـــي لقصــرٍ بينات مواريه

أقره سلام وخبره كيـف صارا ... ما دبّر المولى لحكمه نسويـه

حنـــا فزعنـــا سربتين تبــارا ... والكل ينصب عند الآخر يماريه

تعلوطوا عِلوى سـواة السكارى ... معاري واللبس ما شان راعيه

عينت لي مقعد زبون المهـــارا ... وجديع اللي كل الأسلاف تتليه

ولعل القارئ الكريم يلاحظ معي بعض الكلمات في هـذه القصيـدة، الـتي لا تتفق مع لهجة البادية العامية مثل: أقره ، تعلوطـوا، ولعـل في القصيـدة بعـض الأبيـات المنحولة. وقصيدة مويضي البرازية رواها لي ناصر بن عبيد أبو حواس مولى الدوشان، وهي:

يا لله يا اللي ماش غيرك خـيار ا ... يا واحدٍ كـــل يسالـه ويرجيه

تجعل لهم في مركز العــز دارا ... قصراً طـويـــلاً وعاليـــات مبانيه

اللي خـــذاهم ضدهم بالنهارا ... والبوق ماعمره رفع حظ راعيـه

شيوخ الشمال أهل العلوم الكبارا ... عطوا عَهَدَ مار العهد ما وفوا فيه

باقـونـــا ومـن ا لله الانتصارا ... ومن باق عهد ا لله ضعاف مراقيه

ركبـــت عليهم سربتين تـبارا ... الكل ينصب عند الآخر يماريه

رموا بابن هذال في أول مغـارا　　شيخ الشيوخ اللي سمعنا بطاريه

جديع سـتر مخفرات العذارا　　زيزوم قوم وعوج الأسلاف تتليه

والشمري نبّاح حيل البكــارا　　أقفى يجر مسنجـداً في لواحيه[1]

وراحن بالجربـان شقر المهارا　　مع السويط وشيوخ وائل هل التيـه

اللي يضيع الليل يتنى النهارا　　واللي يضيع القايلة مَن يقديـه

أما مويضي العجمية، فهي من الأسر المتحضرة في القصيم، ولها قصيدة في رثاء الشـيخ جديع بن هذال تقول فيها:

يا (كير) لا مرت عليك المخايل　　في قاعتك يا (كير) حلّ الذبّاحِ[2]

هِلّيه يا (وضحـا) دموعٍ هماليل　　على عشيرك يَمّ ضلـع البطاحِ [3]

لومي على اللي يلبسون السراويل　　ما عَفَتّــوا أرقابهـن يوم طاحِ

خلّــوه بوجيه العصاة المغاليل　　وراحــوا عليــه مغلّبين الرّماحِ

أخذ حلاوتها(جديع بن منديـل)　　وخلاّ الغثا لرباعتـه و استراحِ

قلت في غير هذا الموضع: أن مواقف أكثر القبائل من الدعوة متغيرة باستمرار، فهـي، وإن كان فيها أتباع مخلصون للدعوة، وكونهم لايعارضون الإصلاح الديني. فإن الغالبيـة مـن أبناء القبائل في تلك الفترة يقفون خلف الزعامة القبلية التي لاتنظـر إلا إلى مصلحـة القبيلـة الخاصة، في سيطرتها على أحسن المراعي، أو فيما يحصـل عليـه المحـاربون مـن الغنـائم،

---

[1] ـ مسنجد: تعني به رمح.

[2] ـ كير: جبل في منطقة القصيم قتل عنده جديع بن هذال.

[3] ـ وضحا: زوجة جديع بن هذال.

فالذي يساعد على تحقيق أيٍّ من هذين الهدفين تقف معه. ولم تكن القرى أحسن حالاً من القبائل في هذه المواقف، فقد كانت مواقف الكثير منها متغيرة متـى تغيرت الظروف. فبعد وقعة كير، وبعد مناخ مبايض بسنوات قليلة، وبالتحديد في سنة ١٢٠٥هـ سيّر شريف مكة غالب بن مساعد جيشاً كبيراً يزيد عدده عن عشرة ألاف، ومعه عشرين مدفعاً، بقيادة أخيه عبد العزيز إلى أهل الدعوة الإصلاحية في نجد، ((قال بن بشر: وهذه الأحزاب رفعت إليه الرؤوس، ووقع شئ في بعض النفـوس ... وسـار معهـم كثـير مـن بـوادي الحجـاز، وشمر، ومطيروغيرهم، فملؤا السهل والجبل)) لكن هذه الحملة فشلت، فتراجعت عندما وصلت إلى نفود السر، وعندما رجعت الحملة إلى مكة تجمّعت قبيلة مطير، وقبيلة شمّر على ماء العدوة بالقرب من حائل، فسارت إليهم قـوات الدعـوة، ومعهـا القبـائل الـتي لم تنضم إلى حملة الأشراف بقيادة سعود، ووقع بين الطرفين قتال شديد كان من القتلى فيه من مطير مسعود الملقب بحصين إبليس، وسمرة الفارس المشهور أمـير العبيـات. ومـن شمّـر مسلط بن مطلق الجربا، الذي نذر أن يقتحم خيمة الإمام سعود بجواده، ووفـى بنـذره لكنـه قتـل في الحال (١)، مواقف قبائل نجد وقراها المتغـيرة مـن الدعـوة الإصلاحيـة لاتعـني كرهـاً للدين، أو معارضة حقيقة للدعوة، ولكن القبائل، والقرى التي كانت تمارس الاستقلال الذاتي، أو قل الفوضى الأمنية، والحرية المطلقة لاتسلم بسهولة لمن يريد فرض السيادة عليها. فكانت هذه المواقف ممارسة للعادات الحربية المألوفة في منطقـة لاتجمعهـا وحـدة سياسـية، وقد مزقها التناحر، وقبائل الجزيرة العربية لايوجد بينهم أحـد مـن غـير المسـلمين فقـد اعتنقت هذه القبائل الدين الحق منذ أن نشر الإسلام نوره على ربوع جزيرة العرب، لكن القبائل النجدية عموماً تسير، وراء زعمائها، وتمارس عادتها الحربية، وتكسب رزقها بـالحرب، والاعتداء

١ ـ عثمان بن بشر: عنوان المجد أحداث سنة ١٢٠٥هـ

على بعضها, في تلك الحقب ألتي سادتها الفوضى السياسية، وهذه الظاهرة، كانت أسوأ ظاهرة عرفها العرب في جزيرتهم، بعد العصر الجاهلي. فكانت مواقف القبائل متغيرة باستمرار حتى ظهر مؤسس المملكة العربية السعودية الملك عبد العزيز ، وحتى ظهرت حركة الإخوان بعد تأسيس (الهجر) في عهده، فانتظمت أبناء القبائل، ولم يعد هناك مجال لتغيير المواقف. كان من نتائج هذه المعارك، والوقائع التي سبقت عهد التأسيس أن نزحت بعض هذه القبائل التي لم تنضم إلى قوات الدعوة، وخاصة قبائل الظفير، وبعض فروع شمّر، وعنزة، فابتعدت عن نجد، واستوطنت شمال الجزيرة العربية ، وشرقها في العراق، والشام، وأرض السماوة ، وقد انضم بعضها إلى قبائل المنتفق العراقية المدعومة من ولاة العراق العثمانيين في غزواتها على نجد. وهذه قصيدة لمطلق الجربا والد مسلط، يقال: أنه قالها في مناسبة وقعة العدوة، عندما أراد الرحيل عن نجد، قال:

عديت روس مشمرخات المراقيب	رجمٍ طويلٍ نايف مقلحزِ
جريت صوت مثل ما جره الذيب	أوجس ضميري من ضلوعي ينزي
خوفي من اللي روسهم كالجعابيب	وسيف على غير المفاصل يحزي
لا صار ما ناتي سواة الجلاليب	بقلايعٍ بأيماننا له نخزي
أحسن تصبّرْ وأجمل الصبر بالطيب	هذي حياة كل أبوها تلزي
والحر لا صكّتْ عليه المغاليب	ملزوم عن دار المذلة ينزي

لكن الأحوال تتغير من حين إلى آخر فتتغير مواقف القبائل باستمرار، حسب نتائج الحروب القبلية بينها، أو بينها وبين حكام الأقاليم التي تسكنها، فتعود بعض القبائل إلى أماكن قد ابتعدت عنها، فبعد انهزام شمّرأمام الظفير في وقعة الجزيرة كاتبوا الإمامَ سعوداً،

وطلبوا منه أن يسمح لهم بالنزول في نجد، فوافق(١)، وبعد أن أوقع والي بغداد العثماني بهم في الجزيرة، وقتل بنية بن قرينيس الجربا، نزحت شمّر من الجزيرة الفراتية إلى نجد، ونزلوا مع قومهم في الجبل(٢). وقال ابن بليهد: ((وآخر من غادر نجداً من عنزة [الدهامشة قوم] ابن مجلاد، ولمّا علمت مطير بتأخره تداعت إليه من كل جانب، وهو في جهة الأسياح فأخبرته النذر بذلك، ثم بعث إلى قبيلته طالباً المدد، ثم توجه قاصداً بلاد قومه، وكان له صانع ماهر في صناعة الشعر وصناعة الحديد، فقال هذين البيتين من قصيدة طويلة:

يا أهل المهار الصفر والضمر السود الناس جتكم من جنوب وشامِ

أنا عليه ضبطت الخمس بالعود وأنتم عليكم ريها بالعسامِ

ضبطة الخمس بالعود يقصد نوعاً من الرماح لها خمسة أسنة كل سنان منفرد عن الآخر، والعسام هو القتام)) (٣). وقال ساجر الرفدي العنزي يودع نجداً بعد رحيل عنزة عنها:

دنو لي الحمرا وجيبوا رسنها دنو ذلولي وانسفوا فوقها الكور

يا ماحلا المسلاف بأول ضعنها مستجنبين الخيل يبرى لهن خور

يوم أنها نجد وأنا من سكنها واليوم ما يسكنه كل ممرور

شامت لعبد الله وأنا شمت عنها اللي يصبحهم على شقة النور(٤)

أنا أحمد اللي فكني من شطنها مكيّف ما بين عرعر وأبا القور

---

[1] - د/ عبدالله الشبل: تحقيق تاريخ الفاخري (الأخبار النجدية) أحداث سنة ١٢٢٤هـ

[2] - د/ عبد الله الشبل: تحقيق تاريخ الفاخري (الأخبار النجدية) أحداث سنة ١٢٣١هـ

[3] - محمد بن بليهد: صحيح الأخبار ٢ / ١٢٩ (حاشية)

[4] - عبد الله: هو ابن الإمام فيصل آل سعود.

وفي حواضر نجد أسر كثيرة من قبيلة عنزة [1]، وأعني بها الأسر التي تحضرت قديماً، قبل قيام الدولة السعودية، أمّا الآن فقد اختلطت البادية بالحاضرة، بعد أن أخذت البادية تستقر في القرى، والمدن بأعداد كبيرة، وتتقلص أعدادهم في البادية، عاماً بعد آخر، وأصبح الإنتماء إلى القرية، والمدينة ينمو على حساب الإنتماء إلى القبيلة. ومن زعماء العمارات مغيليث الهذال الذي قتل في مناخ الرضيمة في العرمة بين بني خالد ومعهم عنزة وسبيع ضد مطير ومعهم العجمان [2]، وابنه مشعان بن مغيليث الهذال قتل أيضاً بعد أخذه لقافلة لأهل الزلفي سنة ١٢٤٠هـ [3]. ومنهم محروت الهذال الذي جاء بالعمارات من العراق إلى شرقي وادي الخر قرب عرعر فزاحم الدهامشة على المراعى فقال شاعرهم غانم اللميع: [4]

ساهر بالليل ما جاني نــــوادي	من ظلايم شيخ جراهـــن علينا
يا أبو زبن منتا بدروب القــوادي	لك سنين مسـملات مبتلينــا
خابرينك شيخ وعلومك بعـــادي	مير حنا ما نبيك وأنت ما تبينا
شيخنا سعران هو طير الهـدادي	كيف نرجع والموازر في يدينـا [5]
صبرنا ما يصبره غير المهـادي	شايف خملة قصيره له سنينـا

---

[1] - انظر حمد الحقيل: كنز الأنساب ص ٥٧ - ٦٣

[2] - د / عبد الله الشبل: تحقيق تاريخ الفاخري (الأخبار النجدية) أحداث سنة ١٢٣٨هـ

[3] - نفس المصد السابق أحداث سنة ١٢٤٠هـ

[4] - أبو عبد الرحمن بن عقيل: تاريخ نجد في عصور العامية ٤/ ٣١ - ٣٣

[5] - سعران: هو سعران بن مجلاد شيخ الدهامسة.

يوم شاف الجار في النسوان عادي ذر الخفرات عن علمٍ يبينا

كيف ديارنا تحددها الحدادي من شمال الخر تحددها علينا[1]

كان حامر سال من فرع الحمادي تبغي سيله لك وحنا ما يجينا[2]

نسنده بكل وضحاة سنادي ويزعل الزعلان وما خفي يبينا

مرتع الفطر عريضات التوادي يرتعنه و أبو من يزعل لعينا

الوعد وإن سيّل الله كل وادي حرمت اليسرى و المشى يمينا

انشد وادي المرا إن كنت غادي كانك ناسي فحنا ما نسينا

يوم جمعك مثل عمدان الجرادِ راحت مثل صيد حزة ما مشينا

كن جدع الروس من قدم الهوادي حنظل تجادعوه الجاهلينا

هات ابن ياسين مع راع الرمادي وكل من هو من جنودك مهتوينا

إن صفقتك صفقة حسنا المرادِ يتلف التلاف وتصفي من حدينا

وقال الشاعر محسن الهزاني من قصيدة له يرثي مصلط الرعوجي من شيوخ العمارات، ويذكر بعض شيوخ عنزة:

ستر العذارى لابسات الخلاخيل هيف الخواصر حاويات الجدايل

حر وطلعه من ورى الشط و النيل يغوص موجات البحر مايسايل

نجد حموها ما عليهم مداخيل بسيوف تقدي إلى الدرب عايل

سوالف الويلان يا طير أبابيل خله لها ما أنت شريك لوايل

---

[1] ـ الخر: وادي قرب عرعر.

[2] ـ حامر: وادي شمال المملكة العربية.

ترعى بها الزرفات غصب بتذليل | مشعان وابن بكرما هي همايل
كان أنت من ... قليل المحاصيل | اضرب عفور واقصد أولادوايل
تنحّر اليديان (١) خزامة الفيل | عاداتهم كسب الثنا والجمايل
لهم على حمر الطواقي مواهيل | زمول تدنى للحمول الثقايل
والقهوجي تلقاه عند المعاميل | ماليه ما حط فوقه وكايل
نباحة للكوم والكنس الحيل | لا ركّبن جرد السنين السحائل
الجار ما يركب يدور المكاييل | ينطون غرسات الطيايب نحائل(٢)
وإلا العواجية(٣) إلى جدع الشيل | وحمي الطراد وفرّعن الحلايل
لهم على جمع المعادي تحاويل | وجدودهم حامين بيضا نثايل
وإلا انحر الهذال(٤) من دور منديل | عند العرب هم الشيوخ الأوايل
وإلا محددت الجمل بالمصاويل | دهامشة يا اللي عليكم جهايل
يتلون ابن مجلاد شرق ومشاميل | ويحلفون اللي بقلبه دغايل(٥)

---

[١] ـ اليديان: الأيدا من شيوخ عنزة.

[٢] ـ ينطون: يعطون، وهي من لهجة قبيلة عنزة، وقد يكون الشاعر استعملها محاكاة لهم، ليست من لهجته، أوأن الرواة حرفوا الكلمة.

[٣] ـ العواجية: آل العواجي من أمراء عنزة.

[٤] ـ الهذال: شيخ العمارات من عنزة.

[٥] ـ ابن مجلاد: شيخ الدهامشة من عنزة، ومحددت الجمل: يعني به الجمل الذي تركبه الفتاة التي تحرض قومها على القتال في المعارك، وكانت هذه عادة عند القبائل، ويوضع الحديد قيداً له حتى لاينِد.

والا مصوت بالعشا بالمواخيل ابن مهيد إلى أقحطن المسايل(١)

ومن زعماء هذه القبيلة سعدون العواج، صاحب القصائد المشهورة في ابنه عقاب وحروبه مع شمّر، وهو في قصائده يشبه شالح بن هدلان القحطاني وابنه ذئب في حروبه مع عتيبة ، فكل من الشيخين يفتخر بابنه ، افتخاراً مشوباً بالقلق عليه من تلك الحروب الضارية، والتخوف من الحالة التي يكونان فيها بعد فقدانهما، وكل منهما بكى ابنه، وهو حيّ ورثاه، وهو ميت. يقول العواجي(٢) يرثي ابنه :

البارحة عدي عناني صعانيــن غضبان بالي ما تهنيت بمــراح

على شجاع طاح والربع عجليــن يفدي بعمره يوم غولات الأرواح

صكوا عليه اللي على الموت جسرين لاوا بعيني ما يجا دون ذبــاح

تسمع بتال الخيل حس المثاريــن عيال الطنايا مروية علط الأرمـاح

أنا بلايه يامــلا خابر شيــن تظهر علينا مسملات اليا راح

اللي يكف الخيل كـف البعاريـن ويرخص روحه يوم يغلون الأرواح

خيالنا لا طار ستر المزابيــن ويرعى بظله بالخطر كـل مصلاح

كبد نعالجهــا بعوج الغلابيــن وروابع ما تودع البال ينســاح

وقال العواجي أيضاً في ولد ولده:

فاتت ثمان سنين والثأر غــادي مواكرك يا عقاب عقبانها صغار

عضود فرخك ما تجيد الهــدادِ سنه صغير ولا تمكن مـن الثأر

---

١ ـ ابن مهيد شيخ الفدعان من عنزة.

٢ ـ أبو عبد الرحمن بن عقيل: تاريخ نجد في عصور العامية ٥ / ١٩٩ ـ ٢٠٠

والیوم یروي مرهفات الهنــادي والخیل من فعله هزائم وعبــار

یاعقاب دونك هایس جاك بـادي ثم انشده یا عقاب کیف الخبر صار

فرخ العقاب اللي رمى به وكـابِ خلا شتات الريش شتان وبـذار

حر قنص حر بثــاره وصــابِ لیث على خیل المعادين كـرار

اليا عثى بمشمرات الجـــواد يا عقاب مثلك لأحمر الدم نثّار

تركّ صبيّاً مـا بثاره يفـــادي والخوف ما طوّل قصيرات الأعمار

قال ابن بليهد: ((في بلاد عنزة... أكثبة مرتكمة يقال لها ((وريك)) بالواو، وقـد قُتـل في هذا الموضع ناس من عنزة، وفي القتلى عقاب العواجي، وأخوه حجاب، قتلهم نـاس مـن عبدة بطنٍ شمّر ... وقال ولد العواجي المقتول في قصيدة له، يطلب فيها الأخذ بثأر أبيه:

لوى على من قاد عليا ثنية بدور أبويه عند روس الخواوير

عليا اسم فرسه له، وهي قصيدة طويله))(١).

يقال: ((إن بنت عقاب العواجي العنزي وتدعى (غزيـة) فقدت أهلهـا، ولجـأت إلى عمها، وكان له ابن أحبته، فسافر في طلب الرزق مع صاحب له يدعى (عيد)، فتغيبا مـدة تقارب ثلاث سنوات، ثم رجع صاحبه (عيد)، وكان في الحي رجل يرغب الزواج مـن هـذه الفتاة، لكنه يعلم أنها لن تقبله لحبها لابن عمها، فقابل عيداً ، وقال له: لك عندي جمـل ان أشعتَ أن ابن عم غزية قد توفي... لعلها تتزوجني بعد أن تيأس منه، فلبّى عيـد طلبـه، وأشاع أن صاحبه ابن عم (غزية) قد مات فلما سمعت بالخبر أنشدت تقول:

تَعَزّزوا للي عَشــيره تنوّى يم الشّمال وحَطّ (حوران) دونه

---

[1] - محمد بن بليهد: صحيح الأخبار ٢ / ٣٨

أقفى وخَلاّ له يتيـــم يلوّى والـيـه عَمَامٍ ليتهم يرحمونه

فات الربيع وعشب الأجراد لوّى واخانــة الطّرشان ما يذكرونه

يا عيد أسلك بالولي كيف سَوّى هـو مَيّتٍ وإلا أهلـه يرتجونه ؟

فأجابها عيد بالخديعة والمكر، فقال:

يا بنت شوقك خابره ويش سوى بالموس قَصُّوا لك قصايب قرونه

أتلى الخبر به يوم قبره يسوّى وخـامٍ جديـد بينهم يذرعونه

وعلمي بروّاي العرب يـوم روّى بأيسر(نوى) علمي بهم يدفنونه

قيل: إنها ماتت حزناً على ابن عمها بعد سماع شعر عيد، ولما عاد ابن عمها، وأخبر بما فعله عيد من إشاعته خبر موته، وعلم بوفاة غزية بسببه حزنها عليها، قتل عيداً جزاء علمه. ورميح الخمشي من شعراء عنزة المجيدين، ولـه في الجـار أبيـات سارت مع الناس مسير الأمثال، يقول فيها:

قصيرنا ما حشمته عندنا يوم يزيد مع زايد سنينـــه وقــاره

إلى قزت عينه قزينا عن النوم والشيخ ما يكتب عليه الخســاره

دونه نروي كل حد ومسمــوم نرخص عماراً دون كسر اعتباره

سبيع

قبيلة سبيع إحدى القبائل القديمة في نجد، فقد هاجرت بعض فروع هذه القبيلة من موطنها الأول ـ مدينة رنية ـ إلى نجد، ولعلها أقدم القبائل المهاجرة التي استمرّ وجودها في نجد إلى اليوم، فالقبائل التي سبقتها إلى نجد قد هاجرت منه إلى جهات أخرى أو تلاشى وجودها حتى اختفت نهائياً من نجد. ولعل قدومهم إليه كان في أول القرن التاسع الهجري، فمصادر التاريخ تذكر أحداثا كثيرة لهذه القبيلة في نجد، ابتداءً من النصف الثاني تقريباً من هذا القرن، وما بعده. قال الجاسر: ((ومن فروع هذه القبيلة:

١ ـ بنو عامر: ومن فروعهم الصيافى، والقواودة، بنو حميد، عجمان الرخم، القدعة، العيادين، والضعفة. ومنهم مفرّج صاحب المهادي في القصة المشهورة.

٢ ـ بنو عُمَر: ومنهم الجمالين، والنبطة، الصُملة، العزة (الأعزة)، وآل علي، والجبور، المدارية، والعرينات.

٣ ـ بنو عمير (آل عمير): ، ومنهم الصنادلة، والمشاعبة والمفالحة، والمكالحة. ومن فروع هذه القبيلة:

القريشات، بنو ثور، والزكور والروبة، والسودة، ومن الزكور: الجهوم، والفراعنة، والشميسات، الملوح (مليحي) والمراغين. على اختلاف بين النسابين في التقسيم، وفي إلحاق هذه الفخوذ بالفروع. وسبيع منتشرة في بلدان نجد، وتعد بلدة رنية قاعدة هذه القبيلة، فكثير من فروعها تسكن في قرى رنية، وأوديتها، وما بقربها من المواضع، وفي وادي الخرمة، وتلك تدعى وديان سبيع... ومن قراهم في المنطقة الشرقية معلقة لبني عامر،

وحزوى وشوية، وفي منطقة الرياض: الحاير، ورماح والرمحية، وحفر العتك))(1)، وسلطانة (قرية حديثة) على الطريق بين الرياض وصلبوخ. وفي (رماح)(2) يقول براك بن سحمان من ذوي خليفة الشيابين لمّا ورده مع أمير الجماليين، ورأى طوله وبعد منزعه بعد موارده التي في نجد وهي أقرب منزعاً منه]:

يا ونتي ونة هزيل المعاويد … على القليب اللي طوال حِدَرْها

أشكي من الفرقَى وطول المواريد … وزملي من القامة تناكت دَبَرْها

يامل عين ودها بالمسانيد … ما ترزق إلا في علاوي دِيرها

إذا تركت رماح كأنه ضحا عيد … يوم الفرح ربعي تفلل شِهَرْها

يا ليتني مع شارع التوم و فهيد … من فوق عيرات تقارع بِدَرْها(3)

وبيوتهم يم العريفة مشاييد … في رقةٍ محلَى تخالف زهرها

وقالت شاعرة من قبيلة سبيع عندما اعترضها أحد السفهاء: (4)

أنا حليلي مِن سبيعٍ مجَرَّب … كريمٍ شجاعٍ بيِّنات فَعايله

فكّاك رَبْعِهِ باللقا مِن عدوه … ومِخْذي ضعيفٍ عادماتٍ رحائله

قَرمٍ إذا قبَّ الهوا جيب ثوبه … ضلوع ذيبٍ يا بساتٍ بلايله

إخرِجْ وَلا تعتاد هاذي ومِثلها … ياخايب فعول الردا هي حَصَايله

---

1 - حمد الجاسر: معجم قبائل المملكة العربية السعودية حرف السين.

2 - محمد بن بليهد: صحيح الأخبار ٥ / ٥١

3 - ((شارع التوم: من القرافين، بطن من الشيابين، وفهيد الخضري: من الدعاجين)).

4 - عبد ا لله بن رداس: شاعرات من البادية ص ٢٨٥

قال ابن بليهد: ((المعارك في نجد، والغارات في الجهة الجنوبية في نجد أكثرها بين برقا من عتيبة، وبين قحطان، وسبيع أهل رنية، والخرمة، والمعارك التي تكون في شمالي نجد إنما تقع بين حرب والروقة من عتيبة [أو بينهم وبين بني عبد الله من مطير]، والمعارك العظام بين عتيبة، ومطير)) (1). وهذا الكلام ينطبق على سبيع أهل الوديان أما سبيع النجديون فإن وقائعهم مع عتيبة قليلة، وقائعهم مع قبائل نجد قبل مجيئ عتيبة إليه، فأكثرها مع عنزة، وبني لام (آل كثير، وآل مغيرة)، مع قحطان، والدواسر، مع قرى العارض. وفي معاركهم مع عتيبة قتلت سبيع الجنوب (فاجراً) بن شليوح العطاوي في وادي سبيع(2).

وقال ابن بليهد: ((عيد بن حويرش رجل من المقطة، كان مضحكا للملوك والأمراء أذكر ليلة خاطبه الأمير[هو الملك فيصل قبل أن يلي الملك]، فتكلم هو ، ثم نهض، وقال: أنا ولد حراث ندب أباه في خطابه، فسكت الأمير، وسكت الناس، فالتفت إلى الأمير، وقال: يا طويل العمر! لِمَ لمْ تقل إذ ذكرتُ والدي ((ونعم)) ؟ فقال الأمير: إني لا أعرف والدك، ويمكن أن يكون في هؤلاء الحاضرين رجل يعرفه، فتكلم أعرابي من الحاضرين ــ رجل يعرفه ــ فقال الذي يستاهل: نعم هو الذي أعطى أباك بعيره، أيام كان في الحوميات، فقال الأمير: خبِّرنا من هو، فقال: إذا سمح عيد بن حويرش أخبرتكم بالوضوع، فقال ابن حويرش: أخبرْهم، فقال الأعرابي: جاء عقيد من سبيع من بوادي رنية، والخرمة، ومعه ركب يبلغ عددهم خمسة عشر راكباً تقريباً، فأغاروا بعد غروب الشمس في جهة الحومية على إبل المقطة، ومن المصادفات أنها أخذت إبل حويرش، ثم

---

1 ـ محمد بن بليهد: صحيح الأخبار ٢ / ١٢٢

2 ـ أبو عبد الرحمن بن عقيل تأريخ نجد في عصور العامية ٤/ ١٦٤

فروا بها في سواد الليل. وكان هذا العقيد مجرباً تام الحنكة، وكانت بلده في جهة الغرب، ولكنه قصد جهة الشرق اختفاء من الطلب، فلما قرب من أخبية حويرش، وقومه، ومنازلهم، وهو يقتنص الظباء، ـ وكان على ظهره ظبي ـ اعترض حويرش الإبل والركب، ومعه بندقيته، ثم ألقى ظبيه عن ظهره، وقال: مَن أنتم أيها الركب؟ قالوا من جماعتكم الدعاجين، والدعاجين بطن من عتيبة، فقال: الحذية يوم ا لله رزقكم! فالتفت رجل من الركب إلى رئيسهم، وقال: أأقتله؟ فقال له الرئيس: إن البندقية إذا ثارت عليه جذبت إلينا قومه لاسترداد إبلهم، بل نعطيه بعيراً، فردوا إليه بعيراً، فلزمه، وأناخه، واندفع الغزاة تحت سواد الليل، ثم جمع الحبال التي معه، فعقل أربعه!... وأخذ ظبيه، وأخفى الجمل عن إخوته خشية أن يطلبوه منه!، واشتغل بالظبي وطبخه، وأكله، فلما مضى من الليل ثلثه جاءهم رجل على جمل من مرعى الإبل المنهوبة، فقال لهم: هل بلغكم الصريخ؟ لِمَ لمْ تفزعوا؟ قال له حويرش: ما الخبر؟ قال: إبلك أخذت، فقال: إني قد اعترضت إبلاً يحدوها ركب، ولكنهم يقولون: نحن دعاجين، وقد أعطوني منها جملاً فعقلته هناك!، أظن أنه من إبلي، فانطلقوا إلى الجمل، فلما وصلوه وجدوه من إبل حويرش المأخوذة بعد غروب الشمس، فقال: الآمير هذا الحديث صحيح؟ قال: إيْ وا لله صحيح أيها الأمير))(١).

وقال ابن رداس: إنّ الجازي السبيعية كانت يتيمة عند عمها رديني، فزوجها أمير المجمعة سابقاً ـ ابن عسكر ـ على غير رِضًى منها، فأكلت سماً فماتت، وكانت قد قالت الأبيات التالية: (٢).

لقيت بأكل السم يا عم راحه | أخير من رَجْلٍ بليتن بلاماه

---

١ ـ محمد بن بليهد: صحيح الأخبار ٢ / ١٣٦

٢ ـ عبد ا لله بن رداس: شاعرات من البادية ص٥٣

شَفْيِّ سبيعيٍ بتالـــي طياحه   أخير من قصر ابن عسكر ومبناه

إن مِتُّ حِطوني بوسط البياحه   قَبْري على درب المظاهــير تاطـاه

وأورد ابن بليهد (١) قول ابن مسعر العاصمي يمدح الخضران قوم ابـن شـوية بقصيـدة منها:

يا فاطري وا لله انقد تشامعيـني   وأن تتبعين الكرك وأنتِ مهاهة

لو كان زجّيتي بعال الحنيني   إنكِ من أسفل محرقة لا غيانــة

إن كان يازين القرى تسمعيـني   فن كل حل عبرته من زمانــه

وإلا مع الخضران لو تنجعيني   ربع لـدمثـات العشائـر مدانه

لَبكّر الوسمي عليهم بحيني   ذيدانهم خشر الضباء بدبقانـه

وسألت غازي بن سحم من ذوي خليفة الشيابين، وهو من أقارب فارس بـن سحمان ـ الفارس المشهور ـ سألته عن قول الشاعرة:

ويفداه ابن سحمان سقم الحريب   اللي شافوا ظلم مع درب شلفـاه

فقلتُ: مَن الذي طعنه فارس بتلك الطعنة المذكـورة في البيـت؟ فقـال: هـو رجـل مـن الصنادلة من سبيع قد قتل عدة رجال من السحامين، فكان فارس يترصّد له في كل غـزوة، حتى رآه في تلك الغزوة، فاندفع إليه على حصانه ظبيان، فلمّـا رآه السـبيعي، وعـرف أنـه فارس انحرف هارباً لأنه يعرفه، وهو من هو في الشجاعة، وإجادة الرمي، فلحق بــه فـارس فلما اقترب منه، قذفه بالبلطة (آلة من آلات الحرب)، وليس الشـلفا كمـا جـاء في البيـت، فاخترقته، فسقط عن حصانه ميتاً، فلما انتهت المعركة جاء إليه مَن رفعه، فرأى جبل ظلـم

---

[١] ـ محمد بن بليهد: صحيح الأخبار ٣ / ١٩٠

من خلال تلك الطعنة. وقد أخبرني والدي ـ رحمه الله ـ أنه سأل فارساً نفسه عن تلك الطعنة، فقال فارس: عندما اقتربت منه، ونهضتُ نفسي لأرميه، اندفع الحصان في جريه، فاقتربت منه كثيراً فقذفته، فرأيتُها تهوي من وراءه، وظننتُ أني أخطأته، ولمت نفسي، فلما انثنيت نظرت إليه، فرأيته طائحاً. وكان فارس قد حلّ ضيفا على والدي رحمهما الله، وهو نازل بين جبلي وعلة، وكرش، في عالية نجد، وكان مصاباً بمرض، ومعه رجل من قومه ذوي خليفة، اسمه ضويحي، فأقام، معه عدة أيام، ثم رحل، وترك بعد أن أذن له، وبعد رحيل ضويحي، اشتد المرض على فارس فمات، ودفنه والدي في ذلك المكان. وقال جري الجنوبي من أهل الخرمة:

يا أهل الركاب اللي مع الصبح مداد   با لله عليكم ريضوا وأركبوني

لاعاد أنا بالشام وأهلي بالأنجاد   أياتكم يا أهل الركايب زبوني

وأذكر لكم ماني شفيق على الزاد   ولا نيب عن رد الركايب مهون

أيضاً و لاني للجميلات جحّاد   أشكر ثناكم و العرب يسمعون

أمّا قصة العامري مع المهادي فهي مشهورة عند العرب في نجد، وخارجها، وسبب انتشارها بين الناس كونها من أحسن القصص، التي تصور ماعليه العرب من كريم الشيم، ونبل الأخلاق، وفي الحقيقة أن بطلي هذه القصة [مفرج، والمهادي [1]] قلما يوجد لهم نظير بين العرب أنفسهم، الذين عُرِفَ عنهم التفاني، والتضحية بالغالي، والنفيس في سبيل بناء المجد. فمن يكونان هذان الرجلان العظيمان، اللذان دخلا المجد من أوسع أبوابه؟ هما رجلان عاديان في كل شئ، لايظهر عليهما شئ غير عادي قبل هذه القصة، سوى أن

[1] ـ المهادي اسمه محمد، وقيل مُهَمَّل من عَبيدة قحطان، ومهمل كمنسي تفاؤلاً بأن الموت نسيه أو أهمله، وتركه.

المهادي كبير قوم، وزعيم قبيلة، أما مفرج العامري، فلا تدل القصة أن له شيئاً من الزعامة غير أنه كبير في نفسه عظيم في أخلاقه. بدأت هذه القصة عندما مرّ المهادي على ديار سبيع، ومعه عدد من قومه، فوقع نظره فجأة على فتاة من فتيات سبيع بارعة الجمال، فافتتن بها، ووقعت على قلبه وقوع السهم، فاحتار في أمره، وعاتب نفسه كيف تؤثر هذه النظرة العجلى فيه هذا التأثير؟ وهو رجل عاقل، وحكيم، وزعيم قبيلة، ويُحْسَب عليه في الأخلاق، والاعتبارات الاجتماعية ما لايُحْسَبُ على غيره، ومع ذلك هو متزوج، ولو أراد الزواج ثانية لاختار من نساء قومه مَن يريد! كل هذا، وهو لايعلم عن هذه الفتاة أيّ شئ، فقد تكون متزوجة، فلا يمكن الوصول إليها بأيِّ سبب وحاول أن يتناساها، لكنها شغلت فكره، وعقله، حتى خشي من نفسه أن تفضحه، فقد بدأ عليه الوجوم، والسرحان كثيراً! وهو لايزال في ضيافة العامريين، فكيف إذا رحل بعيداً عنهم، وخبّت به المطي، ولمع السراب أمامه مؤذناً بفراق لا لقاء بعده؟ وأنشد الركبان الحداء فهل يستطيع عند ذلك حبس مشاعره، وشجونه، وهو شاعر تثير مشاعره الأجواء الشاعرية لذاتها؟ فكيف إذا كانت الشاعر قد التهبت، وغلت بتلك النظرة القاتلة؟

فكّر، ثم فكّر، ونام رفقاؤه تلك الليلة، وهو يفكر، فهداه تفكيره إلى أن تناسي هذه الفتاة مستحيل، وقد يصاب في عقله، وفي نفسه إن هو حاول تناسيها، قرر أن يحسم الأمر بطلبها من أهلها إن كانت غير متزوجة، أما إن كانت متزوجة، فعليه أن يعاني ما يعاني، ويرحل، وعلى الله الفرج. ولأن المهادي عاقل فقد عرف أن الأمور لاتحل بهذه السرعة، فدبّر حيلة ليتخلف عن قومه، ويدبر أمره على مهل، فقال لهم أنه مريض، ويرغب في البقاء عند مضيفه، أياماً، ثم يلحق بهم إذا شفي. فرحل قومه، وبقي في بيت مضيفه، فأخذ

يتفرس في الرجال، ويختبر كل مَن يرى فيه علامات، النبل، والأخلاق (١)، ليساعده على الوصول إلى حل، إذ لايمكنه ذلك بدون مساعدة رجل من قوم تلك الفتاة. فالمهادي لايعرف عنها أي شئ! ولايعرف وليها، ولاحتى بيته! ولايمكنه التجول بين بيوت الناس بدون مرافق، وهو مع ذلك يدعي المرض! فلما وجد الرجل الذي قدر فيه النبل، والأخلاق الفاضلة، وظن أنه يكتم سره، فاتحه، وأخبره، وكان شاباً في مستقبل العمر، بهي الطلعة حسن السمت، قد يكون له تجربة في الحب، والغرام، فيعذر غيره على الأقل إن لم يساعده! فقال ذلك الشاب: صفها لي. فوصفها المهادي، وذكر المكان الذي رآها فيه.

فقال الشاب: هل تعرفها إذا رأيتها مرة أخرى؟

قال المهادي: لو رأيتها مع مائة من النساء لعرفتها فوراً!

فقال الشاب: هيًا بنا، فمضيا إلى خباء قريب من خباء المضيف، فلما قربا منه نادى الشاب الفتاة باسمها، فأتت مسرعة إليه، فلمّا رأت الرجل الغريب معه انحرفت مسرعة إلى خبائها، فقال الشاب: هل هي تشبه هذه الفتاة ؟ فقال المهادي، وقد كاد يُغشَى عليه: بل هي هي!

قال الشاب مفرج: أبشر أنا أزوجك بها!

ففرح المهادي فرحاً شديداً، وظنه أخوها وولي أمرها، فذهب الشاب إلى والده وأخبره بما جرى بينه، وبين المهادي، فقال الوالد: حسناً فعلت، فعقد قران المهادي على الفتاة التي كانت أمنيته، ظنها من المستحيلات. وفي ليلة الزفاف زفت إليه، وهو في غاية

---

١ – قيل: إنه كان يختبر مَن يرى فيه الخير بالجلوس إلى جانبه في المجلس، ثم يتكئ عليه بقوة، ويقول: أنا مصاب بالتشنج، ولا أستطيع الجلوس إلا بمساعدتك! فإن ضجر، وتململ تركه، وما أكثر مَن فشل في الاختبار، ولكنه، وصل أخيراً إلى بغيته.

السرور والبهجة، لكن المفاجأة حدثت عندما دخل عليها فوجدها تبكي، وتنتحب، فظن المهادي أنها لحظة المفاجأة، وأنها لو عرفته، وعرفت مكانته لشعرت بالسرور، والغبطة، فأخذ يعرفها بنفسه، وبمكانته في قومه، وبعد حديثه الطويل معها، لم يتغير شئ من مظاهر الحزن، والكآبة، فأخذ يسألها عن السبب، الذي يجعلها في هذا الموقف الحزين! فقالت: أراك شهما، ونبيلاً، وأظنك لو عرفت ما الذي جنيته عليَّ وعلى ابن عمي لم تفرح بزواجك مني!

دهش المهادي من هذا الكلام، وقال: هل أنا ارتكبت ذنباً بحق أحد؟ ومن هو ابن عمك؟

فقالت: نعم أنت أخطأت عليَّ، وعليه، وابن عمي هو مفرج الشاب الذي زوجنيك!

ثم استمرت في الكلام، وقالت: والرجل الذي ظننته أبي هو عمي، ووالد ابن عمي مفرج، أمّا أنا فيتيمة الأب، وقد عشت في كنف عمي، وكنتُ أنا، ومفرج منذ الصغر نظن أنّا خلقنا لبعضنا، فلما أراد أن يبني بي، جئتَ أنت فاختطفتني منه!

أحسَّ المهادي بالمرارة، فتبددت منه مشاعر الفرح، والسرور من نفسه، وأخذ يفكر في حل لهذه المشكلة، التي أوقعه فيها هوى النفس الأمارة بالسوء، وأخذ يسأل نفسه: هل يمضي إلى الأمام بعدما سهل القدر له ما تمناة، وأصبح بين يديه، في يسر، وسهوله، خصوصاً وأن الناس لايلومونه، لأنه سلك الطريق الصحيح في الوصول إلى أمنيته تلك الفتاة التي سلبته عقله، وألهبت مشاعر الوجد في نفسه؟

فهل يتركها، وهو يجد في نفسه ما يجد من حبها؟ وكيف تهنأ له الحياة إذا فارقها بعد كل ماحصل؟ لكن كيف تتم له السعادة على حساب سعادة الآخرين؟ فمفرج يجد في نفسه من حب تلك الفتاة أكثر مما يجد المهادي، وطالما انتظر اليوم السعيد الذي يجمع بها

تحت سقف خباء واحد، وقد عاش يمني نفسه بها، والأيام تقربه منها يوما بعد يوم، فلما أوشكت الفرحة أن تتم طارت الآمال من أمامه.

كل هذه الأسئلة دارت في نفس ذلك الرجل النبيل قبل أن يقترب من الفتاة فقرر التخلي عنها، خصوصاً بعدما عرف أنها لاترغب إلا في ابن عمها، وقال: لن يمس جلد جلد، وأنا راحل غدا إلى قومي، فإذا وصلتهم أرسلتُ رجلاً من قومي يبلغ ابن عمكِ، وعلمه بأني طلقتك. نفذ المهادي ما عزم عليه، وقال للرجل الذي أرسله: قلْ لمفرج أني لايمكن أن أنسَى معروفه، وجميل فعله، فإن احتاجني في أمور الدنيا بذلت له كل ما أستطيع. افترق الأصحاب على هذه الحالة، ثم تزوج مفرج بابنة عمه، ومضت السنين تنهب الأعمار، وتغير الأحوال، فأصاب مفرجاً فقراً شديداً، لازمه عدة سنوات، وبعد طويل معاناة من شدة الزمان، تذكر صاحبه المهادي، فرحل من ديار قومه سبيع على بعيرين، ليس له مال غيرهما ولا عليهما من الزاد ما يكفي مسافة الطريق، وليس له ماوى إذا نزل غير جذوع الأشجار، فسار حتى نزل علي المهادي في ديار قحطان، ففرح المهادي به فرحاً شديداً، وعزم على مكافاته بالإحسان إحساناً، وأراد أن يبالغ في إكرامه، فأمر إحدى زوجتيه أن تخلي بيتها لضيفهما ينزل فيه، وأهله، وأطفاله، وأن تنضم الى ضرتها في البيت الآخر، فلبت الطلب، ونزل الضيف في البيت، وقالت زوجة المهادي لزوجة الضيف: إن ابني يأتي متأخراً في آخر الليل كعادته بعد أن يلعب مع شباب الحي، وإذا جاء نام قريباً مني، ولا أحس به إلا في الصباح، وهو لايعلم بقدومكم الينا فسياتي الى البيت كعاته، فإذا جاء أخبريه بأن يذهب إلى البيت الآخر.

فقالت زوجة الضيف: إن شاء الله سافعل، ولن أنام حتى يأتي فأخبره، لكن الليل طال، والمرأة تنتظر، وزوجها عند صديقه المهادي سامرين على أحاديث ما مضى من

الذكريات الجميلة، فأخذها النوم، فنامت، وجاء الولد، ونـام قريبـاً منهـا، ولم تشـعر، ثـم جاء الزوج، فدهش عندمـا رأى الولـد نائمـاً قريبـاً مـن زوجتـه، وظنـه رجـل سـوء، فـأخذ السيف، ففلق به هامته، فاستيقظت المرأة على هول المفاجـأة، وأخـبرت الرجـل بـأن الولـد برئ، وهو ابن المهادي، ولم يعلم بأننا نزلنا في بيت والدته، وأخبرته بكـلام أمّ الولـد! شعر مفرج بأن الأرض تدور به، وأنه يوشك على السقوط منها، يا لله كيف قـدر هـذا الأمـر؟ مـا أقصر تلك الفرحة التي فرح بها الصديقان عندما التقيا! آه، ليتها لم تكن هذه ولا تلك! مـا المخرج من هذه المصيبة؟

قرر مفرج أن يخبر صديقه بما حدث مهما تكن النتائج. فذهب إليه، وعندمـا اقـترب من الخباء ناداه، فهب المهادي مذعوراً، وعلم بأن رجوع جاره إليه في هذه الساعة المتـأخرة من الليل، لايمكن إلا لشئ حدث. فقال المهادي: خيراً يا مفرج؟ عسى ما بـاس؟ مـا الـذي جاء بك في هذا الوقت؟

مفرج: والدموع تنساب على خديه، وقعت مصيبة.

المهادي: مصيبة؟ ماهذه المصيبة: كفانا الله الشر.

أخبر مفرج صديقة بما حصل، ففكر المهادي في الأمر، ثم قال: لاتحزن هذا أمر قـدره الله، ثم قال: نأخذ الولد، ونضعه في ملعب الشباب الذين سهروا فيه ، حتـى يـراه النـاس إذا أصبحوا، فيأتوا ليخبروننا، وعندها سـوف أبحـث عـن قـاتل ابـني، وأتظـاهر بـأنني لا أعرف القاتل، حتى إذا مضى بعض الوقت طلبت الدية من القبيلة، وأنهيت القضية.

نفّذ المهادي هذه الخطة ليستر على جـاره، ولـما أخـذ الديـة، وكـانت ثلاثمائـة ناقـة ضمها إلى إبله على أعين الناس، ثم دفعها إلى صديقه مفرج بعد ذلك!

مضت الأيام، والشهور، ثم السنين بعد السنين، ونسي الصديقان هذا الحادث المؤلم، وعاشا صديقين حميمين، وكبر أولاد مفرج، وصاروا شباباً، وكذلك بنات المهادي كبرن وصرن شابات، فاشتكت إحدى بنات المهادي من أحد أبناء مفرج، فأخبرت أمها بأن الولد يراودها، فأخبرت الأم زوجها المهادي، فغضب من ذلك غضباً شديداً، لكن كبر في نفسه أن يخبر جاره مفرج بما حصل من ابنه، وعرف أنه إن أخبره سيحصل منه تصرف شديد ضد الولد، وربما انكشف الأمر للناس، ثم تروج بينهم الإشاعات ضد البنت، وأهلها. كتم المهادي الأمر في نفسه، وحذر ابنته، وأمها من إفشاء الستر، وطلب من البنت أن تحتاط لنفسه من ذلك الشاب الجاهل، لعل الله يأتي لهم بالفرج من هذه المشكلة، ومضت سنوات، والمهادي وأهله على هذه الحالة يتحملون الأذى من ذلك الشاب المتهور، وبعد مضي ثمان سنوات، وفي ذات يوم دخلت البنت على أبيها باكية، وقالت لن أخرج من هذا البيت حتى أموت، فعرف المهادي أن الولد قد زاد في أذاه، وتمادى في باطله، فقرر أن يخبر جاره مفرج، واختار التلميح لا التصريح، فالحر تكفيه الإشارة، وفي أحد الأيام جلس الصديقان يلعبان لعبة ((البيّة)) وتسمى عند البعض الدامة، وأثناء اللعب كان المهادي يقول: ارحل يا جار عنّا ارحل وإلا رحلنا، ويكرر ذلك كأنه يقصد اللعب، ويعرف حقيقة أن مفرجا سيفهم الغرض. وبعد انتهاء اللعب بينهما، اهتمّ مفرج بالأمر، وأخذ يفكر ما الذي دفع جاره الى قول هذا الكلام؟ لابد أن شيئاً خطيراً حصل، فاستشار زوجته، فقالت: استأذن المهادي في الرحيل الى قومك، وقال له: إني أطلت الغربة عن قومي، فإن كان راغباً في رحيلك فهو لن يطلب منك البقاء، وإن كان المهادي غير راغب في ذلك فسيطلب منك البقاء، ولن يسمح لك بالرحيل.

نفذ مفرج نصيحة زوجته، فما كان من المهادي أي اعتراض على رحيله، فتأكد مفرج من رغبة المهادي في مفارقة صديقه، ولكنه لم يعلم السبب، ولابد أن يكون هناك سبب خطير جعل المهادي يزهد في صداقة صديقه. رحل مفرج حزيناً على فراق صديقه، وقد زاد حزنه أنه لايعرف السبب الذي غيّر صديقه. وبعد أن سار عنه مسافة يوم قرر أن يرجع له لعله يخبره بالسبب، وفي الطريق قال في نفسه: إن المهادي لايمكن أن يصل أحد إلى سره، ولو كان يريد أن يخبر به لأخبرني به قبل أن أرحل، لكن مفرجا مصمم على أن يعرف السبب ليريح ضميره من هذه الظنون، والأوهام فقرر أن يقترب من المهادي ليلاً ليسمع ما يقوله في هذه الليلة ليلة رحيل جاره، وقد علم أن المهادي سيقول شعراً في هذه المناسبة، وهو شاعر مرهف الحس، وطالما أمتع جاره بشعره، وبعزفه الرائع على الربابة. وقد حدث ما كان يتوقعه، ولشدما أدهشه عندما سمعه يقول الأبيات التالية، ويكررها حتى مضى من الليل أكثره، وجاره يسمع، وهو لايدري!

كان المهادي يقول:

يقول المهادي و المهادي محمد — لوا علتي جميع الملا مادرى بها

إن بيُنتها بانت لرماقة العدى — وإن كنيتها ضاق الحشاب التهابها

ثمان سنين وهو مجرم بنا — وهو مثل واطي جمرة مادرى بها

رحل جارنا ماجاه منا زريه — ولو جتنا منه ماجاه منّا عتابها

نرفأ خمال الجار إلى داس زله — كما ترفو بيض العذارى ثيابها

ترى جارنا القالط على كل طلبة — ولو كان ما يلقى شهوداً غدابها

الأجواد إذا قاربتهم ما تملهم — والأنذال إذا قاربتها عفت ما بها

الأجواد مثل العد مَن ورده ارتوى — والأنذال لاتسقي ولاينسقَى بها

الأجواد مثل البدر في ليلة الدُّجا والأنذال ظلمى ضايع مَن سرى بها

الأجواد مثل الزمل للشيل ترتكي والأنذال مثل الحشو كثير الرغا بها

ولّي عجوز من سبيع آل عامر مضيّعةٍ غِرّانها في شبابها

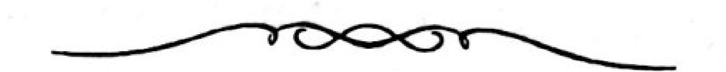
أقسمتُ يا أرضاً خلت من مفرج ما تنبغي لو هو زعفران ترابها

سمع مفرج الأبيات، وتأكد لديه ماكان يظنه من إساءة الأولاد لبنات المهادي، فرجع إلى أهله غضبان، وقد عزم على محاسبة أبنائه، فلما وصل إليهم، أخذ يسأل أبناءه على انفراد، ويبدأ معهم بالباسطة، والمزح، ثم يجرهم برفق إلى الحديث عن بنات المهادي، بدأ بالحديث مع الكبير، ثم مع الأوسط عندما يختلي بكل واحدٍ منهم، فلم يصل إلى شيء، وكل من الأخوين الكبير، والأوسط يشمأزان عندما يجرهما إلى الحديث عن بنات المهادي، ويثنيان على جارهما أشد الثناء، حتى وصل الدور إلى الصغير، فانطلت عليه الحيلة، وكشف السر، وقال: لو بقينا عندهم أياماً لوصلت إلى حاجتي!

امتزج شعور الغضب، والانتقام في نفس الأب، وهو يسمع كلام ابنه الغريب، فتغلب هذا الشعور على عاطفة الأبوة، والرحمة، فاستلَّ سيفه، وأهوى به على ابنه فقتله، ثم قطع رأسه، ووضعه في خرج معه، وقدم به على أهله، فجمعهم، ثم قال لهم أين فلان؟ يعني الولد المقتول، فقالوا آخر علمنا به يوم خرج معك، فقال هو الآن معي، وأخبرهم بخبره، ثم قال لابنه الكبير: اذهب برأس أخيك إلى المهادي، قل له خذ هذه الرسالة من أبي! فلما وصلت الرسالة إلى المهادي انتشر الخبر بين الناس، وانكشفت أسرار الصديقين من أولها يوم قتل ابن المهادي إلى آخرها عندما قتل مفرج ابنه. فتداول الناس القصة، وانتشرت مع العرب في أنحاء الجزيرة العربية حتى ضرب بهما المثل، وتنازع الناس في المفاضلة بين

الرجلين، وورد ذكرهما في بعض قصائد الشعر في نجـد، وخارجهـا، فهـذا شـاعر الدهامشـة غانم اللميع يقول في قصيدته التي وجهها إلى محروت الهذال:

صبرنــا مايصبرة غير المهادي	شايف خملة قصيره له سنينا
يوم شاف الجار في الخفرات عادي	حذر الخفرات عن علم يبينـا



السهول

قبيلة السهول من القبائل النجدية، وهي من أقدم القبائل في نجد، لكنها ليست من القبائل الكبيرة، ومن فروع هذه القبيلة: الظهران، وآل محمد، والبرازات، والسرية، والمَحْلف، والقبابنة، وآل مرصوع. وبلادهم في أطراف جبل العارض، وعلى مقربة من الرياض ـ العاصمة ـ. ومن بلادهم: أمُّ الشطن ـ بقرب البرة ـ، والدُّبَيجة، والرويضة ـ رويضة العرض ـ، والرويضة ـ بقرب رغبه، وسِلْح، ورويغب، ومشاش السهول[1]. وقد كان لهذه القبيلة، وقائع كثيرة مع القبائل النجدية، وأكثرها مع بني لام (الفضول، وآل مغيرة، وآل كثير)، ومع عنزة، والظفير، والدواسر وقحطان، وقد حتَّم عليهم موقعهم القريب من الدرعية مركز الدعوة الإصلاحية التأثر بهذه الدعوة المباركة، والانضمام لقواتها، فكانوا من أسبق القبائل الموالية لها. ومن أهم المعارك التي اشتركوا فيها مع قوات الدعوة معركة الأبيض في أرض السماوة في العراق ضد شمّر، ومعهم الظفير، وآل بعيج، والزقاريط، وهي المعركة التي قتل فيها قائد هذه الجموع مطلق الجربا، فإنه لما اشتبك الجيشان كان على فرس سابق يجول ويصول بين المتحاربين، فعثرت فرسه بشاة، فسقط عنها، فاغتنم الفرصة فارس السهول، وشيخهم خزيم بن لحيان، فقتله. وقد قتل في هذه المعركة قرينيس بن محمد أخو مطلق الجربا [2]. وقاد ابن معيقل ـ صاحب شقراء ـ جيش الدعوة، ومعه جموع من السهول، ومطير، والعجمان، وتوجه لعتيبة، وهم في أرض البغث في ركبة في عالية نجد، ووقع بينهم قتال شديد، فانهزم ابن معيقل، ومن معه، وفقدوا كثيراً من رجالهم،

---

[1] ـ انظر حمد الجاسر: معجم قبائل المملكة العربية السعودية، حرف السين.

[2] ـ انظر عثمان بن بشر: عنوان المجد أحداث سنة ١٢١٢هـ

ورواحلهم(١). ومن شعراء السهول سويلم بن علي، الشاعر الغزلي المشهور، صاحب الوجدانيات الرائعة، فهو يحسن تصوير الوجد، ومعاناته ، ومن شعره:

وجدي عليهم وجد من له مواحيل حيل وخلفات تدوس الوسومِ
وعشاير شقح تلاد و مخاليل ومعهن على شقران فلو قحومِ
سبر لخطلان على كنس حيل شيب المتون عيونها تقل لوم
كل أبلجٍ ضاري لكسب التنافيل وضرم يبون المال ما فيه لومِ
وغارت عليه القوم خيل ورجاجيل وطبّح على فلو حشوم عزوم
وأقفى يرادي له عن الخيل حلحيل شذر حذر تالي شيوخ قرومِ
وأقفوا على ذوده عصاة مشاكيل وكل على حقه شحوحٍ بحومِ
وصله وخلّى العج مثل المخاليل وعج الرمك و البل مثل الغيومِ
يبي يداري هرجة القول والقيل حضر حياةولابنفسه وُهومِ
طبّح له اللي ضاري بالمحاويل وثاره إليا أن أحذاه مثل النجومِ
واقفى مذل مع دكاك الغراميل يفرك يديه ومِر كبده يزومِ
عقب السعد والعز والبن و الهيل وكبش مربينه لكل محشوم
اليوم يسهر كل ما جرهد الليل ودايم على غيظه صموت كظومِ
هذا وجودي من له مواحيل من عقب ما هي ذود صارت قسومِ
أو وجد من صدرعلى أربع محاحيل ولها إليا غاب الرقيب معلومِ

١ - انظر عثمان بن بشر: عنوان المج أحداث سنة ١٢٠٨هـ

صدر على أربع مايـة كلها كيـل　　خـد حماد تسقي نواحيه كومِ

أربع عقايبهـا أربع كنس حيـل　　يشيلن الما فـي وساع الكمومِ

يوم استتم الزرع شال النما شيل　　نشت بـردها كبر روس البهومِ

هلت على وسط المفالي هماليل　　وصارت على روس النواحي رجومِ

واللي بقي من حبها شاله السيل　　فثوى السبل بالسيل مثل ا لهدومِ

وأصبح يصيح ويزعج الويل بالويل　　وعن قول ما نالت يديـه محرومِ

ا لله يكفينـا شـرور المخـاييل　　إليا عطى رحمة كما إنه رحـومِ

ما قلتها باللي تعرف التهاويل　　ولا هي من اللي يجمعن العلومِ

وله أيضاً:

واجـذ قلبي جـذ دلو مـدلاه　　غرب ثقل يوم تنهّضَ رحـالـه

على زعاج يوم تـارد و تـمـلاه　　وتقفي تموح ويلطم الغـرب جاله

توهفـه شنظور حيـد بمطـواه　　بس الرشا و الغرب عوّد لحاله

وأرقى رشاه وغربها عوّد المـاه　　وقـدّ السريـح و جذتـه بانتلاله

على وليف ما هقيت أستم بليـاه　　ولا هقيـت القلب يقبل بـدالـه

ولاهقيت القلب يطرب بلامـاه　　وغم طـواه اليـاس واعزتـا لـه

وجدي عليهم وجد من يبست شفاه　　باللال تيـه مـارده حظـو بـالـه

تاه الطريح وحروة الجو ماجاه　　وعزاه ما حوله صديق صخا لـه

تالي كلامه قولـته واحـلالاه　　يا ويل من فارق عيالـه ومـالـه

.ولا كمّـل الشهادة والأمـر لله　　يمناه بالصفقـة تعلـت شمالـه

مطير

قبيلة مطير إحدى القبائل الكبيرة في نجد، ومساكنها حول القصيم وشماله، وشرق الدهناء في الصمان، والقيصومة وحفر الباطن وما حولها وتمتد غرب القصيم في عالية نجد إلى الحرة. وتحدهم حرب من الشمال والغرب، وعتيبة تحدهم من الجنوب والغرب أيضاً. أما في الشرق فيحدهم العجمان وبنو خالد والعوازم. ومن مياههم اللصافة، واللهابة، وقرية، والرفيعة، والسعيرة في الشرق، وهجرة الإرطاوية بين المجمعة والدهناء، وقد تحولت موارد المياه إلى قرى بعد قيام الدولة السعودية الحديثة[1]. وتنقسم هذه القبيلة إلى فرعين كبيرين هما: عِلوا وبُرَيْه، وفرع ثالث أقل عدداً هم بنو عبد ا لله، وكل فرع ينقسم إلى أفخاذ كثيرة. وكانت مساكن هذه القبيلة في الجهة الغربية الشمالية من نجد، وفي الحرار المتاخمة للسراة، ثم انحدرت بعض فروعها إلى الشرق، وغالبية من انحدر منهم إلى الشرق من عِلوا، فمراعي نجد كانت تستهوي أهل الإبل، وكل من يستطيع الوصول إليها لايفضل غيرها. وكانت نجد تخضع للنفوذ الخالدي أحياناً، وخاصة في عهد سعدون بن محمد بن غرير(١١٠٣ ــ ١١٣٥)هـ (١٦٩٢ــ ١٧٢٣)م وهو الذي يمدحه الشاعر منيع بن ضمن بقوله:

حمى من ربي هجر إلى ضاحي اللوى	إلى الشام من جوف العمر حدودها
إلى خشم رمان إلى النير مجنب	إلى الشعرى وطمانها مع نجودها
إلى العرض للوادي الحنيفي مشرق	وعن ما شمال كل هذي يسودها
إلى ذكر منها مرعى جاده الحيا	رعاها على رغم العدى ما يشودها

[1] - انظر حمد الجاسر: معجم قبائل المملكة العربية السعودية كل فرع في مادته.

ويبدو من سياق الأحداث أن مطيرا انحدروا إلى الشرق حوالي منتصف القرن الثاني عشر الهجري، لكنهم لم يتجاوزا الدهناء شرقاً إلا بعد أن ضعف دور بني خالد، وحلفائهم، عندما انهزموا في مناخ الرضيمة سنة ١٢٣٨هـ، فأحداث القبيلة التي يرويها الرواة تكثر من ذكر ابن عريعر، وآل عرير بدأت زعامتهم في الأحساء بعريعر بن دجين بن سعدون سنة ١١٦٦هـ ١٧٥٣م وخلفه من بعده بعض أبنائه منهم بطين، ودجين، ثم سعدون بن عريعر، ودويحس بن عريعر، وخاله عبد المحسن بن سرداح، وزيد بن عريعر، ثم أخيراً براك بن عبد المحسن الذي حكم سنة واحدة، ثم انتهى دور الزعامة الخالدية سنة ١٢٠٧هـ ١٧٩٣م[١]. ولم يكن عهد آل عريعر عهداً سعيداً لبني خالد، فقد تمرد أهل الأحساء على الحكم الخالدي سنة (١١٨٩ ــ ١١٩٠)هـ (١٧٧٥ ــ ١٧٧٦)م[٢]، كان آل عريعر يمارسون الغزو، لغرض فرض القوة ، وأخذ الغنائم، والسيطرة على المراعي، دون أي اعتبار آخر فلم يسعوا إلى إقامة علاقات طيبة مع الجيران، والقبائل المحيطة بهم، فانهزموا في عدة معارك أمام قوات الدعوة الاصلاحية، وانهزموا في عدة معارك اجتمعت فيها قبائل ضدهم كان السبب في نشوبها آل عريعر أنفسهم، حتى قيل: إن ابن عريعر ((يحيف على بيض الحبارى في الصمان)) أي يمنع الناس من أخذه، ويعاقب من يتجرأ على أخذه عقوبة شديدة. وقد حالفهم جديع ابن هذال أكبر مشايخ عنزة، وخاض عدة معارك معهم، وتلقى المساعدة منهم. والرواة يذكرون أسماء زعماء من آل عريعر ليسوا حكاماً. مثل حمادة بن عريعر، وماجد، ومنيع بن سالم. ويبدو أنهم هؤلاء الزعماء، مسئولون عن البادية، أو أنهم

---

[١] ــ عبد الكريم الوهبي: بنو خالد، وعلاقتهم بنجد ٣٥٢ ــ٣٦٤

[٢] ــ عبد الكريم الوهبي: بنو خالد ، وعلاقتهم بنجد ص ٢٩٥

قادة لبني خالد في الحروب القبلية، التي تنشب مع القبائل، وقد ذكر الفاخري حمادة في أحداث سنة ١١٦٦هـ قال: تولى حميدة في بني خالد حين غدر المهاشير(فخذ من بني خالد) في سليمان آل محمد وانهزم إلى الخرج، ومات به، ثم تولى عريعر، وقتل زعير بن عثمان، ثم غدر فيه حمادة، وانهزم عريعر، وصار في جلاجل. وهذا أبو عنقا[١] شاعر بني خالد يدعو زعماءهم، وهو في السجن أيام ثورة الأهالي عليهم فيقول:

إلى سعدون ودجين و داحس وزيد مسقي الضد العزافي

وقل لمحمد وأخوه لماجد ترى هجر بكى وأنتم مقافي

وكان زعيم مطير الذي جاء بهم إلى نجد هو فيصل بن وطبان الملقب بالأكوخ لبياض في إحدى عينه. وقد خاضت هذه القبيلة كغيرها من القبائل معارك مع بني خالد في عهد آل عريعر، ومع القبائل في نجد أكثرها مع عنزة، وقحطان، ثم مع عتيبة فيما بعد. فرواة القبيلة يقولون: لما جاء فيصل بن وطبان بمطير إلى نجد طلب من ابن عريعر أن يسمح له بالرعي في الصمان، فسمح له مدة سنة مقياض، ومرباع، بعد أن دفع الدويش له خمسين فرساً، وخمسين ذلولاً، وفي نهاية المدة رجع الدويش إلى غربي الدهناء.

غضب ابن عريعر على العجمان، بعد أن كانوا سنده القوي ضد القبائل فيما مضى وعزم على ترحيلهم إلى الجنوب بعد أن مكثوا في المنطقة نصف قرن تقريباً، وقال لهم ارجعوا إلى ديرتكم، فكبر هذا عليهم، فلم يستجيبوا لطلب ابن عريعر، فعزم ابن عريعر على حربهم، وأخذ يؤلب القبائل ضدهم فوقفت سبيع وعنزة إلى جانبه. أما العجمان فقد قاموا بدورهم يستعدون للمعركة، ويجمعون قواهم، ويدعون القبائل لمساندتهم، فوقف معهم السهول، ثم راسلوا الدويش، وابن قويد الدوسري، فاستجابا بشروط: أما بن قويد فقال: إن

---

١ – عبد الكريم الوهبي: بنو خالد وعلاقتهم بنجد ٣٦١

انتصرنا فلي ريشة ابن عريعر، وهي راية الحرب المزينة بالريش، أما الدويش فكانت شروطه أصعب، فقد اشترط الصمان، والدهناء والهارج، والمارج، وودايع ابـن عريعـر. ويعني بهذه الشروط أن يكون الصمان، والدهناء منازل لقومه خاصـة، وأمـا الهـارج فهـو العبد الآبق أو المكسوب مع الغنائم، وأما المارج فهي الفرس الذي يقتل فارسـها، ولايعـرف قاتله. فوافقوا عليها، وكان العجمان، ومن معهـم مستعدين لتقديـم أي ثمـن للانتصار علـى ابن عريعر. فاشترك فيصل بن وطبان الدويش بقومه مع هذه القبائل ضد ابن عريعر، في مناخ الرضيمة، واستمرت المعركة عدة أشهر على ما يقال، وكل يوم صباح، ومرواح، ثم انهزم ابـن عريعر، ومن معه في النهاية، وقتل في هذه المعركة مغيليث بن هذال. وبعد انتهاء المعركة نزلت مطير في الصمان، فنزل الدويش على اللهابة، ونزل ابنه محمد على القرعا، ونزل ابن لامـي على اللصافة. فسكنت مطير الدهناء، والصمان بهذه الطريقة، وقد قـال لي نـاصر أبـو حـواس أن سبيعا مع العجمان ومطير ضد ابن عريعر، ومن معه، لكن هذا الزعم مخالف لقول ابن بشر، والفاخري، اللذان يذكران أن سبيع مع ابـن عريعـر، ولكـن قـد تكـون سـبيع منقسمة بين الطرفين، لكن المعيضي لم يذكر سبيعا كما ذكر غيرهم من القبائل التي وقفت مـع العجمان في أبياته التالية. فقال المعيضي بن حثلي بهذه المناسبة:

رحنا وجينا بالسهول وخلطها	برازات عند الضيق تدمي حرابها
ورحنا وجينا بالدواسرآلاد زايد	قـوم ترادى بالأشدة ركابـهـا
ورحنا وجينا بالدويش المسمى	له هدة عند الضحا ينحكى بها
من يوم جانا وإبلهم ساهجينها	أخـذنا معقلهـا وأخذنا صعابها
جانا بقوم يرهب الضد شوفها	وخيل تهاذب ما عرفنا حسابها

وهذا قول ابن بشر. في أحداث سنة ١٢٣٨: قال: ((في هذه السنة من رجب مناخ الرضيمة الموضع المعروف في العرمة بين فيصل [بن وطبان] الدويش، وأتباعه من مطير، والعجمان وغيرهم، وبين ماجد بن عريعر، وأتباعه من بني خالد، وعنزة، وسبيع، وغيرهم وقع بينهم قتال شديد يشيب من هوله المولود، فانهزمت بنو خالد، وأتباعهم هزيمة شنيعة، وتركوا محلهم، وأثاثهم، وأغنامهم، وغالب إبلهم، فغنمها الدويش، وأتباعه، وقتل عدة قتلى من الفريقين وممن قتل من عنزة مغيليث بن هذال، وقتل من مطير حباب بن قحيصان رئيس البرزان جليس سعود بن عبد العزيز))[1]. فسكنت مطير المنطقة، وامتدت إلى حفر الباطن، وكان يقال عن حفر الباطن أنه ظهر حصان، ويعنون بهذه العبارة أن من ينزل فيه كأنه على ظهر حصان يحارب، لوقوعه بين قبائل كبيرة، هي شمر، والظفير، ومطير. لكن الحلف بين مطير، والعجمان لم يستمر طويلاً كغيره من أحلاف القبائل المؤقته، فقد اجتمعت القبيلتان لمواجهة قوات آل عريعر ثم انتهى الوفاق بين القبيلتين عندما تلاشى دور بني خالد، ولم يكن هناك عدو مشترك يجتمعان ضده، ولما أطلق سراح الشيخ راكان بن فلاح من أسر الأتراك له، قيل: إنه طلب الصمان من الأتراك، فوافقوا له على هذا الطلب. فأراد العجمان إخراج مطير منه، فزحفوا عليهم، وساندهم المرة، وجاء أبو اثنين، إلى صديقه الدويش وأخبره، بمساندة المرة للعجمان، فلما علم سلطان الدويش بقدومهم إليه، وليس عنده من قبيلتة إلا أقلها انسحب من الصمان إلى البطيَن غربي الدهناء، فقال راكان بن فلاح بن حثلين:

يا راكباً من عندنا فوق شــــقران   سواج بواج بعيد المضاحي

---

[1] - عثمان بن بشر: عنوان المجد أحداث سنة ١٢٣٨، و د/ عبد ا لله الشبل: تحقيق تاريخ الفاخري (الأخبار النجدية) أحداث السنة نفسها.

يلف البطين ويلفي الشيخ ســـلطان زيزوم علوى مبعدين المناحي

يمشي وينشد عن منازل فنيســـان يبغي بداري قامة وامبطاحي[1]

الـــدار حامينـــها بخيل وصبيان أهل القنازع دايثين الملاحي[2]

والعذر منك يا الصبي ابن درجان إنا فهقنا العصر نبغي صباحي[3]

وشدوا وخلوا عشوب الصلب تومي الأردان يلعب بها لايع هبوب الرياحي

ياما حدينا عند حـــلوات الألبـان وياما كسرنا خلفها من رماحي

ودي أنك أصبحت يا نسل وطـــبـان حتى يجيك من الهواشم صباحي

مخيلة تأتيك مـن صوب نجران مشروبها سم ذبوح ذحاجي

أول مطرها رشة الـخيل بأكـوان ترمي العشا للطير مومي الجناحي

لاما ركبنا فوق طوعات الأرســـان عدونا يبطي وهـو ما استراحي

فلما اجتمعت مطير على الدويش زحف بهـم علـى الصمـان، فانسحب العجمان إلى الألاح قرب الأحساء، فقال شاعر الدوشان دعسان بن حطاب الدويش:

ياراكباً من عندنا فوق ضبـيـان مفتلّ الذرعـــان حـــر شنـاحي

كأنه يباري له مع الجوشـيطان ما يُمَّسك لولا الرسن في اللواحي

اسلم وسلم لي على الشـيخ راكان مبدل الصلب الحمر باللألاحي

---

[1] ــ فنيسان لقب راكان نفسه.

[2] ــ القنازع: علامة معروفة في الحروب عند فرسان العجمان، فهم يضعون على رؤوسهم قنازع ليتميزوا على غيرهم، ويعرف بعضهم بعضاً بها.

[3] ــ ابن درجان من فرسان العجمان قتلته مطير في وقعة بينهم، وبين العجمان.

وقله ويش صار علمه ويش كان هو ليه عن دار نـزل فيه راحي
يا أمير جيتوا في ضعائن وسلفان وجيتوا بالمرة معك يا أبو فلاحي
وحنا فريقين على بيت سلطان لاخذت مال ولا سهجت المراحـي
مير الصلب لا ياكلك مثل ابن درجان ويبقى فلاح وحيد ماله مشاحـي
واخذ القضا نمرى على وقت الأذان مملية بأهل الغلـب والرماحـي
لاجا لها مع باطن القاع دندان ثم اختلط عج الرمك والصـياحـي
يلقى العشا مع دربهاالذيب سرحان وجا للضباع العرج صدر ورواحـي
عساك تسـلم يا سلايل كحيلان وينجيك ربك يوم كثر الطياحـي
ولاتستوي للموت يا طير حـوران مير إن بعض القيل ماله صحاحي
تشـــره على دار ولها ابن وطبان بحدب النمش ومذلقات الرماحي
يا ما بغـــاها من قبائل وعربان وعلوى علىجرد الصبايا تناحي
وعنها نحوا بالسيف غازي وطمعان لين أبعدوا عنها وساع النواحي
عندك خبر يا أمير ما أنت بغلطان وترى الكلام الظلم سم ذحاحـي

وكان سلطان بن الحميدي قد تزوج زوجة راكان بن حثلين الشـقحاء بنـت حـزام بـن مانع من الحثلين، في أثناء غيابه في الأسر. وقد يكون زواج الدويش من زوجة راكان في أثناء غيابه قد أساء إلى العلاقات بين الزعيمين: راكان، وسلطان. يقول راكان بن فلاح بن حثلين في هذه المناسبة:

لي صاحبٍ مـــا نيتي عنه نية وأثره قضَى له حاجةً مـا تناني
تباشروا بي عقب سابع ضحـيـة وأنا على أبرك ليالي زمانـي

لومي على الطيب ولومه عليه وراه ياخذ عشقتي ما تناني
ليته صبر عامين وإلا ضحية وإلا توقع صاحبي ويش جاني
أما قعد راكان ذيب السرية وإلا يجي يصهل صهيل الحصاني
حريبنا لا أهدى علينا هدية عندي مجازاته مثل ماجزاني
نسهج محله لين يخلف نويه يصبر كما يصبر مجدع الأذاني
من القطيف إلى النفود محمية إلا أن يمشيها خوي وعاني

ولمطير معارك مع عنزة منفردة من أهمها:

مناخ أبانات ، وكان النصر فيه لعنزة، وكانت هزيمة شنيعة على مطير. ووقعة كير سنة ١١٩٥هـ، التي قتل فيها جديع بن هذال، وقد سبق ذكرها. ومناخ المربع والعمار في وسط نجد، وجو مناخ في الصمان، ومناخ الوفرة في الشرق.

وبعد رحيل عنزة من نجد إلى العراق. قال مشعان بن مغيليث الهذال قصيدته المشهورة التي منها:

يا ا لله ياعالم خفيات الأسرار المعتني بالخلق والي المقادير
قلته ونوم العين من جفنها طار والقلب كنه فوق حامي المجامير
هليت دمع العين من شوف هالدار داراً سكنها الأجنبي والبقاقير

الى أن قال عن نجد :

من عقب ما حنا بها مثل الأزوار نامر وننهى ونحمي الجار ونجير
حامينها في لابة تسقي الأمرار عدوهم ما يحتسب بالمخاسير

الى أن قال:

لابـد ما نرجـع لأبـانـات زوّار بضعاينٍ تسبق ركـاب المعايير

مرْن شثاثة ثم كالن بالأسعـار وحطن للوم المسمى مصادير

ومدن وخلن الثمامي على يسار وخلن على المطران كدرا معاصير

أبا عليهـم ماضيـاً مثل ماصار ذبـح الشفايا والغنم والمظاهير

وجانا عن ابن عريعرحمّاي الأوكـار وقـال حمتوا داركم يا المناعير

فقدم بعنزة من العراق إلى نجد، ليحقق أمنيته، فكانت فيها منيته فقـد أغـار بقومـه على قافلة لأهل الزلفي يرأسها علي آل حمد، وقوامها نحو ثلاثمائة حمل، سـنة ١٢٤٠هـ فأخذها، ولم يمتع بعدها إلا خمسين يوماً حتى قتل (١). وإذا كان أن والده مغيليث قد قتل في مناخ الرضيمة سنة ١٢٣٨هـ فابن مشعان أما أنه قـد تـولى الزعامـة في حيـاة والـده، أو أن زعامته لم تتجاوز السنتين.

((ومحسن الهزاني الشاعر صاحب بلدة الحريق في أواخر القرن الثالث عشـر، وأوائـل الرابع عشر صحب الدوشان، وأكثر من قرض الشعر فيهم، منهـم في زمنـه مصلـط الدويـش، ووطبان الدويش، وعُليّق الدويش، قال يذكر امرأة من نساء الدوشان:

شدوا لها من فوق وثنات الجمال فوق أشقحٍ زين المناكب اصعيني

نصوا سهوم بين أبانات والخـال حامينهـا بمذلقـات العريني))(٢)

الصراع على المراعي، والمياه بين القبائل سمة بارزة فيما قبل تأسـيس الدولـة، وهـذه القبائل لا يسلم أحد منها لغيره بشئ إلا بعد قتال، وهــذه سمـة دارجـة في نجـد، الـذي لم

١- د / عبد ا لله الشبل: تحقيق تاريخ الفاخري (الأخبار النجدية) أحداث سنة ١٢٤٠هـ

٢- محمد بن بليهد: صحيح الأخبار ٢/ ١٢٩ ـ ١٣٠

تجمعه سلطة موحدة قبل قيام الدولة السعودية، فلما زحفت قحطان على نجد، كان لها من الوقائع أياماً مشهورة، أهمها مع مطير، ثم مع غيرها من القبائل النجدية الأخرى، ثم مع عتيبة فيما بعد. ومن هذه الوقائع وقعة الحنابج، قال الفاخري: في أحداث سنة ١٢٠٦هـ أغار هادي بن غانم بن قرملة شيخ قحطان على مطير، وهم على الحنابج (في جنوبي غربي جبل النير) وأخذ منهم إبلاً كثيرة (١)، وهذه الوقائع قبل انحدار عتيبة إلى نجد. قال ابن بليهد: ((وفي أوائل القرن الثالث عشر ظهر هادي بن قرملة رئيس قبائل قحطان ، وامتد نفوذه في نجد، واتفق مع الدويش في رعي الكلأ، وشرب الماء، وله ذكر حسن مع الولاية في تاريخ ابن بشر، فلما مضى قليل من القرن الثالث عشر ظهر ابنه محمد بن هادي، وأخرج مطيراً جميعهم من نجد، فلم ينازعه في نجد أعرابي))(٢).

ويبدو أن مطيراً لم تخرج من نجد، ولكنها انحازت إلى النواحي الشمالية منه، وامتدت إلى شرقي الدهناء. وسكنت قحطان وسط نجد، وجنوبيه، حتى انحدرت عتيبة على نجد، وخاضت معارك كثيرة مع قبائله، كان أكثرها مع قحطان، ومطير، وقد تشترك هاتان القبيلتان ضد عتيبة كمناخ الحرملية. ومن وقائع مطير مع قحطان وقعة بين ماجد بن الحميدي الدويش، وناصر بن قرملة ويبدو أنها وقعت في عالية نجد، وقد انهزمت مطير في هذه الوقعة وقتل فيها صلال المريخي. قال رجل من السهول في هذه الوقعة:

بكيت من فعل الجحادر بعلوى جمع الجحادر حد علوى على اللال

وعلوى لهم في جمة البير دلوا إلى جنة الفردوس يا ربع صلال

---

(١) ـ د / عبد الله الشبل: تحقيق تاريخ الفاخري (الأخبار النجدية).

(٢) ـ محمد بن بليهد: صحيح الأخبار ٢ / ١٣٠

وقالت وضحا الجدعية من مطير في هذا الكون موجهة الخطاب إلى ماجد بن الحميدي الدويش، وكان نازلاً على تبراك:

يا راكب مفتولة العضد حائل	من الخفس ممساها على جال تبراك
تلفي على قرم يداوي الغلايل	يا راعي الصولات صلال ينخاك
نجداً حميناها من أولاد وائل	واليوم عدونا سكن وادي الراك
أمّا احتميناها بحدّ السلايل	وإلا عطينا الشاة ذولا وذولاك

وقد نسب بعضهم هذه الأبيات إلى مويضي البرازية.

قال ابن بليهد: ((تعني بسكن وادي الراك قحطان لأن الراك لايوجد إلا في ديارهم في السراة قبل مجئهم إلى نجد))(١). ونزل ناصر بن قرملة في شعيب أوراط في سدير، فأغار عليه الدويش بقومه، فتناوخ الجانبان، ثم انهزمت قحطان. فقال عجير بن طلمس العازمي موجهاً الخطاب إلى مَن لم يضر المعركة، وكان مع مطير:

ياراكباً حراً دله بالمخاضير	متكلياً عشب الشتا مع ربيعه
يسرح مع تقليطة الدلو للبير	والعصر بين منيصفة والوريعه
يلفي بيوت مدهلاً للخطاطير	يـاوي لـولا للنزايـل مطيعـة
قل ناصر لفانا بالسلف والمظاهير	يقول من علوى علينا هزيعـة
جونا وجيناهم وسقنا المغاتير	سوق الجلايب يم سوق البديعة
هجوا وصكينا عليهم طوابير	وردن بنا ورد القطا للشريعة
وحنا نبيع الروح دون الغنادير	بعنـاه بيعـة رمـة مستبيعـة

١ - محمد بن بليهد: صحيح الأخبار ٢ / ١٣٠

غنيـــم قفا بالسبايا مدابير وأوراط سال من أحمر الدم ريـعه

خيل الجحادر قدم علوى طمارير ما يمنعون إلا مَن ا لله شفيعه

وا لله يا لولا نايفات الشناظير ما عاد يبقى مَن يهرج رضيعه

تزبنوهن يابسـين الحناجـير وغدن لهم عن الأهاوي منيعه

وقال أخوه عوير بن طلمس في نفس المناسبة :

يا راكباً من عنـدنا عمليـة ما مسها وقت الشتاء قرقـورها

ترعى من الباطن إلى ماويــة ليــن الأباهر عقبن اوثــورها

تلفي لنا يم الفروع حمايل أهل سربة تعجبك في دعثورها

ترى الوعد ليا جا الخضار محقبة لا نثرت غــرالسحاب بكورها

يازين في الصمان خبط أسلافنا إليا تجـاوب بومهـا وانجورها

قل يا هية صارت بوادي العودة مقـرود يا اللي ماحضردعثورهـا

نركي بهم صافي الحديد منومل ومحورشـــات عارفين احكورهـا

ومغمدات فـوق مخ الحائل ياويـل قوم يوتلين اظــورها

نطعن لعين اللي تصيح وتنخا ومغرغرات بالدموع احجورهـا

يا جاهل فيها تراها موضي بنت الشيوخ مكرمة بعسورها

منبوزة الأرداف ملهوفة الحشا الدحمليــة كأنهـا مــن حورها

وقال مطلق بن الجبعا في هذه المناسبة أيضاً و قد ذبحت فرسه في هذا المناخ:

يا سابقي خليتها يا أهل الخيل لاقيل يا أهل الخيل تطري عليـه

مفتولة الذرعان طويلة الـذيل يازينهـا لاجـت تباري المطية

حولتها في سربة كأنها الليل كلـه لعيـن صيحة الدحمليـة
ومع أيمن البطحا جنوب من السيـل أخذنا قضاها حزام ذيب السرية

خبر هذا المناخ والذي قبله وما قيل فيهما من شعر رواه لي ناصر بن عبيد أبـو حـواس مولى الدوشان.

ثم كانت لهم أيام مشهورة مع عتيبة، قال ابن بليهد عن مناخ الحرمليـة((أمّا يـوم المروت الأخير فاجتمع من عتيبة جمع عظيم من برقا، والروقة، ورؤساء برقـا يومئـذٍ محمـد بن هندي بن حميد، وهذال بـن فيهـد الشيباني، وابـن حجنـة، والهيضـل، و(أبـا العـلا) والدهينة، وأبو رقبة، والمهري، وقد حضر أغلب برقا ذلك اليوم، ورؤساء الروقـة الربـاعين، والمحيا، والمياه التي تشربها عتيبة: صميغان، والخيس، وأبو مـروة، والسـديري، وجميـع هذه المناهل في أسفل عرض ابني شمام متاخمة للمروت. ورئيس مطير نـايف بـن هـذال بـن بصيص، ومعه جماعة من بريه، وهم بطن من مطير ليس بالكثير. والحـاضرون مـن قحطـان آل روق، ورئيسهم محمد بن حشيفان، وكلا الفريقين على مـاء الحرمليـة الـتي مـر ذكرهـا. وأنا لا أعلم أن عتيبة هزمت في يوم من الأيام التي تقع بينهـا، وبـين أعدائهـا في نجـد إلا ذلك اليوم، وهو معروف عند أهل نجد (مناخ الحرملية)، ولكن نائف بن هذال بـن بصيـص من أهل الثبات في الحرب، وعدد مطير قريـب ثلـث عـدد العتبـان، وقـد انهزمـت في أيـام الحرب الأولى المطران والقحطانيون هزائم يسيرة. وفي بعـض هزائـم المطـران مـرّ فيحـان بـن زريبان رئيس الرخمان من مطير على ضيدان العارضي مذبوحة راحلتـه، فعـرف فيحـان بـن زريبان فقال بعدما ندبه: لاتتركني! ، وضيدان المذكور من أرمى أهل زمانـه بالبندقـة فعـرف فيحان ضيداناً، وقال اركب! فلمّا استوى على ظهرها رماها رجل من رمـاة العتبـان، فسـقط الاثنان مع سقوط الراحلة، فمشيا علـى أقدامهمـا، فـالتفت فيحـان بـن زريبـان إلى ضيـدان

العارضي، فقال: يا عمري عمراه ! خشية من القتل، فقال له ضيدان لاتخف ما دام في حزامي رصاصة واحدة. فتقدم رجل من آل محيا على جواده فرماه ضيدان فجندله، وما لحقهم من الخيل رماه، فتقدم رجل يقال له فلاج البراق من جماعة ابن ربيعان من الروقة، فسد الثنية، ومعه بندقية، فجلس له ضيدان فضربه برصاصة من بندقيته، وهي من الصمع فيما بين عينيه فجندله! فاتسع أمامهم الطريق ، وانفرج لهما فسارا حتى وصلا أهلهما على ماءة الحرملية، فقال فيحان بن زريبان أبياتاً نبطية يذكر فيها قتل راحلته ويذكر ما أصاب ضيدان:

يا فاطري ما أرخصت فيها بالاثمان	إلا بيوم ما يقلب صويبه
رديتها لمنجي الحرد ضيدان	ماني بمن بالضيق ينسى صحيبه
رديتها من ريع سوفة على شان	تنجيه وقت الضيق وإلا تجيبه
قلت استرح في كورها يا أبو سلطان	والناس مع هاك الثنايا حطيبه
صيبت وغطّانا من الملح دخان	وعج كثير و لا نشوف الظريبه
قال: ابتجح بالنصر يا ابن زريبان	والطير يبشر بالعشا من عتيبه
يا زين ذبحه والملح له ترنان	لابن محيا عند خشم الجذيبه
ثم ذبح عنده جوادين وحصان	وفلاج بالدشة وراها رمي به
هذا عشى للضبع والذيب سرحان	أيام بالمروت يرفع قنيبه[1]

---

[1] - وفي القصيدة أبيات أخرى لم يذكرها ابن بليهد منها:

يابنت شومي عن هوى كل كوبان	من لا يروي الرمح وش ينبغى به
دايم يدير البيت عندك بالاعيان	علم تودينه وعلم يجي به

(٠٠٠) وانتصر الحاضرون من مطير، ومن معهم من قحطان، ولمّا شاء القضاء والقدر أن ينزل الهزيمة بالعتبان اجتمع رؤساء مطير وقحطان، ويدبر أمر مطير نايف بن هذال بن بصي(١) ويدبر أمر قحطان محمد بن حشيفان شيخ آل روق، فقال نائف بن هذال: يا قوم تعلمون أن عتيبة أكثر عدداً منكم، ولكني سأعرض عليكم رأياً لا ينجح أمركم إلا به إني أرى أن نتناوش في القتال مع العتبان، نحن معشر مطير، ويبقى من فرساننا قوم يجتمعون بيننا وبين العتبان، فأتوهم من خلفهم، فإذا توجهوا إليكم كررنا عليهم كرة واحدة، فقالوا: سمعاً، وطاعة، وهذا هو الرأي، فدبروا هذا التدبير، فلما التحموا جاءت قحطان، ومن معها من المطران، فأول من وقعوا عليه الشيابين، ورئيسهم هذال بن فهيد، فانهزموا، وليست الهزيمة لهم عادة، بل هم أشد، وأجلد الناس في الحروب، فلما رأى العتبان أن الميمنة اختلفت اختلف القلب، وتزعزع، ثم تزعزعت الميسرة، ثم كانت الهزيمة حدثني رجل ممن حضر هذه المعركة يقال له غايب بن معية من قبيلة العصمة٠٠٠ [قال] لمّا انهزمنا كان رئيس قحطان محمد بن حشيفان على فرسه المشهورة، وعليه جوخة حمراء، وهي عادة الفرسان في المعارك، يلبسون شيئاً يمتازون به على غيرهم، وكان على أثر العتبان بيده سيف، ومعه رمح، فإذا لحقهم قريباً أخذ يجالد بالسيف، وإذا بعدوا عنه أخذ يرمي بالرمح، فقال مزيد بن مغيرق من قبيلة العصمة لأصحابه، وهو من الفرسان ومن الرماة: إني قد عزمت على قتل هذا الفارس الذي أهلك القوم، ومع مزيد بن مغيرق بندقية من الصمع، فأعدها ومال بجواده، وأخذ يراقب غريمه، فلما حانت له الفرصة انتهزها، وسدد بندقيته إليه، فكان فيها حتفه، فسقط عن جواده، وأخذ مزيد الجواد، وذلك أكبر شاهد له على أنه هو الذي

تخيري فكّاك ربعه بالأكوان   راعي الكرم والفعل عطب الضريبه

١ ــ قال لي ناصر بن عبيد أبو حواس: أن عماش الدويش حضر الحرملية.

تولى قتله... وقال ابن بليهد: ((ولا أعلم رئيساً من الرؤساء مـن الدوشان ولامن غيرهم من القبائل حارب عتيبة وحادهم في بلادهم مثـل هـذا الرئيـس نـايف بـن هـذال بـن بصيص، وكانت في أوائل القرن الرابع عشر أربعة مناخات بين عتيبة ومطير، وقد كان في هذه الأربعة كلها عمود مطير، وعمادهم! وسمي الاجتماع في الحرب مناخاً مـن إناخـة الإبـل يومين أو ثلاثة في مراحها وقت المعارك خشية عليها أن تؤخذ، فيقال للاجتماع مناخـاً)) (١). والمناخ الأول مناخ الحرملية[سنة ١٣٠٩هـ]، وفيه انهزمت عتيبة. والثاني مناخ الدوادمي، اجتمع عندها مطير، قسم من علوى، وقسم من بريه، أمّا رؤساء علوى فهم وطبان الدويش، وعماش الدويش، ورئيس بريه هو الرئيس المذكور نـايف بـن بصيـص، وحـرب بنـو علي بطن من مسروح على ماءة عرجا رؤساؤهم عبد الله الفرم، وصنيتان الفرم، وهـم عضـد للمطران على عتيبة، وعتيبة على ماء الشعراء، ورؤساؤهم محمد بن هندي بن حميـد، ومنـاحي الهيضل، وخزام المهري، و(أبا العلا)، وابن جامع، وأبو رقبة. وفي يوم من هذه الأيام تناوشت فرسان مطير وعتيبة، ورجع كل عن صاحبه، من غـير أن يهـزم أحدهـم الآخـر، ورجع العتبان، ومحمد بن هندي بن حميد قد نالتـه إصابـة، ومنـاحي الهيضـل قـد نالتـه إصابـة، وخزام المهري قد نالته إصابة، وجزا (أبا العلا) قد نالته إصابة، هؤلاء الرؤسـاء الأربعـة أصيبوا في يوم واحد، برؤوس الرماح، ولم يرَ أحد منهم بأساً، وامتد المناخ قريباً من عشرين يوماً، ثم رحل المطران من الدوادمي لم ينقص أحد منهم، غيرأنهم رأوا العتبان كل يوم في ازدياد، لأن البلاد بلادهم، فلما رأوا ذلك ارتحلوا، وحين بلغ رحيلهم العتبان المقيمين على ماءة الشعراء ارتحلوا عن بكرة أبيهم ينوون الصباح على ماءة عرجا ونهـب الذيـن عـاضدوا المطران على حربهم، ولم يعلم برحيلهم الفرم رئيس بني على، فجدوا أول ليلهـم ، وقطعوه في السرى،

---

١ - محمد بن بليهد: صحيح الأخبار ٢/ ١٠٦ ـ ١١٣

فرحلوا عرجاء صباحاً، ولكن ردهم الحربيون رداً عنيفاً، وتواقفوا إلى قريب الظهر، والحربيون لايبلغ عددهم خمس العتبان، فلما زالت الشمس أوقرب زوالها أغار العتبان غارة رجل واحد، وهزموا حرباً بعد قتال عنيف ذهب فيه عدد من الفريقين، وقال التويجر من شعراء [العضيان] من الروقة من عتيبة أبياتاً نبطية منها:

ليت نانف حاضر دقلة جملنـــا   وا لله أن يخلي نجد بالقلب النظيف [1]

رديفكم شلناه من عرجاء لأهلنا   وأكبر عليكم يا مخلية الرديـــف [2]

المناخ الثالث مناخ الجنيفاء [سنة ١٣١٧هـ]، وهو بين عتيبة، ومطير، لكن مطيراً لم يحضر منهم إلا قوم من بريه يرأسهم الرئيس المذكور نايف بن هذال، وعتيبة لم يحضر منهم إلا قسم من برقا، وقسم من الروقة، وحضرهذا المناخ تريحيب بن شري بن بصيص، وهو أفرس رجل عرفه الناس في زمانــه، وحدثت في هـذا المنـاخ مناوشات، وقتـال، ولم ينهـزم أحد، بل بعد مضي عشرين يوماً تصالحوا، والمطران يشربون مـن روضـة مطربـة ممتلئـة مـن المطر، الواقعة شمالي االعيون عيون السر، وعتيبة يشربون خباري وميـاه العيـون، فتصالحوا على السلم، فرحل المطران، وجعلـوا كثيـب السـر بينهـم، وبـين العتبـان، وقصـدوا الجهـة

---

[1] - نايف: هو نائف بن بصيص شيخ الصمران من مطير.

[2] - رديفكم: يعني به قبيلة حرب التي جاءت لتساند مطـيرا فوقـت الهزيمـة عليهـا. وللقصيـدة أبيات أخرى منها:

العام يوم أنك نخيته مـا تونّـــى   واليوم خليته بعد جالك حليـف

حنّا عتيبة بالحرايب ما اشتحنـــا   ونظيّر النافر ويركب له وليـف

نسري وتالي الليل يمشي به ظعنا   مشي المثقّل عندنا مثل الخفيف

الجنوبية لأجل المرعـى، ورحلت عتيبـة قـاصدة عاليـة نجـد، فلمـا وصـل العتبـان الضال والتسرير قريب الدوادمي عارضهم الأمداد، والغزاة يدفع بعضهم بعضاً، ورئيس الأمـداد من برقاء هذال بن فهيد الشيباني، وقسم من الروقة كل قبيلة برئيسها، ولما التقـى هـؤلاء القوم الغازون بأولئك العائدين قالوا لرئيس برقاء محمد بن حميد: ارجعـوا معنـا، فأجـابوهم بأنا تصالحنا مع ابن بصيص وقبائل مطير التابعة له، تهادنا أياماً معلومة، ولا نسـتبيح لكم أن تغازوهم، قبل مضي هذه الأيام، فتريثوا حتى إذا انقضت مـدة الهدنـة فـاجؤا مطيراً، وهم غارون يشربون من غدير الحـور، بـين ضرمـا، ومـراة، فـاجتلد الفريقـان سـاعة مـن نهار، وانتهت بقتل الفارس تريحيب بن شري بن بصيص ابن عم نايف بن هذال، ولم يكن عمره قد بلغ اثنين وعشرين عاماً، على أنه لم يقتل إلا وقد ذاع صيته، وعُرف بالشـجاعة النادر. عرفته فرسان عنزة، وفرسان شمـر ، وفرسـان حـرب، وفرسـان عتيبـة، وفرسـان قحطان، وفارس عتيبة على الاطلاق في مناخ الجنيفاء الذي مـرّ ذكـره خـزام المهـري رئيـس الدغالبة اعترف لترحيب هذا بالمنزلة العالية في الفروسية. **وهذه المعركـة الـتي قتـل فيهـا تريحيب هي المناخ الرابع))** (١). وذكر ابن بليهد بعض الحوادث المتعلقة بهذا لمناخ الرابع منهـا أن امراة من النفعة سارت مع الجيش فسألها السـلات فقـالت: أريـد أن قتـل تريحيبـا، فقال

[1] ـ محمد بن بليهد: صحيح الأخبار ٢ / ١١٤ ــ ١١٦، والذي قتل تريحيب هو فاجر السلات القسامي وخاله ابن تنيبيك المرشدي، فجاء كل منهمـا إلى الأمـير، وقـال أنـا قتلتـه، فتشكك في خبرهما، وقال روّقت لأنهما من الروقة، فصارت مثلاً لما يتشـكك فيـه، وكـان السلات هوالذي رماه أولاً فكسره وطرحه عن جواده ، فجاءه ابن تنيبيك، وأجهز عليه. فلمـا علم الأمير بقصة قتله، قال الذي قتله هو السلات، فأخذ السلات سـلاح تريحيـب، وجـواده، وكـانت هذه من عادتهم في الحروب.

أأنت التي ستقتلينه؟ قالت: بل أنت إن شاء الله، فقتله وفاء بوعده لها. وفي اليوم الثالث من أيام هذا المناخ، ملّ الناس الحرب، فبعث نايف بن هذال بن بصيص عمه شري بن بصيص أبا تريحيب، لطلب الصلح، فجاء على جواده في غلس الصبح حتى وقف عند محمد بن هندي بن حميد شيخ عتيبة، فعرض عليه الصلح فوافق، وقبل أن ينصرف جاءهم خيال من خيالة عتيبة - هو الفارس المشهور خزام المهري - فبقي على ظهر جواده، وقال للأمير لماذا لاتنهض للمعركة وتقود الجيش ؟ فقال له الآمير: هذا شري بن بصيص يطلب الصلح ، وقد وافقنا عليه. فقال: اللعنة على شري، وابنه تريحيب ألم تعلم أنهم قتلوا البارحة ناجي الضرة؟ لن نصالحهم حتى نثأر بفارسنا، فصاحَ، وقال: عتيبة يارفاقة! ناجي يا ثاير ! ثم اندفع تجاه المعركة، واندفعت الخيل في أثره، فركب ابن حميد، وقال لشري: اعذرني! لقد رأيت بعينك وسمعت بأذنك! ولما أدبر الناس أمام تريحيب في بعض الأيام ندب بعضهم بعضاً، فأسند[1] شبيب بن حجنه من أمراء النفعة، فلما اعترضت جواده رماها طامي القريفة ببندقيته فقتلها، فنزل وسار على قدميه، والقوم في أثره، فمرّ به سرحان بن ثويمر المقاطي فأركبه معه على جواده، فمروا بغايب بن معية العصيمي على حصان له كأنه انقطع به فرفع صوته يندب شبيب، (تكفا ياشبيب أدركني) فقال شبيب لسرحان: اردع الجواد، فأبى ابن ثويمر خشية أن يصيبها مثل ما أصاب جواد شبيب، فلما مرّا بحجر، وظن شبيب أنه يخفيه نزل، فكمن في وسطه، والخيل قريب أولهم صاحب الحصان - غائب ابن معية -، والذي يليه طامي القريفة على جواد حمراء، فرماها شبيب بن حجنة فأصابها، أختفى طامي خشية أن يقتله شبيب لأنه يعرفه من الرماة، وكلما جاء صاحب فرس ووقف عند طامي لإركابه رماها شبيب فقتلها، فقتل أربعاً من الخيل في موضع

---

[1] - أسند: يعنون به كرّ على الأعد بعد إدبار.

واحد، حتى نجا صاحبه. والمناخ الثاني عتيبة تسميه مناخ الشعراء، ومطير تسميه مناخ الدوادمي، وحرب تسميه مناخ عرجا، كل حسب المكان الذي نوّخ فيه، وتريحيب لم يحضر المناخ الأول لأنه طفل صغير، وفي المناخ الثاني كان يركب الخيل ولكن أهله يعنون لصغر سنه، واشترك في المناخ الثالث وقتل في المناخ الرابع. أهـ[1] قال عبد المحسن أو متعب بن جبرين يرثي أخاه [2] تريحيباً:

يا هل الرمك زيدوا لهن في البريرة   نبي عليهن ندور تريحيبْ
لا بد من يوم منيس نذيره   عسامه أكبر من خشوم العراقيبْ
يا ليتني لو كان ما فيه خيرهْ   حضرتها يوم السبايا جناديبْ
حضرتها من فوق حمرا ظهيرة   وا لله لأعشي جايع النسر والذيب
ربعي مطير إن شب للحرب نيرة   أيمانهم تورد سهوم المعاطيب
لومي على اللي يحتمون الجريرة   ما ريعوا له ... المغاليب [3]

فأجابه أحد شعراء عتيبة، وهو عسكر المصعوك الغنامي:

ياراكباً مِن فوق دَمْث الحصيرة   ما رقعوا في خفها بالجوانيب
ملفاك ابن جبرين زبن الكسيرة   عيد الركاب مدورات المعازيب
له عادة يفهق شباة المغيرة   لا لاذ هوش معجلين التراكيب
قل كان في بالك هروج كثيرة   رد البرا ياتي مع أول مناديب

---

[1] - محمد بن بليهد: صحيح الأخبار ٢ / ١١٧ - ١١٨

[2] - يقال: أنه أخ لترحيب من الأم.

[3] - في البيت كلمة غير واضحة في الأصل.

كب المحامّى دون راعي الجريرة | حلّ المطارد دون زمل الخراعيب
عينتَ مطلق زبن راعي العثيرة | تــذكره قــدام تطري تريحيب
معك الخبر فينا ومعك السريرة | ومخطي ومالك من ورانا مطاليب
متمكن مــن عنـدنا ولك ديرة | بأيمن بدن والحمر وأمّ المغاريب
لولا العوان اللي عليكم مديرة | مادون ناصلكم على الفطر الشيب
ليا بكّر الوسمي و هلهـل غثيـره | وهلت مقاديمه على أم المشاعيب
أباتــنا يــودع رفيقــه جحيرة | واللي تولي به ظعونه هوانيب
ما يتمنانا إلا عــدم البصيــرة | اللــي يدليــه القدر للتسابيب
ربعـي عتيبة يخلفون البصيرة | صفقاتهم ترعب قلوب الأجانيب
كم شيخ قوم قد هدمنا حجيرة | عليه بيـض يشلحن الأساليب
عليك مني يا ابن جبرين جيرة | نبدي لكـم في عاليات المراقيب
الخيــل بالظفران مثل السعيرة | ومَردّف العيرات شيب المحاقيب
إن لاح برّاق الحيا صوب ديرة | زرنــاه بالعُفر أمهـات الدباديب
وإن ناشنا الحارب يشوش نظيرة | نجهر عيونه بالرماح المغاليب
بطرافــنا يشـدن شهار العميرة | لا خـوشـرن بأطرافنا بالأداعيب
وإن جرنا قشعان راعي لجريرة | الشيخ مرذي شايبات المحاقيب
ياما انقطـع في ساقته من فطيرة | ومن بكرة غب السرى تضرس النيب
ياشرنا لأهل القلوب الشريرة | ويا طيبنا للي يبي الطيب الطـيب
ويا ويل من هو في نحانا نحيرة | إليا ركبنا فوق شهب شـلاهيب

لابد من نمرا عليكم مغيرة   من والفه يركب نفلها على الذيب

***

كان من المعروف عند البادية إذا اجتمعوا على موارد المياه أن يتدوالوا أحاديث السمر ليلاً، وغالباً ما يكون الحديث حول جمال فتيات الحي، حتى تشتهر إحداهن بالجمال، ويعرف الناس أنها فتاة هذا الموسم. فاشتهرت إحدى فتيات عنزة بالجمال، وكثر حديث الناس عنها، فرغب مشعان بن هذال في الزواج منها، فخطبها، فوافقوا على طلبه، فبشر أباه بخبر الموافقة لكن الأب الذي لايهمه الجمال بقدر مايهمه عراقة النسب لم يكترث بهذا الخبر، بل قال متهكماً بابنه: ((تبشرني ببنت راعي من رعيان عنزة كأنك جاين بأخت حسين بن عليّق!)).

فقال الابن مشعان: ومَن حسين بن عليّق هذا؟

فقال الأب: حسين بن عليّق الدويش فارس مطير، وعمه فيصل بن وطبان شيخ مطير.فعزم مشعان على أن يسعى للزواج من بنت الدويش على مابين القبيلتين من حروب، فذهب إلى الدوشان على أنه فداوي من قبيلة عنزة، ومن عادات القبائل الحسنة أنهم لايسألون الفداوي عن قصته، فربما يكون مرتكباً جناية، ومستجيراً بهم، والفدواي يعمل مع رجال القبيلة في الأعمال الشريفة تحت رأي معزبه، وغالباً مايكون أمير القبيلة، فمكث مشعان عند الدوشان فترة دون أن يعلموا أنه ابن هذال. ثم إن الدويش طلب من رجال القبيلة الشجعان أن يصحب بعضهم الحشاشين ليحضروا العلف للخيل من أرض مخافة، ليحموهم إن حصل عليهم اعتداء، فقال مشعان أنا أكفيكم، ولما رجع في آخر ليل، وهو متعب، وعطشان جاء إلى رجل من البراعصة صديق له، وراعي قهوة، ومجالس، يقال له ابن مهارش من البراعصة من الموهة، فرحب به، وقهواه القهوة، والناس نيام، فلما شرب

ابن هذال من القهوة وارتاح باله، قال قصيدته المشهورة، التي كشفت شخصيته لمعازيبه، نعرفوه، فأخذ الربابة، وعزفها فقال:

المسعد اللي ما سرى الليل حشاش	عقب الطرب يطا على كل منقود
خلّى هدوم القز والجوخ وفراش	ومجالس فيها من الزل ممدود
ثم سوى فنجال ترى الراس منداش	لعيون من قرنه على المتن ممدود
يا ابن مهارش كب حمسات الأدقاش	تأتيك حمستها اللي أجانبها سود
دقه بنجر يسمعه كل هشاش	أيضاً إليا حرك على الهون به زود
الهيل حطه لاتدناناه لو جاش	ومن الزعفران اقنا على شذرة العود
نبيه رسم للنشامَى على اللاش	اللاش لافاقد ولا هو بمفقود
ولذايذ الدنيا معاميل وفراش	وصينية يقبل بها العبد مسعود
أبا أتمنى قدّام سرحات الأدباش	صفر ومغاتير ويبرى لهن سود
مرباعها الصمان تبعد عن الطاش	ومقيضها دخنة إليا صرّم العود
ويا محلا عند الضحا طق شوباش	وقامت تنازَى بالمناعير جلعود
وأنا على مثل النداوي إليا حاش	أنزع كما ينزع من الكي بارود
ومن لايروي شذرت السيف لاعاش	أصبح عليه مورد الجيب مقدود

فلما أصبح ابن مهارش جاء إلى الدويش، وقال له: مسعود من هو عبده؟ فقال الدويش: مسعود عبد ابن هذال. فقال ابن مهارش: إذن الرجل اللي عندك ولد ابن هذال، فاسأله عن حاجته. فسألوه فأخبرهم عن نفسه، وسبب مجيئه إليهم، فزوجوه منيرة بنت عليّق الدويش أخت حسين بن عليّق، وعمها فيصل بن وطبان. فرحل بها إلى قومه،

وانجبت له ابنته جوزاء، وحصل أن أغارت مطير على عنزة، فانهزمت مطير، وأرادت عنزة أخذ ركاب الغزاة، فكان ابن هذال في أول قومه، فلما انتهت المعركة جاء رجال مطير إلى الدويش غضاباً، فكل منهم قد أصيب بخسارة في هذه المعركة من قتل قريب أو جرح، أو ذبح فرسه، وقالوا: ((هذا فعل نسيبك في قومك))، فقال الدويش: لو لم يدافع عن قومه ما أمّرته عنزة عليها. ومكثت عنده فترة حتى سمعت منه كلاماً أغضبها[1]، فعزمت على تركه، والذهاب إلى قومها متخفية، فدبرت حيلة مع رجل من مطير كان مجاوراً في عنزة، فتركت ابنتها جوزاء، وانطلقت مع هذا الرجل حتى أوصلها إلى قومها، وقالت لخويها، وهما في الطريق: ((إذا طلقني ابن هذال أخذت أول مطيري يخطبني، فخطبها زيد ابن حشر بن حسين بن وطبان الدويش فتزوجها، فرُزق منها رجل من خيرة رجال قومه هو مطلق بن الجبعا.

ووأخبرني ناصر بن عبيد أبوحواس أن وطبان بن محمد بن وطبان بن عمر الدويش عقب أربعة أبناء هم: (عليّق، وفيصل، وحسين، وضويحي). ووطبان هو الذي يقول فيه محسن الهزاني:

ياغوش عوجوا رقابهن بالغلاليق	مقدار يأخذ راعي الكيف غليون
إليا تتهويتوا وفكيتوا الريق	لابس ركباً لا بغيتوا تمدون

[1] - يقال: أن من عادات الهذال شيوخ عنزة في الضيافة أن يضعوا عكة السمن في الصحن ويضعوا الرز فوقها، ثم يضربونها بالرمح أو الشلفا حتى تنشق، ويتدفق السمن منها، يفعلون هذا مبالغة في الكرم، والتباهي به، وفي ذات مرة قدم الصحن إلى الضيوف في بيت مشعان، فضرب بالرمح في وسطه فلم يجد العكة، فسأل زوجته بنت الدويش، فقالت: نسيت، فغضب، وأسمعها ماتكره .

اخذ الكتـاب وصله لأبو عليّق زيزوم علوى وين ماكان ينحون

علوى مرويّت الغلب بالمضاييق لاساقوا المسيوق ما عنه ينحون

لو يلحقهم راعي الدين بلحيق ردوا عليه وزادوا الدين بديون

وعليّق وضيحي ابنا وطبان قد انقطع عقبهما، فعليّـق لم يعقـب إلا حسـيناً، ومنـيرة الجبعا أمّ الجباعات، وكان حسين بن عليّق عقيماً فلم يعقب أحداً. وفيصل بن وطبان عقـب أربعة: (محمداً، والحميدي، وعبد ا لله [جد العماميش]، وعبد العزيز[جد آل الشريان]).

ومحمد بن فيصل هو أبو المحمد وهم: (الشقير، والصقهـان، والوطبـان). والحميـدي بن فيصل بن وطبان عقب: (ماجداً، وسلطاناً، ومحمـداً). ويقـال لهـم المـاجد، والسـلطان، والبدر عيال محمد.

وسلطان بن الحميدي هو الذي تزوج زوجة راكان بن فلاح بن حثلـين في أثنـاء غيابـه عندما أسره الأتراك، وهي الشقحاء بنت حزام بن مانع من الحثلين، وقـد أنجبـت لسـلطان الدويش ابنه فيصلاً قائد الإخوان المشهور. أما فيصل بن سـلطان بـن الحميـدي، فقـد عقـب ثلاثة هم: (عبد العزيز، وبندراً، والحمدي).

وفيصل بن بندر بن فيصل هو كبير الدوشان الآن، ومقره الدائـم في الرفيعـة. وهنـاك فروع أخرى للدوشان تتفرع قبل وطبان.

ومن الأيام المشهورة في القرن الثالث عشر يوم واردات ووضاخ بين مطير و((بين حرب ورئيسهم ناهس الذويبي وبني عبد ا لله من مطير ورئيسـهم جهـز بـن [صنيتـان] بـن شـرار،

انهزمت فيه حرب، وعزوة قبيلة الذوبة ((إخوان نورة)) قال جهز بن شرار أبياتاً نبطية[1] [في هذه المناسبة] منها:

[قصيرنا اللي نسهجه بالغزية حيـــاة ربي مانواناه بالشيـن

يقصنا كانه رواعي مطية يبــا ركايبنــا وحنــا معيين

عيت علينا العزوة العبدليـة عبادل سور الحرايـب ومضحين

الخيل نركبها الحزوم الحفية راحت بشيخان القبايل مطيعين]

إخوان نورة شافوا المكرهيه ركبوا على قب سـواة الشياهين

مانمهم وا لله رقيـبٌ عليـــه ومعيّـن ا لله والقبائـل معييـن

خلوك يا قاسم زبون الونيــه ياما شعَى قطعان بـدوٍ منيسين

وخلف ربيع الضيف والآهليه ياريف أهل هجنٍ عن الزاد مبطين

خلوة يوم الملح ينقاد فيـــه وأرخو جلامدها مع الدو مقفين

ماوالموا للعـــزوة العبدليــه هابلهم اليوم اللـي مـن ورا تيـن

وش علم ناهس ما التفت في خويه هو يحسب اللقوات شـل البعارين

جتهم اقصصها كلهابالسوية والخيل مجنونـة وأهلها مـجانين

هذا كلام رئيس من بني عبد ا لله جهز بن شرار، ورئيس حرب في ذلك اليوم ناهس الذويبي، وهو رئيس عام لبني عمرو بطن من حرب، أمّـا قاسـم [المذكـور في الشعـر السابق]

---

[1] ـ لا أرى صواب تسمية الشعر العامي نبطياً، ولا أفهم معنى هذه التسمية.

فهذا قاسم بن براك رئيس هتيم))[1]. قال الفاخري في أحداث سنة ١٢٦٨هـ((وقعت القطيعة بين علوى وبريه، ووقع بينهم قتال شديد))[2].

ولا أظن أنها قطيعة حقيقية كما يُفهم من عبارة الفاخري، ولكنه الخلافات عـادة ما تقع بين فروع القبيلة كغيرها من القبائل الكبيرة، ولا يلبـث هـذا الخـلاف أن يـزول. وهـذه الخلافات تعد من الأمـور الطبيعيـة في مجتمـع كـانت تسـوده الفوضـى، ويفتقـر إلى الأمـن، والوحدة السياسية. و((نورد هنا قصيدة أحدهم، وهو ضيدان العارضي التي يثـني فيهـا علـى آل بصيص المشهورين بالشجاعة، والزعامة، والكرم، وذلك أنهم كانوا يسـكنون أعـالي نجـد وعندما احتاج لهم رفاقهم بريه... أعـانوا أقـرب مـن لهـم بريـه، وسـكنوا معهـم في ديـارهم السفلى، ولمّا اصطلحوا عاد البصايصة إلى مكانهم السابق، وهاهو ضيدان[3] يتذكرهم:

هات الدلال وهات ما الثميله	نبي نسوي تالـي الليل فنجـال
عد سمج لو كثر رعيه وكيلـه	لا عــاد ما قطّان ماه ابن هـذال
يا عد وين اللي خطاهم طويله	أدنَى منازلهـم ورا ساق بشمال
قبيلة يـا ويهـامـن قبيلـه	رجالهم يفرق على كل رجـال
وأفعالهم تُعرف نهارالدبيلـه	خيالهـم يسوَى ثمانيـن خيـال
لا غاب شيال الحمول الثقيله	ما عقبهم يا كود من عمس البال
رمح بلا حربه سليم قتيلـه	يا بريه ما يصبر على الغبن رجال)).

---

[1] - محمد بن بليهد: صحيح الأخبار ٢ / ١٠٦

[2] - د / عبد ا لله بن يوسف الشبل: تحقيق تـاريخ الفـاخري (الأخبـار النجديـة) أحـداث سـنة ١٢٦٨هـ

[3] - أبو عبد الرحمن بن عقيل: تارخ نجد في عصور العامية ٣ / ١٨٢ ــ ١٨٣

وقال ابن بليهد عند ذكره لماء المصلوب الذي كان يسمى في الجاهلية ماء المسلوق: ((وقد وقع في الربع الأول من القرن الرابع عشر يومٌ من أيام العرب المتأخرين بين علوى وبني عبد الله [من بريه] أمّا علوى رؤساؤهم في هذا اليوم بدر بن محمد الدويش، ووطبان الدويش، وكانوا قد رجعوا من غزوتهم مفلسين من عتيبة، وكان بنو بدير قاطنين على ماء المصلوب، ورئيسهم محمد بن حوكة، وأخوه سالم بن حوكة، فعزم الغزاة المفلسون على أخذ غنم ذوي بدير، وكلهم من قبيلة واحدة، ولاتحل في تقاليد البدو أن يغيروا عليهم... لأنهم يد واحدة، ولكنهم أرادوا مخالفة هذه التقاليد، فأغاروا عليهم، وأخذوا الأغنام، وثار عليهم بنو عبد الله... فلحقوهم، فكانت المعركة عظيمة، واسترجعوا أغنامهم، فصمموا على أخذ ركائبهم، ولم يكن معهم من الخيل [في الجانبين] إلا فرسان: فرس تحت بدر الدويش، والثانية تحت مشاري بن بصيص رئيس الصعران بطن من مطير، فلمّا رأى الدوشان، ومن معهم أنهم قد أدركوا دخلوا على مشاري بن بصيص، وسألوه أن يمنعهم من ذوي بدير... فرجع مشاري بن بصيص، واجتمع برؤساء القوم محمد بن حوكة، وأخيه سالم فطال الجدال بينهم، فانتهى الأمر بقبول الوساطة))(١).

من أمراء بريه عبد الله القريفة، وهو شاعر، حلو الأسلوب رقيق الألفاظ واضح المعاني، وكثيراً ما كان شعره يُغَنّى، ويتناقله المغنون والنشاد ومن شعره القصائد التالية، وقد نشرها أبو عبد الرحمن بن عقيل في كتابه تأريخ نجد في عصور العامية، قال عبد الله القريفة:

يا جماعة كيف ما فيكم حميًا   كيف صياح الضحى ما تسمعونه
المراجل ما تهيا هاالسويا   كود من عظ النواجذ في سنونه

١ـ محمد بن بليهد: صحيح الأخبار: ٢ / ٩٥

لا بغيت الشح درب الجود عيا حالف ما أرضَى لنفسي بالمهونه

من لحومي الدانية شفت الجفيا من بغَى درب الشكالة يبهتونه

ما علينا من مساريد القفيــا كان بـاب الرزق معهم يقطعونـه

وقال القريفة أيضاً :

النفس ما يلحق ابن آدم هواها كل يموت وخاطره يطلب الزود

من لاغطس بالحيل ما خض ماها عزّا لله إنه عن هوىالنفس مردود

دنيــا تبذ ا لله يبيِّــح خفـاها أظني أصبر مثل ما يصبر سعود

والمرجلة لو كل غـمـرٍ بغاها ما تلحق يا مسندي كود بالكود

وهذه قصيدة له ، يقال في مناسبتها ، أن القريفة رأى فتـاة مـن قومـه تـتزين، وهـم في غزوة، فقال :

هني نورة ما شقت بالمعابـيـر ولارافقت هجناً حفاهـا مشَــى دم

ولا وايقت قدامها بالشناطيـر ولا همها صمـع مضاريبهـا زم

هني لمـــات البنـي الغنــادير غير الهوى والعرس ما همهن هم

وأنا همومي من مناحي المناعير ما أرضَى بزود منه لو هو ولد عم

واصل عمري صلة الدلو بالبـير لا ورد الهيّـــاب و الجمع ملتـم

و ا لله لأسوق الهجن لوهن مقاصير من يدي المجهود ما يلحقــه ذم

يازين كسب المال وقـت المخاضيـر نومي على الأطراف ونخمهن خم

يا زين تهاوي خلفها والمعاشيـر يوم الردي مفلس ولا هوب يغنم

وهذه قصيدة أخرى له فيها معاناة، وشكوى من الأقارب قال القريفة :

يقول عبد ا لله على قد طاريه ... مبد على ربه ولا هوب كانــي

يا عين كفي الدمع ياعين كفيه ... يا عين لا تبكين من لا بكاني

قلب الخطا بالبعد وا لله لعزيه ... لو كان بعدي للرفاقـة كـواني

يا العين كبي الولف ياالعين كبيه ... يا العين لا تبكين مـن لا بكانـي

من حبني يا العين وا لله لأغليه ... لوهو من الأقصين فأبعد مكاني

ومن صدّ عني حالف ما أنتظرفيه ... لو هو ولد عمي وأنا منه دانـي

والدار مثل الدار للي نـزل فيه ... والناس بالشيمات مثـل الإخوان

ولا بد من حال يبا ا لله يسويــه ... ورجاي با لله كـان ربي هداني

وفجحان الفراوي من مشايخ المريخات، من بريه من مطير، وهو شاعر مجيد، وأكثر شعره في مدح الأمراء، ومن شعره هذه القصيدة، قيل في منـا سـبتها أنـه قصد عبد الكريم الجرباء في العراق، بعد تردده على أبي بندر طلال بن عبد ا لله بن رشيد، والإمـام عبد ا لله بن فيصل، وقد نشرها أبو عبد الرحمن بن عقيل:

أخذت لي من بين الاثنين سجة ... ما بين أبو بندر وولد الإمامِ [1]

من عقبهم ناخذ على الهجن هجه ... لديارسمحين الوجيـه الكـرامِ

لمشاهد الجربان فرض وحجـه ... من بد بنّاي الشّعر و الخيـامِ

---

[1] - أبو بندر: طلال بن رشيد حاكم إمارة حائل (١٢٦٥ ــ ١٢٨٣)هـ (١٨٤٨ ــ ١٨٦٦) م، وقد أصيب في عقله، فانتحر، انظر أمـين الريحـاني: تـاريخ نجـد الحديـث ص ٢٩٦ ، ولد الإمام هو: عبد ا لله بن فيصل آل سعود مـن حكـام الدولـة السـعودية الثانيـة حكـم مـا بـين (١٢٨ - ١٢٨٨)هـ

أمّا الكرم مافيه صجة و لجـه ... مـا أحد مناحيهم جنوب وشامِ

منصاي هو ملفـاي يوم أتوجـه ... عبد الكريم الليث غاية مرامـي

كم واحد جا من بعيـد يسجـه ... يبي يشوفك يا بعيـد العـلامِ

وكم مرة خلي على ا لضد عجه ... بنمرا يجره مثل وسط الكتامِ

تلقى بقلب اللي يعاديــه رجـه ... من خوفته يحرم عليه المـنام

وشلف توسع بالأباهر مفجـه ... وحدب الظهوراللي تقص العظام

على مهار يرعب القلب عجـه ... فرسان يكدون العدو بالزحام

آخر كلامي لبــو خــوذه موجـه ... شط الفرات إليا حدتك المظامي(١)

يا ا لله يا والي المقاديــرر نجـه ... حيثه كريم ومن موارث كـرام

وفي رايي أن البيت الذي قبل الأخـير أجمـل بيـت قيـل في المـدح في الشـعر العـامي، خصوصاً، وأن الشاعر أمير!

ومما رواه أبو عبد الرحمن(٢) عن منديل الفهيد: أن مطيراً هُزِمتْ في إحدَى المعـارك، وذُبحتْ فرس غنام بن بطاح من العبيات، فسار أخوه غنيم ينخَى بعض جماعتـه، ويهيـب بهم لإنقاذه إلا أن كل فارس مشغول بنفسه، والعدو يقتل كل مـن أمسك بـه، فخفَّ غنيم لإنقاذ أخيه، وجالد عنه مع أنه سمع العدو يعرض المنع، وهو أن يستسلم المحـارب بشـرط النصف أو البندقية أو الذلول، أو الرقبة، ويستسلم المحارب إذا صوَّت رجل باسمه، وقال:

---

[1] ـ أبو خوذه: لقب عبد الكريم الجربا ، ولقب به لأنه كل ما طلبه أحد شيئاً قال له: خوذه .

[2] ـ أبو عبد الرحمن بن عقيل: تأريخ نجد في عصور العامية ٣/ ٦٠ ــ ٦١

فلان بوجهي على ذلك الشرط، ولما أنقذ غنيم أخاه غنّاماً قال هذه القصيدة يخاطب طامي القريفة:

يا راكب اللي ما أتلفوه المداوير راعيه ما يُلحق شليل العباة

ملفاك أخو طفلة زبون المقاصي على طريق تشبع الحايمات

ليته حضر يوم جرَى به مخاسير جاكم خبرنا والعلوم الثبات

نخيت ناهس والربوع المناعي تصرمن ركابهم مقفيات

ربع بأثرهم يشبع الذيب والطير لا واحسايف عشقهم للبنات

رديتها ما عاد هي بالتفاكير إلى غدا غنام تقمح حياتي

نادى منادي المنع قلت ياخير يقول ركابك بالنصف سالمات

طقيت سابق ناصر كنه الطير طاحت ولراعيها سوات الوقاة

أخوي كافيني ليال المعاسير ماكني إلا وحدة من خواتي

لا مات همُّوا بي طوال المناقير يلقون فيِّه مثل فتق العباة

أخوي أنا ويّاه بالشر والخير أما الحياة اليوم وإلا الممات

من شاعرات هذه القبيلة الشاعرة المشهورة مويضي البرازية، ومن جيد شِعرها هذه القصيدة التي تمدح بها شيخ البرزان حسيناً (أبوشويربات) حيث تقول:

يا راكب ملحاً تبوج أشهب اللال أيضاً ولافوقه رديف شحنها

ما فوقها إلا الخرج ودويرع مال وقُريبة تو المسوي عدنها

اقطع لها من عادل السدر بعدال واستدن له النايفة من شغنها

أول نهارك في تزوبع بزرفال وآخر نهاره طاير الربخ عنها

ملفاك بيت نايف كنــه الجــال بيت الأرامل والعجايز كهنها

تلقاه ساعة تلفي العصر بالحــال وإليا لفيت فحط عنها رسنها

تبشر على قبل التناشيد فنجــال وحائل ثلاث سنين يندى صحنها

قل كيف رجلك يا حمى كل مشوال إليا طار عن جرد السبايا يقنها

خيالكم يوم أشهب الملح ينجـال هذي يصوّبهــا وهذي طعنها

وإن جا نهار مثل يوم ابن هــذال تشهر شياهينه وتجلد عدنها

يا ريف بيض تشتكي رقة الحــال حبالهـن لبطــونهن حزّمنهــا

ليا قام نجم سهيل يشعل بالاشعال يوم الرحى ماعاد تسمع طحنها

لعل شرك ينقسم بيـن الأنـــذال وأقول يا رب الملا عَفّ عنهــا

من الفضائل المعروفة عند عامة البادية الاعتراف للغير بفضلهم، حتى وإن كان خصماً يخوض المعارك ضدهم، وهذا من الأدلة على أن حروبهم هوايــة يمارسـونها كعـادة مفضلـة، ليس وراءها دوافع للكره والبغض، فإن الكاره المبغض لايكاد يـرى في خصمـه خـيراً، فهـذه الشاعرة مويضي نفسها تعجب بشجاعة فارس من عتيبة هو مخلف الدغيلبي الذي هزم قوماً غزاة من مطير وحده، فتمدحه حيث تقول:

واديرتي اللي عنها(مخلف) حداني حَدي الظوامي عن بيارٍ بها جم

واحد وخـلا الـدم بالقـاع قانـي وابوي لو هو لاحقٍ له ولد عـم

إذا انتخى من فوق بنت الحصاني الخيل من خوفه تفـرق و تلتـم

خلاً شيوخ (مطير) مثل السّماني أهل السيوف اللي لعافيظها دم[1]

---

[1] - عبد الله بن رداس: شاعرات من البادية ص ١٧٥

قحطـان

قبيلة قحطان إحدى القبائل النجدية الكبيرة، ولها فروع كثيرة في الجنوب، وشرق سراة الحجاز وجنوبيها، وفي الأودية المنحدرة منها نحو نجد((يحدها شمالاً شهران وعسير، وجنوباً صُحار ونجران، وغرباً وادي بَيْش، وشرقاً الربع الخالي،))(١). وهذه القبيلة فرع من قحطان القبيلة القديمة التي تعد الأصل الثاني من أصول العرب مقابل عدنـان. وقد زحفت بعض فـروع هـذه القبيلـة إلى نجـد في أواخـر القـرن العاشـر، وأوائـل القـرن الحـادي عشر الهجريين تقريباً، ويبدو أنها لم تلقَ مقاومة كبيرة من القبائل النجدية، فاستوطنت أواسط نجد وجنوبيه، بعد عدة وقائع، ومناخات مع الدواسر في جنوبي نجد، و في وسط نجد مع بني لام [آل مغيرة، وأل كثير، والفضول]، لكنها بلغت ذروة مجدها في نجد في أوائل القرن الثالث عشر الهجري في عهد زعيميها هادي بن قرملة، وابنه محمد. قال أبـو عبـد الرحمن بن عقيل: ((كانت مساكن الجحادر قبل أن تفد إلى نجد سـروات الحجـاز وأغـوار تهامة، وهذه السكنى ترجح أنهم من عناصر حلف جنب من مذحج. قال ابن هادي:

لي لابة حولتهم مـن تهامة   سلاحهم مخ الفرنجي والأروام

وقال راكان بن حثلين:

نرجي مهاشـيلك تعدى تهامة   لاساقك ا لله والقدم ناحراً يـام

وقال شافي بن شبعان شيخ بني هاجر يدل على ابن هادي بالقرابة:

صبيان قحطـان غشاهم ملامة   ولها على صبيان جنب تلملام

---

(١) حمد الجاسر: معجم قبائل المملكة العربية السعودية

دخل فيهم قبائل أخرى بالأحلاف، ويصدق هذا لو صح أن بني هاجر من الأزد... وقد ذكرت ما أفادني به شيخي حمد الجاسر عن تحفة المشتاق، عن مناخ تبراك سنة ١٠٧٤هـ بين الفضول وقحطان، وقتل في هذا المناخ درباس بن نفجان من شيوخ آل الجمل، ومنصور بن محمد، ومصلط بن محمد شيخ السحمة))(١).

وقال ابن بليهد: ((وفي أوائل القرن الثالث عشر [الهجري] ظهرهادي بن قرملة رئيس قبائل قحطان، وامتد نفوذه في نجد، واتفق مع الدويش [شيخ مطير] في رعي الكلأ وشرب الماء، وله ذكر حسن مع الولاية [يعني حكام الدولة السعودية] في تاريخ بن بشر، فلمّا مضى قليلٌ من القرن الثالث عشر ظهر ابنه محمد بن هادي، وأخرج مطيراً جميعهم من نجد (٢)، فلم ينازعه في نجد أعرابي، وعند ذلك قالتْ شاعرة من مطير:

نجداً حميناها مِن أولاد وايلْ   واليوم عدونا سَكَنْ وادي الراك

أمَا احتميناها بحدِّ السَّلايـلْ   وإلا عطينا الشاة ذولا و ذولاكْ

أمّا قول البرازية(٣)((سَكن وادي الراك)) فهي تعني قحطان، لأن الراك لايوجد إلا في بلادهم، وأمّا ذكر الشاة، فهذه عادة عند العرب، كانوا إذا ضعُفتْ القبيلة، وهي في بلاد غير بلاد قومها، وعندهم قومٌ أقوياء، ذبحوا لهم شاة، ودعوهم عليها، وحالفوهم عند ذلك، فتكون تلك القبيلة منهم، وبقي محمد من هادي بن قرملة، وقبيلته قحطان في نجد لاينازعهم فيها أحد، وكان مَن أراد الرعي من مطير، أو مِن عنزة أو مِن حرب، أو مِن عُتيبة المقيمين في الحجاز يأتي إلى هذا الشيخ فيأخذ منه الأمان، ثم يرعى حيثُ شاء. وقال

---

[١] ـ أبو عبد الرحمن بن عقيل: تاريخ نجد في عصور العامية ٤/ ٨١ ـ ٨٢

[٢] ـ لم تخرج مطير من نجد لكن يبدو أنه أزاحهم عن وسط نجد إلى شماليه.

[٣] ـ قال لي ناصر أبو حواس: أن الأبيات لوضحاء الجدعية.

ابن بليهد: ((حدثني عثمان الهاجري، وهو إمامٌ يصلي بمحمد بن هادي، وجماعته ـ قال: كنّا مقيمين في فيضة وادي أوراط في العتك أيام الربيع، فجاء في يوم واحد خمسٌ من الخيل هَدَايا كلُّ فرسٍ واحدة معها وفدٌ على حدته. يطلبون الجوار والامتداد في نجد، وقال: وكنا يوماً عند ((المضباعة)) أيام الربيع فجاء تركي بن حميد من رؤساء قبيلة عُتَيبة، وأناخ عند محمد بن هادي بن قرملة، يطلب الجوار، فسأله عن أهله، فقال: تركتهم على ماءة بُزَيم الماء المعروف في أسفل جبل حَضِن، وحدّثني فراج بن طويق الحافي، قال: ركبنا مع مصلط بن ربيعان، وأهلنا على ماء الشماس الواقع في حوى كشب، وأتينا ابن هادي ومعنا جيش وخيل هدايا، أتيناه على ماء الشعراء نطلب منه الجوار، فقال لنا: أنتم في وجهي ارعوا حيث شئتم إلا جبل النير مَن دخله فهو خارج من الأمان الذي طلبه، وظني أن هذا الأعرابي يخشى أن يدخلوا هذا الجبل فلا يخرجوا منه. انظر تقلب الدهر بأهله، فإنّه ما كادَ ينقضي نصف القرن الثالث عشر حتى غاض معين مجده، وتقلصَ ظله وأفل نجمه ذلك لأنه لم يعبأ بنقض العهد وخفر الذّمة فاختلف مع قبيلة عتيبة، وكانوا إذ ذاك يخرجون من تهامة والحجاز كأرجال الجراد، ومن استوطن نجداً لم يرجع، وكان رئيس برقا تركي بن حميد، ورئيس الروقة مصلط بن ربيعان، وكان سبب هزيمة ابن هادي وردّه إلى حدوده التي خرج منها في جهة الجنوب في بيتٍ واحدٍ من قصيدة... لتركي بن حميد...:

أديت أنا أربع قحص خامسهن التوم وقعود زبن اللي بغَى ما حصل له

وقد دارت بينهم معارك عظيمة، وكانت الانتصارات فيها لعتيبة، ورئيسهم في تلك المعارك تركي بن حميد، وكان الذي هدم هذا العز الشامخ الذي لم يُرَ مثله في جميع الأعراب هو تركي بن حميد هدمه مِن أسه، فلم يبقَ له ذكر))[1]. يقول الرواة: إن سبب

[1] ـ محمد بن بليهد: صحيح الأخبار ٢ / ١٣٠ ـ ١٣١

الحرب بين عتيبة، وقحطان امتناع ابن هادي عن الوفاء بما اتفق عليه الطرفان من عدم الاعتداء بينهما، وعلى كل أمير قبيلة أن يرد ما تأخذه قبيلته من قبيلة الآخر، فحصل أن تقابل مجموعتان تقومان بالاستطلاع ((سبور)) إحداهما من عتيبة، والأخرى من قحطان، فأخذت سرية عتيبة خيل القحطانيين، واختفوا بين جماعتهم من عتيبة دون علم تركي بن حميد، فجاء إليه القحطانيون، وأخبروه، وطلبوا من أن يرد خيلهم، فكلف من كل قبيلة من عتيبة رجل للبحث عن الخيل، وإحضارها، فجاء الرجال بالخيل، فسلّمها لأصحابها، وأكرمهم، ثم عادوا إلى قومهم، ثم أن رجلا من عتيبة اسمه زبن كان مسافراً على بعير له، واجتاز ديار قحطان، فأخذوا بعيره أثناء مروره بهم، وجاء هذا العتيبي إلى بن هادي، وأخبره، وطلب إعادة البعير، فقال ابن هادي: هل تعرف مَن أخذ بعيرك؟ فقال العتيبي: لا، فقال ابن هادي: يا عتيبي! حاشي أخذه الرعيان، تخلّف الله فيه، وامتنع عن رده، وهذا معنى بيت تركي السابق، الذي ذكر فيه الخيل، والقعود. وقد قيل كثير من القاصائد في المعارك التي نشبت بين عتيبة، وقحطان، وأشهرها ماكان بين تركي بن حميد شيخ عتيبة، ومحمد بن هادي شيخ قحطان، وبين شالح بن هدلان، وضيف الله بن تركي بن حميد، وقد امتازت أشعارهم في هذا الجانب بانصاف الخصم، و سمو المعاني، والبعد عن السفاسف، مماجعلها رائجة، ومتداولة بين الناس، ويبرز فيها الفخر بمكارم الأخلاق، وأهمها الشجاعة، والكرم، وهي مع ذلك رسائل حرب فيها التهديد، وإظهار القوة، وسنرى ذلك عندما نورد شعر محمد بن هادي بن قرملة، وشعر تركي بن حميد في ترجمتهما إن شاء الله. ومن الفرسان المشهورين الذين قتلوا في هذه المعارك من قحطان الفديع وذيب بن شالح بن هدلان، ومحمد بن حشيفان، ومن عتيبة عبيد بن حميد، وشليويح العطاوي، وشبيب بن دواس المقاطي.

أما الفديع، فقد قتلته عتيبة عند (قارة خفا)[1] شمالي النير، فقال شالح بن هدلان يرثي أخاه الفديع:

وأخوي يا اللي يمّ قارة خفا فاتْ — من عاد عقبه بي يستر خَمَالي

تبكيه هِجنٍ تالي الليل عجلاتْ — ترقب وعدها يوم غاب الهلال

وقال ضيف الله بن تركي بن حميد يرثي أخاه عبيداً، الذي قتلته قحطان:

ياونتي ونـــة كسير الجبارة — إليا قعد محتـار وإليـا وقف ون

عليـك يا شباب ضو المنارة — عليك ترفات الصـبايا ينوحن

من مات عقب عبيد قلنا ودارة — لا باكي عقـبه ولا قايل مـن

تبكيك وضحى ربعت بالزبارة — إليا قزن من خايع ما يردن

الخيل عقب عبيد ما بـه نمارة — حتيش لوراحن وحتيش لـوجن

يا شيـخ ما تامر عليهم بغارة — كود الجروح اللي على القلب يبرن

يقطع صبي ما ينادي بثـاره — إليا أقبلن ذولي وذوليك قفن

يا أهل الرمك كل يعسف مهاره — والمنع ما نطريه لاهم ولاحن

فأجابه شالح بن هدلان بهذه القصيدة:

ضيف الله اشرب ما شربنا مـراره — اصبر وكنك شالح يـوم حزن

راح الفديع اللي علينا خسـارة — وأخذنا قضاه عبيدحامي ثقلهن

يمنى رمت به ما تجيها الجبارة — اللي رمت بعبيد في معتلجهن

من نسل أبوي وضاري للشطارة — يصيب رمحه يوم الأرماح يخطن

---

[1] - عبد الله بن خميس: المجاز بين اليمامة والحجاز ١٢٦

وعبيـــد خلي طايح بالمعـار عليه عكفان المخالب يحومن

عاداتنــا بالصيـد ناخذ خياره ثلاثة الجذعان غصبٍ بلا من

يا قاطع الحسنى ترى العلم شاره لا بـد دورات الليالي يدورن

حريبنـا كـنـه رقيدالخبارة خطر عليه إليا توقـظ من الجن

ما ني بقـصـابٍ بليـا نمارة أجدع نطيحي بالسهل وإن تلاقن

من حل دار الناس حلـوا دياره لا بــد ما تسكن دياره ويفبن

ومن شق ستر الناس شقوا ستاره ومن ضحك بالثرمان يضحك بلا سن

وإن كان ضيف ا لله يعسف مهاره امهارنا من عصـر نوحٍ يطيعن

تدنـا لصبيان سـواة النـمارة شـهب لماضين الفعايل يعنن

وقال حادٍ من قحطان:

ترعين يا وضح المريخي بين المعقل والخيـام

ترعين بعيـــالِ الجحـادر والصلح ما جا له كلام

وقال حبشان القحطاني :

أبنشد الطرقي عن الحيـان وأبا أتننشّد ويش سوّى ذيب

إن كان هو ميت فنا الوجعـان وإن كان هو طيِّب فنا أبا طيب

إن كان ذيب لحق ابن جرمان تقمـــح مشعثـــرة السبيـب

فقال عتيبي يرد عليه :

خله يذوق الموت يا حبشـان هــذا جـزاه بنطحتـه شبيب [1]

---

[1] - شبيب : هو شبيب ابن حجنة فارس أمير، من أمراء النفعة من عتيبة.

صابه بشلفا جات من نجران تفــرق حبيبــاً مــن حبيــب

وقال هذال بن فيهد الشيباني يخاطب جرمان القحطاني:

يحرم عليك الحزم والضيرين والهضب ما تشرب برايد ماه

وقال هذال أيضاً:

على قفارة نجد مني جيرة من زيد بن شفلوت والصعران

واد الرشا بنت تحب الغيرة ينثر عليها المسك والريحـان

قال ابن بليهد: ((وفي سنة ١٢٩٥ هـ في [شهر] رجب منهـا جـاء آل عـاصم بطن من قحطان رئيسهم حزام بن عبد الرحمن بن حشر، فدخلوا في أكثبة الشقيقة والغميس المجاورة لبلدة عنيزة، وهي حِمًى لأهل عنيزة، يرعون الإبل والأغنام، ويمنعون الكلأ لسوانيهم، التي تسقي الزرع... وأرسل إليهم أهل عنيزة أن اذهبـوا... فلـم يرفعـوا رأسـاً إلى تلك الرسل... فمشى [أهل عنيزة إليهم بقيادة] رئيس البلد زامل بن سليم... وكان في بلد عنيزة رجل يقال له ابن فتنان من قحطان المغزوّين، فقال لابنته: اذهبي إلى قومنا في جوف الليـل وأخبريهم الخبر أن أهل عنيزة واصلوهم قريباً، وكانت ابنتـه ذات جمـال، فلمّـا وصلـتْ إلى نـادي آل حشر رؤساء تلك القبيلة وقفت على النادي، ثم قالتْ: إنّ أبي أرسلني إليكم يقول: إنّ أهل عنـيزة خرجـوا يقصدونكـم، فخـذوا حذركـم فـإنّي لم آتكـم بنفسـي خوفـاً أن يغضب عليّ جيراني، وأرسلني لأخبركم، فضحكـوا، والتفـت بعضهـم إلى بعـض(...) فهـم في ضحكهم وتهكمهم بها إذ طلعت عليهم جيوش أهل عنيزة، فقتلوهم قتلة عظيمة أصابت من آل حشر الرؤساء أحد عشر قتيلاً، منهم: الرئيس حزام بن حشر أبو فيصـل بـن حشـر...الـذي هلك سنة ١٣٥٨هـ تقريباً، فـانهزم القحطـانيون، ودفنـوا قتلاهـم، وحملـوا أمـيرهم حزامـاً حين أثخنته الجراح، فلما وصلوا ماء نفي المشهور في عالية نجد مات في ذلـك الـوادي، فدفنوه

وقال شاعر من آل عاصم أبياتاً نبطية بعد دفنه، وارتحالهم من نفي، وهي قصيدة طويلة قالها ابن مسعر:

لوا جملنا اللي يشيل الروايا   إليا قربوا للشيل وثنات الجمال

لو أن الربع من دفوفه دمايا   مهوب من كثر العلايق بملاّل

في جال فيحان عليه البنايا   خلوه في خرب الجبا مظلم الجال

شلنا و خلينا زبون الحفايا   على نفي شرق عن القصر نزّال

فيحان: اسم لوادي نفي عند جميع الأعراب، وقوله((خرب الجبا مظلم الجال)) أراد به القبر))(١). وأهل القصيم معروفون بالنخوة، وحماية الجار، ومن أجمل ما قيل فيهم قول الشاعر:

الجار بالخبرا يقلّط على الراس   مادوروا بالجار بعض الدنافيس

هم بالقصيم وبالجنوب ابن دواس   وأهل الحريق وبالشمال السناعيس

وقال ابن بليهد: ((حدثني هذلي المقاطي قال: كان من جماعتنا العلابية رجل شاب يقال له شبيب بن دوّاس، وهو من أفرس أهل زمانه، وكنّا قاطنين على بلد الشعراء، فتواعد الرؤساء أن يغزوا على قحطان، وهم يشربون مياه الحمرة (طُحَي) وما حوله، لايبعد عن الشعراء أكثر من مسافة يومين للماشي المجد على الركاب، وقحطان في ذلك الحين أعداء لنا، وليس لهم جار يحميهم منا، وغزونا برأي رؤسائنا الحمدة، وهذّال بن فهيد الشيباني، وكان عدد الركاب خمسمائة ذلولاً وعدد الخيل ثلاثمائة فجدّينا في السير، والسرى، وصبحناهم، وهم غارُّون، فأخذنا إبلهم وجئنا بها إلى أهلنا نحدوها على الخيل،ونحدوا،

---

(١) ـ محمد بن بليهد: صحيح الأخبار ١/ ١٥٢ ـ ١٥٣

وهذي عادة لمن آب بالغنيمة، وبعد إيابنا أقمنـا عشـرة أيـام، ثـم مشـى الذيـن لم يغزوا الى الرؤساء، وقالوا لهم: اغـزوا بنـا ثانيـة إلى قحطـان لعلنـا نغنـم كمـا غنـم أصحابنا، فقال الرؤساء: اربحوا العافية ما كل يوم غنيمة، فذهبوا إلى الرئيس الكبير هذّال بن فهيد، وقالوا له: نريد أن تغزو بنا لعلنا نغنم كما غنم أبناء عمنا، وإخواننا، فقال: إني أخشَى عليكم من قحطان، ويمكن أنه قد بعث بعضهم لبعض وحشدوا في انتظاركم، فكـأنَّ هـذا الرئيس يرى بعينه، فألحوا عليه، وقال: لاباس أنا أغزو بكم، ولستُ مسئولاً عمّا يحدث، فضرب لهم موعداً أن اجتمعوا على (دلعة)، وهي منهـل مـاء يبعـد عـن الشـعراء مسافة يـوم لحاملات الأثقال، وهي في الجهة الجنوبية منها، وكان عند القاطنين علـى بلـد الشـعراء رجـل على راحلته من القحطانين المغزوين، فانطلق على راحلته في سواد الليل، وأخبر قبيلتـه، وقال: إنّ عتيبة أتوكم ثانية، فاتّعد القحطانيون جبيلات الزبيدي وأسـندوا ظهورهم إليهـا، وبعد ممشى الغزاة من أهلهم بيومـين نـأتي علـى خـبر شـبيب بـن دوّاس سـالف الذكـر، اجتمع الفرسان عند الرئيس هذال بن فهيد الشيباني، وأخذ رجّاله [خادمه] الدلة ليصـب القهوة، وكان شبيب بن دوّاس غلاما صغيرا، فلـم يعطـه صـاحب القهـوة إلا آخـر النـاس، فالتفت الغلام إلى هذال، وهذال لا يعرفه، فقال له: ياعم! مـا السـبب في صـاحب قهوتك يوزعها هنا، وهناك؟ قلْ له: يقص، ولايخص! فقال له هذال: (يستحق الفنجال الذي قد بـان له أفعال). فلمّا أصبحوا، ورأوا إبل الأعداء أمرهم رؤساؤهم بالغارة، وكان شبيب بن دواس على فرس تلحق ولا تُلحق، فأخذ العتبان إبل القحطانيين، وظنوا أن هذه كالأولى، فانقلبوا بها، فما شعروا إلا والخيل محدقة بهم من كل جانب، وهذي عزاويهم:

(خيال الرحمان وأنا ابن درّاج)(1)، (خيّال سمحات الوجيه وأنا ابن عاطف) (مبعد مساريح البكار وأنا ابن روق)(2).

(1)، فاتك [استرد] القحطانيون إبلهم، وظن العتبان أن القحطانيين اكتفوا بإبلهم، ولكنهم لم يكتفوا بها فانهزم العتبان، وجاء فارس من قبيلة السحمة من قحطان على جواده، فكان مصلح بن فهيد على راحلته، فطعنه برمح فقتله، فكان الرئيس هذال بن فهيد يرى قاتل أخيه مصلح، ولم يتمكن أن يأخذ الثأر به، وكان شبيب بن دوّاس يراه فقصده، وتمكن من قتله... وأخذ جواده، وقصد هذالا واعتزا أمامه، وقال: (خيّال البلها شبيب)، والتفت إلى هذال، وقال: أستاهل الفنجال يا ابن فهيد وإلا لا؟ فقال: تستاهل الدلة كلها!))(4).

وقال ابن بليهد: ((ولشبيب هذا قصص طريفة، منها ما حدثني به ابن عمه راشد بن هذلي قال: نزلنا في العبلة الواقعة في عالية نجد الجنوبية، وكان بجوارنا عرب من القمزة، رئيسهم امرأة جميلة، يقال لها الطريسة، ومعها قطعة من إبل سود، وكانت تتبع بها القفار، وكان فرسان قومها يحدون بالغناء على ظهور خيولهم، فمن قولهم:

نحفظك يا ذود الطريسة   من بد زيدان البنات

ونحماك من راعي اللّميسة   ونحماك من راعي الحصاة

فلمّا سمعت الغناء، وكثرة الحداء قالت لهم: مهلاً أيها القوم، فإني لم أقم بهذه الإبل في حِماكم، بل في حِمَى شبيب بن دواس، وسويحل العلباني، فبلغ الفارسين

1- ((هذه عزوة الخنافرة ، قبيلة ابن سفران))

2- هذه عزوة ((قبيلة العاطف ورئيسهم ابن سعيدان))

3- ((هذه عزوة قبيلة آل روق ، ورئيسهم فاهد بن مريحة))

4- محمد بن بليهد: صحيح الأخبار 5/ 272 – 273

العلبانيين كلامها فما زال يتوقعان الغارة من الرئيسين المذكورين بالقصيدة، وهما ابن هملان |القريشي| السبيعي، وهو راعي اللميسة، وراعي الحصاة ابن حويل القحطاني... فما شعر الرعاة إلا بالخيل قد اكتسحت إبل الطريسة، وأخذوها في وسط إبلها على جمل، وكانت الخيل التي أخذتها هي خيل ابن حويل راعي الحصاة، فلحقتهم خيل القمزة قبيلة الطريسة، فردهم القحطانيون، ولم يظفروا بتحصيل الإبل، وقال القحطانيون للطريسة: اذهبي على جملك إلى أهلك، فقالت: سيأتيكم اثنان على خيلهما، فإن طردتوهما رجعت إلى أهلي، فما شعر القحطانيون إلا بهما من أمامها، فلم يلبثا إلا لحظة واحدة حتى استخلصا الإبل من أيدي القحطانيين، فآبا بالطريسة، وإبلها، يتجاوبان الحداء، وهما سويحل العلباني، وشبيب بن دوّاس العلباني، ويقولان:

جبناك يا ذود الطريسة والخيل دونه مرزيات

كل نقص من دون قيسه وين العلوم الأولات

فهؤلاء الفارسان: سويحل العلباني مات في مكة، وشبيب بن دوّاس قتلته سبيع قرب منهل الصخة))[1]. وفي حوادث مناخ الحرملية بين عتيبة من جهة، وبين قحطان، ومطير من جهة، قال ابن بليهد: ((لما انهزم العتبان، وقحطان على أثرهم - عثر جواد محمد بن هندي، وسقط، وكان الذي يليه من الفرسان فارساً يقال له ((دهنين)) من آل روق، من قبيلة محمد بن حشيفان، فنزل عن جواده، وتطاوله، ووضع نفسه عليه، وقال: يا قوم، والله إني قد أمنته، وهو كاذب، ولكنه رغب أن يصنع جميلاً مع هذا الأمير العاقل، فتنازع القحطانيون فيه: قسم يحب قتله، وقوم دهنين عزموا على منعه، وعندهم شكٌ في صاحبهم أنه لم يؤمنه، ولكن أحبوا تثبيت كلامه، فمنعوه، فكان الذي أخذه دهنين من

---

[1] - محمد بن بليهد: صحيح الأخبار ٥/ ٢٧٣ ـ ٢٧٤

الإبل من محمد بن هندي بن حميد مقابلة الجميل مائة وعشـرين ناقـة، غـير أنـه لم يـأخذ ذلك دفعة واحدة، بل كان إذا أتاه أعطاه المتيسر، ولكنه لم يعطِه أقل من ثلاث))(1). وقال ابن بليهد: ((حدثني رجل من فرسان المقطة قال: كنّا قريب ماءة عـروى، وجاءنـا خـبر أن قنيفذ بن لبدة رئيس آل روق مـن قحطـان، وهـو مـن الفرسـان المشـهورين نـزل عنـد جبيـل سوفة... فقال: [ابن هندي] إنّ ا لله أخرج هذا الفارس من جباله، ومن بـلاد قومـه، وليـس معه إلا شرذمة قليلة، وقد عزمنا أن نغزوه بكوكبة من الخيل لعل أن ينصرنا عليـه فنقتلـه، فقال له رؤساء قومه: أرسل من يرتاد لك الخبر، فبعث حضرياً مـن سـكان قـرى العـارض، فقال له: اعرف لي منزله، وكم معه مـن الخيـل، فقصـده الرجـل واسـتضافه، وكأنـه ينشـد ضالة، فلما رجع إلى ابن حميد قال: وجدته، وليس معه من الفرسان إلا عشرة، قـال: هـل تعرف منهم أحداً؟ قال: أعرفـه، وأعـرف أخـاه منيفـاً، وضويحيـا وجديعـا آل الجـرو مـن قحطان، فقال: هؤلاء الأربعة يعدلون أربعين فارساً، ولكني سأسير إليهم بستين فارسـاً مـن باب الاحتياط، فمشى بستين فارساً كلهم علـى صهـوة جـواده، ومعهـم ركـاب تحمـل المـاء والكلأ للخيل، فأغاروا عليهم بجانب سوفة، وهم حلول: المرأة منهم تبني الخباء، والرجـل عند إبله أو جواده، وكان قبل أن يسير مـن عنـد أهلـه بيـوم قـال: عُـدُّوا لي الرمـاة، فـإني أحببتُ أن آخذهم، وأمرُ بهم على طريق قنيفذ في المعركة، فيرموه بالبندقية، قـالوا: نعـرف مضّال بن درية الذي ينزل الأروى من شعاف الجبال، وهي تعدو لايخطي سـهمه، والثـاني ابن خشيبان، والثالث طريخم بـن حريـش مـن الشـلاوى، فجمعهـم، وأخـبرهم بحاجتـه، فاضطلعوا بها، وكل قال: إذا رأيته قتلته، فأخذهم معه، فلما شـن الغـارة بجـانب سـوفة، واجتلدت الفرسان أخذ الرماة ووضعهم في موضع، وقال لهم: سأستطرد له، وأمر به عليكم،

---

1 ـ محمد بن بليهد: صحيح الأخبار ٢/ ١٢٠

ولكن اجتهدوا في قتله، فلما اجتلدوا انهزم ابنُ حميد ليمرّ به على الرماة، فتبعه قنيفذ يريد قتل ابن هندي، وكانت هزيمته حيلة لم يرَ منها فائدة، فمرّ على هضّال، ولم يرم، ومرّ على ابن خشيبان، ولم يرم، فالتفت ابنُ هنـدي إلى قنيفـذ فرمـى رمحـه قريبـاً من ظهره، وصاح يزهم طريخماً أعني ابن حريش، ويومئ إليه بيده، ويقـول ارم ارم، ثـم تـرك التنبيه على الاسم، وقال ارم يا شلوي باسم القبيلة، فلم يرم، فالتفت إلى خيله فقال: امنعوني من هذا الفارس، وكان زايد بن حريميس[1] من فرسان الروقة يسمعه، وهو من الفرسان التابعين لابن حميد، فجاءه مسرعاً عرضاً، فضرب قنيفذاً برمحه على قفـاه، وأذنيـه، فشرم إحدى أذنيه، وجرح مؤخر رقبته فصاح قنيفذ، وزاد جلاده، وقال: الكلـب لا يغلـث حتى تقطع أذناه، ـ وهذه قاعدة عند الأعراب في كلابهم، إذا أحبـوا أن الكلـب تزيـد حمايته للبيت قطعوا ووضعوها في تمر حتى يأكلها حتى إنه بقي مثلا عند عامة أهل نجد في عهدنا هذا، إذا زاد لجاج رجل في منازعته قالوا: ((إنّ هذا أكل أذنيه))، ورجع ابـن هنـدي من غزاته هذه بدون طائل))[2]. وقال ابـن بليهـد: ((إن زيـد بـن شـفلوت القحطـاني رحـل... قاصداً شقراء...[يريد] أن يشتري [مهراً لزواج] ابنه سالم من ثياب وغيرها، فاشترى من أحد تجار (شقراء) يسمى عبد الرحمن بن عبد الكريـم...ومـن ضمنهـا الزوليـة اشـتراها بسـتة ريالات فرنسية، وفي غياب زيد عن أهله أغار شليويح بن ماعز العطاوي، وأخذ إبلهم، فكان سالم بن زيد حاضراً على حصان، ومعه رمح فلحقه شليويح على فرسه، وقال له كيف تنهزم عن إبلك؟ فقال له إذا خرجت من هذا الحزم كلمتك لأن الحصان حافي، فلما قطع الحزم [أي تجاوزه] انتهز سالم الفرصة، وطعنه من خلفه فقتله، وأخذ فرسه، وركبها، وأعطى حصانه

---

[1] - ((زايد بن حريميس: من خيالة الحفاة من جماعة جعيلان الحافي، وهو من ذوي مقر))

[2] - محمد ابن بليهد: صحيح الأخبار٢ / ١٢٢

رجلا من قومه، ولحق بإبله، فلما رآه القوم على فرس رئيسهم انهزموا بدون قتـال، وتركـوا إبله... وبعث بشيراً إلى والده في شقراء فلما بلغه الخبر بانتصار ابنه رفع الزولية على رأسـه ورجع إلى عميله، وقال خذ هذه وأعطني أحسن ماعندك، فقال لـه: مـا السبب؟ قـال: ألم تعلم أن سالماً قتل شليويحا؟))(١). وقال ابن بليهد: ((حدثني محمد بن سحمي العـاصمي ــ رحمه الله ــ، وهو من رؤساء آل حشر، قال: كنا على منهـل الحرملية، ونحـن في شـهر رمضان، فلما قرب العيد قال لنا منير بن حشر: تدرون أيها الفرسان أين عيدكم؟ قلنـا لـه: لاندري، قال: انطلقوا إلى إبلكم فإني أخشى عليها من رجال يام أن يأخذوها نهـار العيـد، فهذي فرصة تنتهزها الركبان، فعزمنا على تنفيذ أمره أن يكـون عيدنـا عنـد إبلنـا، فمشـينا إليها قبل العيد بيوم، وخيلنا تبلغ ما ئتين فبتنا عندها في كثيـب السر ليلـة العيـد، فلمـا أصبحنا لم نشعر إلا برجل منا، وهو يقول عليكم غارة اركبوا يا أهل الخيل، ثم استوينا على ظهورها، وقد وصلتنا الغارة، وعددهم ثلاثمائـة ذلـول، يرأسـهم محمـد بـن دبـلان العجمـي العقيد المشهور، وأخذناهم جميعاً، ولم ينجُ منهم أحد، فجئنا بهم إلى أهلنـا، وكـانو ضيوفـاً عندنا، وبعد أيام قليلة رحلناهم إلى أهلهم. فلما كـان في السـنة الآتيـة، ونحـن علـى منهـل الخبراء، وقرب عيد رمضان قال لنا منير بن حشر: إن أطعتوني...لا تعيدوا إلا عند إبلكـم، فإني أظن أن الرئيس الذي جاءكم العام سيأتيكم هذه السنة، فمشينا إليها، ونحن نظن أنـه لم يأتِ، فلما كانت ضحوة العيد ركب فارس من قومنا على جواده فاندفع قليلاً، ثـم رجـع مسرعاً، فقال: إني رأيت قوماً مغيرين إلى إبلنا، فركبنا وقصدناهم، وأخذناهم كأخذتنا لهـم العام، فجئنا بهم إلى أهلنا ــ والرئيس في هذا العام هو رئيسهم في السنة الماضيـة محمـد بـن دبلان، وأذكر أنه جالس على شداد ومنير بن حشر إلى جنبه، وهو محتزم بقديمي، فـالتفت

---

(١) ـ محمد بن بليهد: صحيح الأخبار٤ / ١٩٥

منير الى ابن دهلان، فقال: لو أضربك بهذه القديمي إني مصيب، لقد حرمت شبان العاصم الاّ يتزوجوا، فقال له: كيف ذلك؟ قال: مضّى عيدان لم يظفروا برؤية النساء، فالتفت ابن دهلان إليه، فقال: احمدْ ربّك ياعاصمي! كل عيد آتيك بثلاثمائة ذلول من النجب الطيبة مع ماعليها من السلاح الطيب، والقديميات المصوغة، ولو تجري لي ما هيَّة، ولاتذبحني لأني أسلمها لك ماوراها شر ولا دونها شر))(١). وليت هذه الشجاعة والفروسية، في ميدانها الحقيقي ضد عدوٍ للأمة، وليتها كانت في سبيل ا لله!

لكنها ظروف العصر الذي عاد فيه ظلام الجهل إلى نفوس العرب وكان الإسلام قد أخرجهم منه، فلما عاد حجب الرؤى الصحيحة فصغرت أهداف الرجال، وتحول كيد الأمة، وقوتها عن الأعداء إلى الإخوان في ظل الفراغ السياسي الذي كان سائداً في هذه البقاع قروناً طويلة، وقد رافقه خواء عقلي، وضعف في الدين، لم يبقِ من شعب الإيمان إلا ماكان في حكم العادة. ولا نلوم أحداً منهم، فلكل عصر ظروفه التي تحكم أهله، ولو أن بعض من يلوم تلك الأجيال عاش في عصرها ما كان أحسن حالاً منها، فنحمد ا لله الذي ألف بين القلوب، وجعل الأعداء إخواناً .

ونقل أبو عبد الرحمن عن الشيخ منديل، قال: أغار سيف الخنفري بجماعته على بني الحارث، ورئيسهم سيف بن عاتق أمير الجيايشة، فكان النصر لبني الحارث، أخذوا القحطانيين بالمنع، وهو استلام المغلوب، وتعهد الغالب بالأمان على الرقاب. فأكرم بنو الحارث الأسرى، وأعادوهم مزودين بالركاب، ومعهم مرافق يوصلهم إلى جماعتهم، ومثل هذه المعاملة تكون سلفاً مردوداً.وكان بنو الحارث يكثرون للقحطانيين من القهوة لأنهم

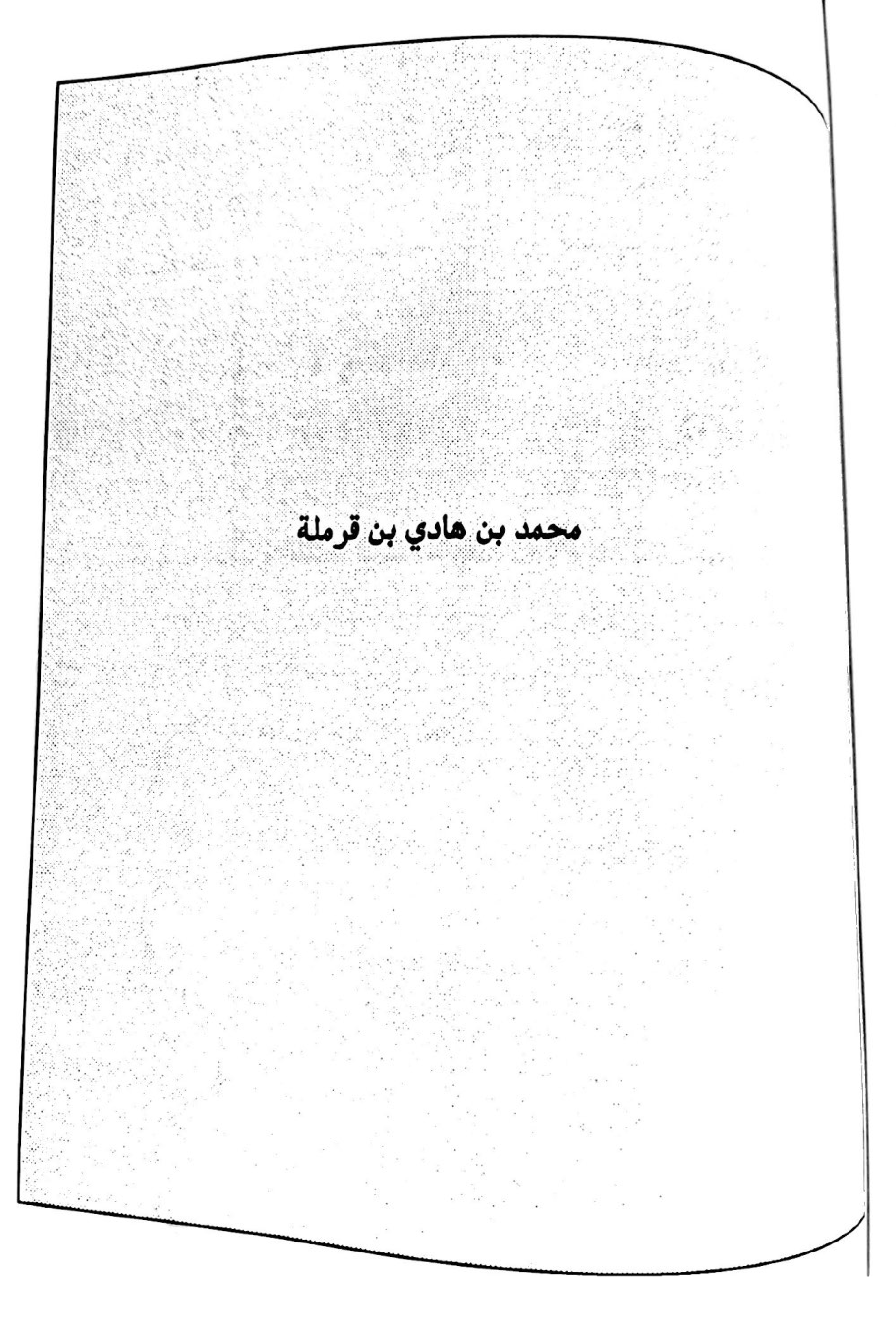
---

١ - محمد بن بليهد: صحيح الأخبار ٥ / ٢١٣

معروفون بكثرة شربها، وحملوا مرافق الأسرى كيس قهوة هدية لسيف بن مطلق، وفي ذلك يقول شاعر بني الحارث:

يا شعيل سلم لي على صاحبي سيف	نطاح وجه القوم قدم المغيرة
اللي ركابــه كـل يومٍ مواجيف	ما تستريح وكل صبحٍ بديرة
راعي دلال فوق نـاره مهاديـف	يفرح بها الضرمان لا أبطى مسيره
وأنا أشهد أنه يا فتى يكرم الضيف	وجاره على ما يسرا لله خشيره
يا شعيل وصل سيف من عندنا كيف	بريـــة يا شـعيل منا بريرة
جونا على قـــب المهار المزاغيف	وصارت علينا بالزرايب كسيرة[1]

[1] - أبو عبد الرحمن بن عقيل: تاريخ نجد في عصور العامية ٣/ ٦١


محمد بن هادي بن قرملة

محمد بن هادي بن قرملة هو أشهر زعماء قبيلة قحطان، وقد كـان لـه جـاه كبـير في عصره، وهو فارس، وشاعر، وقد عُمِّرَ طويلاً، وعاصر الدعوة الإصلاحية في نجد في آخر عهد الدولة السعودية الأولى، وفي عهد الدولة السعودية الثانية، وكان له ذكـر حسـن مـع ولاتهـا كما قال ابن بليهد. وقد جمع أبو عبد الرحمن أهم أخباره، وشعره (١)، وكان يفتخر بكـثرة قومه، ويشبههم في الكثرة بجوج ماجوج، فقال الشريف سلطان، وهو من أشراف الخرمه من قصيدة يرد فيها على ابن هادي:

أنتم سهيل له مطاليع و ابروج   وأنا القمرفي ليلة النصف غطاه

فإن كان قومك كثر جوج ماجوج   كفرت بالطاغوت وآمنت با لله(٢)

ومن أخباره أن الجبعاء بن خليـف الدوسـري مـن الوداعـين كـان صديقـاً لـه، وكـان يكرمه، ويهاديه بالتمر إذا وردت ركابه، وكان ابن هادي يبادله الهدايـا أيضـاً، وذات مـرة قال أحد أصحاب ابن هادي، وهو في مجلسه: ا لله يطول عمـرك يـا الأمـير أصبح الدواسـر يرسلون لنا التمر خوفاً منك. فقال ابن هادي مشيراً إلى أصحابه: عسى ا لله يخلي ذا الربع، وتمثل بقول شعيب ((ولولا رهطك لرجمناك))، وقال إنما خاف الجبعاء أن تأخذوا معـاويده. فوصل الكلام إلى الجبعاء، فلمّا جاءت ركاب ابن هادي اعتذر عن تقديم التمر، وقـال: إنمـا كنتُ أهاديه باسم الصداقة، أما باسم الرهط، فأنـا بـا لله، ثـم برهطـي! وقـال مخاطبـاً ابـن هادي:

كله لعينا العِزْب حَسْكات الوَبَـر   اللي على راس الظمايا حائلـة

يومه بغَى زعزاع والحرق المـدر   والكل منهم وسـندوه أصايلـه

---

(١) - أبو عبد الرحمن بن عقيل: تاريخ نجد في عصور العامية ٤/ ٧٩ - ١٠٩

(٢) - منديل الفهيد: من آدابنا الشعبية ١ / ٣٠

وا لله لـولا الشيخ حمّاي المدر عبد العزيز اللي مضت فعايـله

لا أحطك أمحق من بنى بيت الشعر وإنا نوريكم نجـوم القايلـه

شربت بجو خزيم ثم ولّى القشر شربت غدير وسربت حثايله

وكان ابن هادي قد أهدى على الإمام فيصل بـن تركـي فرسـاً أصيـلاً تُسمَى كـروش، واشترط أن له أول مهر من نسلها، كعادة العرب في إهداء الأصائل، ثم أهداها الإمـام فيصل لعبيد بن على بن رشيد، فطلب بعض ولاة الأتراك من عبيد الرشيد أن يبيعهم إياها، فرفض الطلب، وقال قصيدته التي منها:

يا بيه أنا لكروش ما أعطي ولا أبيع قبلك طلبها فيصل وابن هادي

أما ابن هادي فقد أخبر عبيداً بأنه اشترط على الإمام أول مهر من نسلها، فقال عبيـد الرشيد:

جانا جوابك يا الشجاع ابن هـادي تقول لي بكروش عندك مثانـي

وكروش جتني من نحاز المعادي عزالعرب عند اختلاف الزمـانِ

سلطان نجد حضرها و البـوادي محيي من الجودة سمال المعانـي

ريف الضعوف وتاج راس السنادِ أنا وهي له وإن بغاهـا بغـانـي

شيخ على غالي حلاله نفـــادِ وعطاه ما به يا ابن هادي مثاني

خطية طلبك مثـانـي جـوادي وأنا بكفي حبلهـا و العنـانِ

وقيل: إن ابن هادي أعطى أحد الدواسر ناقة يَسْنَى عليها، فلم يرد الدوسـري الناقة بعد إنتهاء موسم الزرع، فغضب الشيخ ابن هادي، وقال بهذه المناسبة:

يا راكب من فوق طلق الذراعين يطوي مسير اليوم من طول باعه

يسرح من الظفرة بلاد النسيبين يعجبك بالخد السماح ارتباعه

حدرعلى الجريان هم والخرامين شرايـة للمـدح لاجـا مباعـه

وسند على الرجبان هم والقثامين من مثلهم حط الوداعة طماعة

يا فاطري حني قصور الوداعيـن حنـي حنيـن من توحّاه راعه

حني حنين حول قصرالخماسين وخصوص عبد ا لله صبي الوداعـه

يا فاطري يا اللي ثمنها ثلاثين وإلا معانقـة الجمـل باندفاعه

ياما رعت من باطن زاهره زين ميرادهـا عِـد تعاوى سباعه

يبرى لها قب سواة الشياهيـن قب إلى هد القواصر قطاعـة

بديارنا كل العرب عنه عجزيـن وإلا ترى قومي غدوا به طماعـة

إن كان هم نسيوا ولاهم بناسين بـاروا يبريهـم ولي الشفاعـة

ا لله يثبتنا على كلمـة الديـن دين النبي يا حي ذيك الطماعة

وقصائد ابن هـادي أكثرهـا مسـاجلات بينـه، وبـين معاصريـه، مـن أمـراء القبـائل، متضمنة طلباً ما أو جواباً لطلبٍ ما، ومن هذه المساجلات الشعرية، أوالرسائل المنظومة شعراً جوابه على قصيدة لتركي بن حميد، يقول فيها ابن هادي:

حي الكتاب اللي من البعـد مرشوم حيه وحي اللي مشى حشمة لـه

ساعة قريته شفت ما عفت مرسوم ردّ النقا تركي وهـو منحي له

يا سابقي غاشٍ عتيبة منكِ لوم مثل الربيع اللي غشا نجد كله

خطاري العتبان خمسة عشر يوم قعدان و الجمال بيتي هل له

أطلب عسى نجد من الوسم مقدوم حتـى تقرب حله فوق حلـه

إن كان رمحك في أول الخيل ملحوم   أنا برمحي حامي نجد كله[1]

من شافنا بالحلم يقعد من النوم   ومن شافنا بالعلم بطنه يهله

حريبنا لو جظّ ما هو بمليوم   اللي وراه يجظ من جظة له

حربك إلى جانا نقلناه بسهوم   وتر حربنا لاجاك ما احتلت شله

وإن كان تطري النجم والنجم معلوم   النجم يدوي و الجبل راسي له[2]

ما نشتحن للحرب والحرب مفهوم   ويا سعد منا للقا فزعة له

ما خلقت الدنيا ولا الناس في يوم   واللي تمنى حربنا مضحي له

وإن كان في نفسه فلا هو بمليوم   نعم الشوارب وافي الشبر كله

متوسط ما بين عتبان وبقوم   و ا لله أعلم بدق سلكه و جله

وهذه قصيدة لشافي بن شبعان شيخ بني هاجر يستنهض همة ابن هادي ضد العجمان، ويذكره بصلة القرابة بين بني هاجر، وقحطان، وهي أحسن ما قيل في معناها من الشعر العامي، وقد أبدع في تصوير الخطر المحدق بهم، قال شافي بن شبعان:

يا راكباً حمراً بلونه سحامة   ترعَى الزهرلين الشحم فوقها زام

فوقه صبي ما تغيَّر كلامه   يدي الخبر يَمّ الرفاقة بالأملام

يا جنب ترِّكُوا الرثا و الحمامة   احموا لنا من قبل حل التندام

---

[1] - هذا البيت جواب لقول تركي:

أنا برمحي في أول الخيل ملحوم   وإلا أنت رمحك عند سارة تشله

[2] - وهذا البيت جواب لبيت تركي:

أنتم كما ظلع طويل و مزموم   وحنا كما نجم إليا جاه هله

صبيان قحطان غشاهم ملامة ولها على صبيان جنب تلمـلام

حنّا كما مايح ثمانيـن قامـة هَيْمَا و في جيلانها تسعة أهيـام

ما يظهر المايح من أقصى غمامه خطـر علـى جيلانــها بالتـهـدام

حنا شوي و حاميتنا القرامـة قطاعــة ننطـح ولـو كملوا يام

أرماحنا وسط المدينة علامة مع الصحابـة قاتلوا نيـك الأيـام

وهذه قصيدة لابن هادي، وهي جواب لقصيدة لراكان بن حثلين قال:

يا ســابقي تستاهلين الســـلامة ا لله يجيرك من بلا سو الأيـام

لابد من يـــومٍ يثــوِّر كتــامــه أمّا على المطران وإلا على يـام

يا ذا البهم وا لله إن تباري الجهامـة حتاك تنزل بين صفوى والاوجام

لي لابة حدرتهـم مــن تهــامــة اسلاحهم صنع الفرنجي والأروام

حنـا كمــا سـيـل يطم العدامـة حوّل على طاش البحرله تلطام

وإن كـان عنـدك للمســيِّر كرامـه عَجِّل تَرَى ربعك مشافيق وحيام[1]

كرامــة تـــرث عليكـــم ندامـة تصبح ذراريكم مراميل و أيتـام

كــم شيــخ قومٍ مطلقين حزامـه من عقب لبس الجوخ قدوا له الخام

وإن كان تطري السيف تفضخ لحامه لو هو على الدوشان ما كان تنلام

---

[1] - هذا البيت جواب لبيت راكان بن حثلين:

نبي نسوِّي للمسير كرامة شلفاً على قبٍ سريعات الأولام

ويقال أن بعض قوم ابن هادي نزحوا عنه معاتبين له، فمرّ بهم، وهو في طريقه قاصداً ابن سعود، فقالوا: إن كان قصدنا فالمحل محله، وإن أبى فبرغبته فعل! فتجاوز بيوتهم، ولم ينزل عندهم، فلحقه أحدهم، ومعه فاطر ذبيحة له ، فقال ابن هادي:

ياهل الركاب اللي خفاف المعاليق	ريضوا شوي واسمعوا لي علومي
سرحت من جنب على فكة الريـق	وعز ا لله إن حقي عليهم لـزومِ
تكفون يا سمو العيـال المطاليـق	حتـى العذارى زاهيات الرقومِ
ما منكم اللي تلهن بالخنانيـق	وأنا ذراكم عن لهيب السمومِ
إلا شذي القرم زبن المشافيـق	اللـي معرضنـا بكـومـّى ردومِ
أنا جملكم في نهـار المساويـق	إن جا من العدوان خيفت علومي
أشيل من ربعي من الغيض ماأطيـق	ولو أنهم زعلين عندي حشومِ
أنا لربعي مثل حامي الأساويـق	من دون ربعي مثل ظلع زحومِ
أنا أحمي المظهور لانشّف الريق	لما رمَى المجمول بغطاه يومي
نجد خذيته بالسلف والتفافيـق	وخيل تعاقب مثل طابور رومِ[1]
والرزق عند ا لله بخط و توفيق	والعمـر يفنَـى و الليالـي تدوم
أنا جوير الفرد حامي المواثيـق	اللـي جوابه مثل صقع النجومِ

فقال الجضعي، وهو من جماعة ابن شفلوت يجيب ابن هادي:

يا راكباً وجنا تبوج المراهيـق	كنه ظليـم حاديتـه الخشـوم
تنصى لنا شيخ دلاله على سيق	محمــد ولد هادي مَرَد العلومِ

---

[1] ـ التفافيق: نوع من البنادق.

يعطونه الأجناب قب ملاويق أصايـــل مــن الأحفـة رســومِ
جوابه اللي قال خلاني أضيـق والشيخ ما يأتي لربعـه ظلـومِ
جنب مروّية الغلب بالملاحيـق إلى تعلـــوا كـــل قبـا قحـومِ
أفعالهم تشهد لهم حزة الضيق يأتي لهم يوم القلايـــع رسومِ
وإلى لفت هجن بربع مطاليق تشكي مضاريب الحفا النسومِ
نذبح لهم حيل تهزع المعاليـق ونلحق علـى ترحيبنا بالشحومِ

وهذه أبيات لابن هادي قالها مداعبة، ومعارضة لأبيات لتركي بن حميد يصف فيها جملا خيالياً له جناح، وخف، وله سرعة فائقة كما تخيله، وستردأبيات تركي في ترجمتـه إن شاء الله، قال محمد بن هادي:

يا تركي بن حميد وش ذا البعير ما تجلبونه كان تبغون الأربــاح
كيــف النعامــة نوخـت للبعير أقول ذا كذب على الناس فضّاح
لا عاد له خف و جناح يطيـر أنا أذكر الله راكبه كيف ما طاح
أنا لقيت الكذب في كل أميـرِ ويا حلوكذب مخضبة علط الرماح

عُتَيْبَة

دراسة النسب ليس من موضوعات هذا الكتاب، ولكني سأذكر بعض ماقيل عن نسب عتيبة كما يراه النسابون من أبناء القبيلة، لأنني رأيت كثيرين يخوضون في أنساب القبائل بغير دليل، وأوردوا احتمالات بعيدة ليس عليها دليل.

يرى النسابون من أبناء هذه القبيلة[1]: أن اسم قبيلة عتيبة طغى على الأصل (بني سعد) وهو الاسم القديم ولاتزال تعرف به إلى اليوم، في منازلها القديمة في الحجاز، وهو سعد بن بكر، من هوازن، من قيس، من مضر، من بني نزار، من بني معد بن عدنان أحد جذور العرب. وأما شبابة فهو اسم أطلق على عدد من القبائل، ومنها بنو سعد أصل قبيلة عتيبة، وقد ظهر هذا الاسم منذ القرن الرابع الهجري[2]، قال دليم الطر المرشدي من عتيبة:

حنا شبابة نأخذ الفعل بالدول حبل يمدونه وحبل نرده

أمّا اسم عُتَيْبة فيبدو أنه ظهر في القرن الثامن أو التاسع الهجري، وفي التسمية به عدة أقوال:

الأول: أنه اسم أبيهم (عُتَيْب)، والنسبة إليه (عُتَيْبِي) وقيل عتيبة لأن لفظ القبيلة مؤنث، ومن قبائل العرب جهينة، وبجيلة.

---

[1] - من النسابين المعروفين في الحجاز: الدخنة من الذويبات وكبيرهم الشيخ عبدا لله بن دخين وهم في السراة. ونجم بن هليل صاحب السيل وأبناؤه، ونسابة الروقة القضاة من الثعالبة في المحاني قرب الطائف.

[2] - جاء في العقد الثمين ٥/ ٥٤١ ((أنّ شيخ الحرم عبد ا لله بن أحمد الأنصاري الهروي المتوفىسنة ٣٣٤ للهجرة سكن عند العرب وتزوج عندهم في سراة بني شبابة، وقال: هي سراة بني سعد بجهة بجيلة)).

الثاني: أنّ عتيبة اسم أمهم، كما يقول بعض النسابين في الحجاز، وأبوهم سعد وأنجبت لسعد خمسة أبناء، فعرفوا باسم أمهم.

الثالث: أن اسم عتيبة لقب قيل أن بني سعد لقبوا به، لأنهم غزوا على قبيلة مجاورة لهم، فنزلوا في ثنية أو ريع وأهل الحجاز يسمون الريع الضيق عتيبة، تصغير عتبة، فغلب عليهم هذا اللقب، فسموا عتيبة، وا لله أعلم.((وفي جمهرة النسب عُتَيْبة بن غَزِيّة بن جُشَم بن معاوية بن بكر بن هوازن))(١)،وهذا يؤيد الرأي القائل إنّ عتيبة اسم جدهم من بني سعد، فهو إذن اسمٌ قديم، لكن إطلاقه على القبيلة حديث.

وتنقسم قبيلة عتيبة الآن إلى أربعة فروع كبرى: منها فرعان كبيران في السراة وفي أودية الطائف وهما:

ثبيت، وشملة، وقيل: أنّ شملة سموا بهذا الاسم لأنهم غادروا موطن القبيلة في السراة اتجهوا شمالاً ونزلوا في أودية الطائف، فقيل لهم شملة ويطلق هذا الاسم على عدة عشائر من بني سعد(٢)، أما الذين بقوا في السراة فلم تتغير أسماؤهم. أما الفرعان الآخران فهما: روق وبرقا، وهم الذين نزحوا من السراة إلى نجد في أوائل القرن الثاني عشر حوالى سنة

---

[1] - الكلبي: جمهرة النسب ص ٣٨٣ ، ط / عالم الكتب، بيروت.

[2] - اسم شملة يطلق عل: ـــ أ ـ عشائر طفيح والنسبة إليهم (طفيحي) وهم قسمان : ذوو علي والمزاريع فأما ذوو علي فنهم: الجعدة و خديد و اللهوب والجميعات والحصنة والحلسة والعبابيد والحبوس. وأما المزاريع من الطفحة فنهم: السيابيل والحلفة والزوران والحشابرة والسوطة والوذانين والعداوين.

ب ـ وعشائر النفعة أهل الحجاز منهم: ربيع والزود (زايدي) العيلة والسلاقا.

١١٣٠هـ (١) وتمتد مساكنهم الآن من الوشم حتى تتصل بمساكن إخوتهم في السراة وأودية الطائف في الغرب، وتقع أكثر قرى الروقة وهجرهم ومياههم شمالي طريق الحجاز القديم المار بالدوادمي وعفيف، بينما تقع أكثر هجر البرقاوية وموارد مياههم جنوبيه. والحمدة أكبر مشايخ قبيلة عتيبة، وأكثرهم شهرة، وهم من الكرزان واحدهم (كريزي) من المقطة من برقا، وشعارهم ((خيال الرحمن كريزي)).

قال لي ناصر بن هندي بن حميد: إنّ محمد بن الفهاد جد كرزان المقطة عقب ثلاثة، هم: (متعب ، ورويسان، وحويبان)، **فمتعب أب لعدة فروع من الكرزان**، يقال لهم المتاعبة، ومنهم الحمدة. **ورويسان** أب لعدة فروع من الكرزان، يقال لهم الروسان، وهم غير روسان المراوحة، وقد وهم أبو عبد الرحمن فجعل روسان المراوحة من الكرزان، وهذا خطأ (٢). **وحويبان** أب لعدة فروع كثيرة من الكرزان، يقال لهم الحوابية. **والحمدة عيال**: حمد بن حميد بن حمدان بن سعيفان أو عِوّاص بن سعيد بن متعب بن محمد بن الفهاد بن الفاضلي. **وحمد بن حميد**... عقب: (صنهاتا، وهنديا، وشبنانا). وقد كان حمد بن حميد قائداً عند الإمام سعود بن عبد العزيز آل سعود في الدولة السعودية الأولى، وقد قتل في

---

[١] ـ كان الأساعدة أول مَن دخل نجدا مِن القبيلة حوالى سنة ١٠٩٠ للهجرة، فقد قدموا إليها من وادي رهاط شمال مكة، بعد أن وقعت بين المزاحمة وطلحة حرب لأنّ شباباً من السهاحين عندوا على امرأة تسمى (بيدا)، وكانت هذه الحرب سبباً في رحيلهم، فنزلوا قارة الشور قرب بقعاء، ثم انقسموا ثلاث فرق: فرقة اتجهت إلى العراق وسكنت قرب البصرة، وفرقة نزلوا الأسياح ثم الزلفي، وفرقة بقيت في بقعاء، فيكونون قد سبقوا القبيلة إلى نجد بأكثر من قرنين من الزمان، وأما الذين جاءوا إلى نجد مع القبيلة فيسكنون الآن مغيب غرب السر، وأميرهم الحديري.

[٢] ـ أبو عبد الرحمن بن عقيل تاريخ نجد في عصور العامية ١/ ١١٨ ـ ١١٩

الحديدة، وقبر هناك. وصنهات بن حمد بن حميد... عقب: (تركيا، وعلوشا). وعلوش بـن صنهات بن حمد بن حميد... عقب: (عباسا، وفيحانا، وعمر) أما فيحان وعباس فلم يعقبـا أحداً، وعباس قتله آل حشر من قحطان في وقعة بين القبيلتين. وعمر بن علوش بن صنهات بن حمد... عقب: (هوصانا، وفيصلا) أما هوصان فقد قتلته مطير عند رمحين، في وقعة بين القبيلتين، ولم يعقب أحدا. وفيصل بن عمر بن علوش... عقب: (عبيدا، وعمر، وفيحانـا). أما عمر وفيحان فقد قتلا في معركة الهدا في فتح الطائف سنة ١٣٤٣هـ، التي قادها سلطان بن بجاد،[١] وجمعيهم لم يعقبوا أحداً، وعندهم توقف نسل علوش بن صنهات. وتركي بـن صنهات بن حمـد بـن حميـد... عقـب: (خـالدا، وضيـف الله العفّـار، وعبيـدا، ونـاصرا، ومسلطا).، فناصر، ومسلط ليس لهما عقب. وقد أصيب ضيف الله العفار بمرض الجدري في أثناء زيارته لابن رشيد في حائل، ومعه تني أبو عبية، وصلال بن عقاب بن حميـد، فمـاتوا ثلاثتهم، ويقال: إن ابن رشيد تعمد إدخالهم على مرضى الجدري لرغبته في التخلص منهم. أما خالد فقد توفي في الغطغط عام ١٣٤١هـ، وأما عبيد، وناصر، فقد قتلتهمـا قحطـان، أمـا سلط، فقد مات متردياً من حصانه في سباق للخيل. وخالد بن تركي بن حمد بن حميـد... عقب: (محيميدا، وعلوشا، وضيف الله، وتركيـا، ومحمـدا). أمـا محيميـد، وضيـف الله، وتركي فليس لهم عقب. وعلوش بن خالد بن تركي... عقب: (عمر) الموجـود الآن في مكـة. ومحمد بن خالد بن تركي... عقب: (خالدا). وخالد بن محمد بن خالد عقب...: (تركيـا) الوجود الآن. ومحيميد، قتلته قحطان على ماء (عقيلان)، وفيه يقول ابـن شـعواء الخنفـري القحطاني:

---

[١] – قيل: إن القتلى من المقطة وحدهم في هذه المعركة بلغوا ثلاثين رجلاً.

حر شهر من نجد عجل مطاره	يبا الجنوب ودنو الفطر الشيب
ثوّر من الصخة يتقطع شراره	يتلاه من قومه سواة العياسيب
على عقيلان نوانا بغاره	قزوه صحبانه بكثر التناديب
روّح حشيفان يبا له سباره	عدّى وويّق نائفات المراقيب
غارت محوشة الدبش وانتشاره	الاد الكريزي ميبسين المشاريب
لحقوا قحاطين سواة النماره	ضياغم ما فيه شك ولا ريب
وشلفٍ مضاربها سواة الجحارة	ترعى بها العرفا غصب بلاطيب
يا مكيِّف الفنجال زين بهاره	واثنه لعروان وثولث لابو ذيب
ومربوع للشاوي متيه بكاره	ضويحي شوق البني الخراعيب
عاداتنا بالجلب ناخذ خياره	ثلاثة الجذعان غصب بلا طيب

وقد نُسِب بعض الرواة هذه القصيدة لشالح بن هدلان، والجذعان الثلاثة هم: محيبيد بن خالد، ونائف، وعمر عيال محمد بن هندي، وأما ذعار بن محمد بن هندي فقد كان مقتله بعدهم متأخر عنهم. وضيف الله بن تركي بن صنهات... عقب: (ناصرا، وفيحانا) وقد توفي ناصر في الغطفط سنة ١٣٤١هـ، وأما فيحان فليس له عقب، وقد قتل في وقعة جمران بين بن محمد بن هندي، وفيصل الدويش. **وناصر بن ضيف الله بن تركي**... عقب: (هنديا) وقد توفي في جدة عام ١٣٧١هـ . **وهندي بن ناصر بن ضيف الله**... عقب: (ناصرا، ونائفا) الموجودين الآن في الرياض. **وعبيد بن تركي بن صنهات**... عقب: (عمر اللقب الجنازة). وإنما لقب بالجنازة لإقدامه على الموت دون مبالاة، وليس له عقب. **وهندي بن حمد بن حميد**... عقب: (دحيما، وسلطانا أبا الرؤوس، ومحمدا الزعيم المشهور). ودحيم

بن هندي بن حمد بن حميد... عقب: (مقعدا) وقد توفي مقعد عام ١٣٤١هـ .ومقعد بن دحيم بن هندي... عقب: (حشرا، وحسنا، وتركيا). أما حسن فليس له عقب. وحشر بن مقعد قد أصيب في حادثة المحمل المصري المعروفة بحج الرمي، وكانت إصابته في يده، وقد بترت ذراعه من هذه الإصابة، وهو أحد أمراء عروى في عهد الملك عبد العزيز. وتركي بن مقعد بن دحيم بن هندي... عقب: (خالدا، وعلوشا) وعيالهم الموجدين الآن. وحشر بن مقعد بن دحيم بن هندي... عقب: (مقعدا، وعبد المحسن، ونائفا، وعبد العزيز). أما مقعد، ونائف فقد توفيا في مكة، وأما عبد المحسن، وعبد العزيز فقد توفيا في الرياض، وجميعهم لهم أبناء. وسلطان أبا الرؤوس بن هندي بن حمد بن حميد... عقب: (ماجدا، وبجادا) وإنما لقب بـ (أبا الرؤوس) لأنه كان لايضرب خصمه في الحروب إلا على رأسه. وبجاد بن سلطان بن هندي... عقب: (سلطانا، وجهجاها). وسلطان بن بجاد بن سلطان هو قائد الإخوان المشهور الملقب بسلطان الدين، ومن أشهر المعارك التي قاد الإخوان فيها: معركة تربة سنة ١٣٣٧هـ، وفتح الطائف سنة ١٣٤٣هـ، ولم يعقب إلا بنتاً واحدة هي وضحاء أم ناصر، ونائف عيال هندي بن ناصر الموجودين الآن في الرياض، وقد توفيت في الرياض سنة ١٤١١هـ. جهجاه بن بجاد بن سلطان... عقب: (سلطانا، وعمر ونائفا). أما عمر فقد توفي في مكة سنة ١٣٦٢هـ، وأما نائف فقد توفي قريباً في الرياض، ولهما أبناء. أما سلطان بن جهجاه بن بجاد فهو كبير الحمدة الآن، ويسكن الرياض. ومحمد بن هندي بن حمد بن حميد... الزعيم المشهور عقب: (هنديا، وسلطانا، ونائفا، وعمر، وذعارا، وسلطانا الثاني، ونائفا الثاني). أما هندي، وسلطان فقد قتلتهما حرب، وأما نائف الأول، وعمر، وذعار فقد قتلتهم قحطان. ونائف الثاني بن محمد بن هندي... عقب: (سلطانا، وبندرا، ونائفا على اسم أبيه)، الوجودون الآن انتهى كلامه.

وعزوة القبيلة الآن (عتيبة يارفاقة)، ولكل عشيرة عزوتها الخاصة بها، وكانت قديما تعتزي بمنصور الجد الأول، قال الأخطل يهجو هوازن وسُليم:

تركوا عميراً والرماحُ شوارعٌ يدعو وقد حَمِي الوغَى منصورا

وقال شاعر هوازن حميد بن ثور الهلالي مفتخراً بهذا الجد(منصور):

ودّ الملوك بأشرافٍ مُجَدَّعةٍ وأنّ أعينهمْ ممسوحةٌ عُوْرُ

أنّ أباهم أبونا غيرَ مُؤتَشَبٍ إذا نُسِبْنا وأن الجَدّ منصورُ

و بالمناسبة فقد كان هذا شعار الرسول صلى ا لله عليه وسلم وشعار صحابته رضي الله عنهم في المعارك ((يامنصور أمِت أمِت)) فأنعم به من شعار مبارك.

وهناك أراء لبعض الباحثين في الأنساب عن نسب عُتَيْبة لكن أكثرها مبني الظن، وبعضها، يتخذ اتفاق الأسماء دليلاً على أصل النسب، وهذا من أضعف الأدلة. وكما هو معلوم في شرع ا لله أنه لايجوز لأحد أن ينتسب لغير أبيه، والناس أدرى بأنسابها، وعلى ا لله حسابها. والعرب متكافئون في أنسابهم، لافضل لأحد منهم على غيره إلا بالعمل الصالح.((كلكم لآدم وآدم من تراب)). وقبيلة عتيبة من القبائل المستقرة في مساكنها حول الطائف، لم تختلط بأحد حتى نزحت إلى نجد، ونزوحها قريب، وتأريخها معروف عند رجالها، مع تقديري لما قاله ابن خلدون عندما قال:

((إنّه من البين أنّ بعضًا من أهل الأنساب يسقط إلى أهل نسبٍ آخر بنزوعٍ إليهم، أو حلف، أو ولاء، أو فِرار من قومه، بجناية أصابها فيُدّعَى بنسب هؤلاء ويُعَدّ منهم...ثم أنه قد يتناسى النسب الأول بطول الزمان، ويذهب أهل العلم به فيخفى على الأكثر، فما زالت الأنساب تسقط من شعبٍ إلى شعب ويلتحم قوم بآخرين في الجاهلية والإسلام، والعرب والعجم، ومنه شان بجيلة في عرفجة بن هرثمة لمّا ولاّه عمر عليهم ، فسألوه الإعفاء منه ،

وقالوا هو فينا نزيف أيْ دخيل ولصيق ، وطلبوا أن يولّي عليهم جريراً ، فسأله عمرعن ذلك ، فقال عرفجة : صدقوا يا أمير المؤمنين ، أنا رجل من الأزد أصبت دماً في قومي، ولحقت بهم))(١).لكن هذه أمور فردية، لاتعم فروع القبائل، وبطونها، وقبيلة عتيبة من القبائل المستقرة في أماكنها القديمة، وبعد رحيل بعضها إلى الشرق ظلت متصلة بالموطن الأصلي، فلم تنفصل فروعها عن الأصل، فلو مشيت من الوشم في الشرق إلى الموطن الأصلي في السراة في الغرب ما فارقت بيت عتيبي، فالمساكن متصلة، لم يفصل بينها فاصل، وهذا يبعد احتمال دخول فرع، أو بطن من قبائل أخرى بين فروعها، ولو صح دخول أحد من فروع القبائل في قبيلة عتيبة بعد نزوحها لما نُسِيَ، ولبقي معروفاً،لأن المدة الزمنية قصيرة جداً. أمّا تداخل فروعها بعضها مع بعض، فهو محتمل، بل إنه شبه مؤكد، فمثال ذلك ما يقال: أن الحماميد من الروقة أصلهم من السوطة من برقا.

((وديار عتيبة ما بين سفوح جبال الحجاز الشرقية، وأطراف الوشم والقصيم، ويحدهم من الجنوب بلاد قحطان، والبقوم، الشلاوى، وسبيع [أهل الوديان] وبهذا تعلم أن منازلهم القسم المتوسط من المملكة، وكانت مساكنها قبل ذلك الحجاز، وتهامة، وكانت رئاستها لآل ربيعان من الروقة، وكانت مشيختها في أول النصف الأخير من القرن الثالث عشر لآل حميد من برقا، حيث لمع نجم تركي بن حميد، الذي بوأ عتيبة براري نجد، وزحزح قحطان، وكان السيطر قبل ذلك على براري نجد محمد بن هادي...وقبيلته قحطان))(٢).

ولهذه القبيلة أيام مشهورة مع قبائل نجد، والقبائل المحيطة به، فقد كان نجد مسرحاً للحروب القبلية عدة قرون، فلما قدمت عتيبة إليه كان عليها أن تخوض حروبا

---

[١] - عبد الرحمن بن خلدون: المقدمة ١ / ٢٣٨ - ٢٣٩

[٢] - أبو عبد الرحْمن بن عقيل: تأريخ نجد في عصور العامية ١/ ١١٧

طويلة مع القبائل المسيطرة عليه في ذلك الوقت، وخاصة مع قحطان، ومطير، ثم مع حرب بعد ذلك، فقد اشتد النزاع بين هذه القبائل على مراعي نجد في القرن الثالث عشر، وأول القرن الرابع عشرالهجريين في غياب الوحدة السياسية للمنطقة، وكانت تهدأ بعض الشئ أو تتوقف، وخاصة إبان حكم الإمام سعود بن عبد العزيز(١٢٠٢ ـــ ١٢٢٩)هـ (١٧٨٨ــ١٨١٣)م في عهد الدولة السعودية الأولى، وإبان الفترة الثانية من حكم الإمام فيصل بن تركي (١٢٥٨ــ١٢٨٢)هـ (١٨٤٢ــ ١٨٦٥)م في عهد الدولة السعودية الثانية، عندما خضعت القبائل للسلطة، والنظام.

لكنها تعود إلى ما كانت عليه، فبعد تدمير الدرعية رجعت القبائل إلى سابق عهدها، وكثر الغزو والسلب فيما بينها، وكذلك بعد انتهاء حكم الإمام فيصل بن تركي في الدولة السعودية الثانية. ولما قويت شوكة إمارة آل رشيد في حائل بدعم من الدولة العثمانية، التي أرادت من آل رشيد أن يقاوموا الدعوة الإصلاحية، وأنصارها، كثرت غارات شمّر بقيادتهم على قبائل نجد، وأرادوا إخضاع هذه القبائل بالقوة لسلطانهم، فلم ينجحوا كثيراً في ذلك، فقد هادنتهم بعض القبائل إلى حين. فآل رشيد حالهم كحال القبائل التي يحاربونها، فليس من أهدافهم نشر دعوة إصلاحية أو فرض نظام يقضي على الفوضى الأمنية، وافتقادهم لهذا الهدف النبيل هو سبب اخفاقهم. وهو أيضاً الذي مكن الدولة السعودية في أطوارها الثلاثة من نشر سلطانها عندما تبنته، وهو ضرورة العودة إلى الدين الصحيح، ومحاربة البدع، والخرافات الدينية، واقتناع الناس بهذا. فآل رشيد كانوا يشاركون عامة أهل نجد في ما هم فيه من بدع، وضلال، ويشاركون القبائل في ظاهرة الغزو، والسلب، والنهب.

قال ابن خميس، وذكر قول ابن بليهد عن الأودية التي تصب في التسرير شمال شرق الدوادمي: ((والتسرير نفسه أحسن البلاد لمراعي الإبل... فإن هذا البطن وروافده منتجع

العرب، وميدان تنافسهم، وهو لمن طالت قناته منهم، وملـك القـوة الـتي تزويـه، وتحميـه، كان هو سرة نجد، وكانت القبائل التي تعاقبت عليه في غضـون أربعـة قـرون خمـس قبـائل (بنو لام) و (عنزة) و (مطير) و (قحطان) و (عتيبة) كل واحـدة مـن هـذه القبـائل تزيـح مـن قبلها بالكفاح وأسلات الرمـاح))(١). وبتتبـع الأحـداث التاريخيـة لقبيلـة عتيبـة يتضـح لنـا مشاركتهم في أحداث نجد ابتـداءً مـن العقـد الأول مـن القـرن الثـالث عشـر الهجـري ففـي سنة١٢١٠هـ قاد ابن معيقل صاحب شقراء قوات الدعـوة الإصلاحيـة غازيـاً علـى عتيبـة في عالية نجد شرقي منهل مران، وتكبد الطرفان في هذه المعركة خسائر كبيرة. ثم بعدها بسنتين سنة ١٢١٢هـ أرسل حمود بن ربيعان(٢) إلى الإمام عبـد العزيـز بـن محمـد بـن سـعود وفـداً يبايعه، على السمع والطاعة، وكان ولاء عتيبة قبل ذلك للأشراف حكام الحجـاز، فالشـيخ تركي بن حميد كان معاصراً للشريف محمد بن عبد المعين بن عون، وفيه يقول:

سرنا لينبوع الصخا مكرم الجار   اللـي سعى لرعيته بالصلاحِ

وأقبل لنا بالعلم وأقفى (الدويدار)   وجانا من (الفندي) جواب قراحِ

ثم نزلت عتيبة للربيع في نجد حول الوشـم سـنة ١١٤٦هــ ، ثـم وقـوع معركـة بـين عتيبة، وبين غزو من الفضول من بني لام في النير سنة ١١٤٨هـ. وكانت أول معركة بينهـم، وبين قحطان معركة سناف الطراد بالقرب من الشعراء سنة ١٢٦٩هـ التي كـان النصر فيهـا لعتيبة. وقد استمرت الحرب بعد هذه المعركة أربع سـنوات متواصلـة بـين القبيلتـين، وهـذا معنى بيت مخلد القثامي

والفصل في أربع سنين مسماه   لين أودعت سمو القبائل طنينا

---

[١] - عبد ا لله بن خميس: المجاز بين اليمامة والحجاز ١٠٨

[٢] - توفي حمود بن ربيعان سنة ١٢١٧هـ تاريخ الفاخري أحداث هذه السنة.

ثم اتفق تركي بن حميد، ومحمد بن هادي على الصلح، على أن يـؤدي كـل منهما للآخر ما تأخذه قبيلته، فبقيت عتيبة في نجد، وكانت قبل ذلك ترعى فيه في فصـل الربيع بأمان من ابن هادي ثم تعود إلى الحجاز. واستمرا على ذلك حتى وقعت مشـكلة قعـود زبـن المشهورة، فعادت الحرب من جديد بين القبيلتين، فلما قامت الحرب من جديد قال تركـي قصيدته التي منها:

الشايب اللي ينقل الكبر والـزوم يقرأ الكتاب ولا يهاب المظلـه

جزاه من عندي من الخيل حثلوم مثل البرد من مزنةٍ مستهلة

الحرب شبٌّ وشبها كل شغمـــوم كل أبلج طرد السبايا هوًى له

ثم توالت المعارك بينهم، عدة عقود، كان من نتائجها إزاحة قحطان عن وسط نجد.

من معاركهم المشهورة: معركة البديعة التي يقول فيها تركي ابن حميـد معاتبـاً ابـن ربيعان لأنه لم يحضر المعركة :

يا راكباً اللي بقلهن قد تثنى فـج العضـــود مدمثات المخاصير

الصبح من وادي الرشا ينشرنـا من بيت (أبو خالد) زبون المقاصير

يلفن (أبو تركي) زبون المجنى ريف الهشالى في ليـال المعاسير[1]

الشيخ مثلك مانـزل(شعر) عنّا وأدنى عتيبـة حائل دونه (النير)

إلى قوله:

لكنهم يـوم انجلى السو عنا هـذا طـريح وذاك ذب المعابير

---

[1] ـ عند بعض الرواة: (هو شيخنا لاجـت ليـل المعاسير)، لكـن الحمـدة يقولـون: إن هذا من تحريف الرواة، وهم أدرى بشعرهم.

قال ابن بليهد عندما ذكر الشعاب لتي تصب في وادي الرشا والوقعات التي جرت فيها: منها في القرن الثالث عشر وقعة مجيرة، وحذنة(الحذني) بين ابن هادي، وتركي بن حميد [1] وكثيراً ماكانت قبائل نجد تقف مع ابن هادي في أول الأمر، وفي هذا يقول تركي:

يا سابقي صكت علينا القبائل   الحضر والبدوان راحوا نحية
قوم من الوادي إلى قصر حائل   لاقرب جد ولا بهم مرحمية[2]
إن كان ما نرخي رقاب الأصايل   وإلا غدت بديارنا جاهلية
والحر لاصكت عليه القبايل   يشهر وتأتي له من ا لله فضيّة

من المعارك المشهورة بين هذه القبائل: معركة الحرملية[3] ومناخ عرجاء سنة ١٣١٣هـ اجتمعت فيه مطير وحرب ضد عتيبة، وانسحبت مطير قبل بدء المعركة، فوقعت الهزيمة على حرب. وقد ذكر عاتق البلادي الحربي في كتابه (نسب حرب) أعداد القتلى من الجانبين في هذه المعركة، وأعداد خيل عتيبة، وخيل حرب، وكأنه ينقل من سجلات جيوش منظمة، وقد استغربت هذا الإحصاء الدقيق، وفي ظني أن كثيراً منه رجم بالغيب، وشجاعة حرب معروفة، ليست بحاجة إلى هذه المبالغات. قال: نزلت بنو علي من حرب على عرجاء في ديار عتيبة، ولم تفد فيها مهادنة عتيبة لها، فجمعت عتيبة معظم قبائل برقا، وروق، وكان مع برقا (٦٠٠) فرس، ومع روق (٨٠٠)، وكان مع بني علي (٤٠٠)

---

[1] - محمد بن بليهد: صحيح الأخبار ١ / ١٤٩

[2] - يريد بالوادي: واد الدواسر، والقصر: قصر برزان لابن رشيد في حائل.

[3] - سبق الكلام عن معركة الحرملية عند ذكرنا لقبيلة مطير في هذا الفصل، وقد ذكرنا التفصيلات التي أوردها ابن بليهد، فانظر ذلك في موضعه.

فرس... فقتل من عتيبة(٩٠) فارساً ومن بني على(١٥) فارساً! ثم مناخ الجنيفاء والعويند سنة ١٣١٧هـ بين مطير، وعتيبة، ومن القتلى في هذا المناخ تريحيب بن شري بن بصيص المطيري، وناجي الضرة الدغيلبي من عتيبة. ومناخ الرشاوية سنة ١٣٢٧ سنة، بين عتيبة، وحرب، وفيه شُقَّ بيت محمد بن هندي شيخ عتيبة. وقد غضبت عتيبة لهذا غضباً شديداً، واجتمعوا في حشد عظيم عند ابن هندي، وعرضوا أمامه، وكثرت، عزاوي الفرسان في العرض: ((خيّال العليا عالي ، تفرح بنا إلى ضيعت جيرانها)) عالي الفجري.((خيّال الشرفاء بادي، ترعى بنا الشرفاء ، ويكبر نيها)) بادي بن كامل من المقطة. ثم قام ابن حميد، واعتزى: ((خيّال الرحمن محمد ، خيّال الشرفاء وأنا ابن هندي، كم راعٍ يرعى، وأنا له راعي)). وبينما حشود عتيبة تزداد يوماً بعد يوم جاء إلى ابن هندي وفد من الذويبي، يطلب الصلح، فرأى محمد بن هندي بما أُعْطِيَ من عقل، وحكمة، وبعد نظر أن يوقف إراقة الدماء بين الجانبين، فقبل الصلح . ثم شملت قبائل العرب في نجد كما شملت غيرهم رحمة الله لهم بالتآلف، والتآخي، فأصبحوا إخواناً بعد أن كانوا أعداء، فجمعهم الملك عبد العزيز رحمه الله على كتاب الله العزيز في دولة مباركة و شعب، واحد، فزالت جاهلية العرب الحديثة، كما أزالها قديماً رب العزة، والجلال بجمعهم على الإسلام. وبالقرب من التسرير يقع منهل الدميثي قال ابن بليهد: ((عليه أخذت مغاتير محمد بن هندي بن حميد [شيخ عتيبة، والمغاتير:الإبل العفر] أخذها غزاة يرأسهم [هذال] بن بصيص المطيري، فلحقوهم المقطة جماعة ابن حميد... وحدثني... رجل منهم قال: قد يئسنا من الإبل، فما شعرنا إلا والإبل قد ثار عندها أصوات بنادق هائلة، فجئنا الإبل، وهي بُهَّل على أولادها، وآخذها قد طُرِد عنها، وإذا شمروخ بن حويان العريدي من الروقة، وهم بطن من عتيبة قد جاء، ومعه غزو من قومه، وهو من رماة أهل نجد المشهورين، فوجدناه كسيراً في رجله اليمنى،

وقد وضعها في قلص [القلص: كالدلو] ووضع عروتيه في رقبته، ومعه أربعون رصاصة في حزامه، فوجدنا عنده عشرين فشقة، وهذه العشرون هي التي افتكت الإبل فإنها لم يسقط منها واحدة إلا في رجل أو راحلة، فما شعرنا، ونحن عنده إلا بالرئيس محمد بن هندي بن حميد قد وصل، ومعه مائة، وخمسون خيّالاً. فحيّا كبير الركب شمروخا، وأصحابه، وقال لشمروخ: أبشر بالسلامة من الصواب، فقال لنا: اذهبوا به إلى أهلنا، فقد عزمت على طلبهم لعلّ الله يُحيّرهم حتى أتمكن منهم، فلزم أثرهم وجدّ في طلبهم، ولحقهم، وهم قد أناخوا ركابهم ضيوفاً عند أمير المذنب فهد العقيلي، فطلب ابن حميد منه إمّا أن يخرجهم من بلاده أو يسلِّمهم له، فرفض كلا الطلبين، وهذه عادة متبعة عند أهل نجد إذا جاءهم رجل مطلوب فلهم حمايته من طالبه، وانتهت مسألة الرئيسين ابن حميد وابن بصيص أن اجتمعا على مادبة فهد العقيلي أمير المذنب، وتعشيا جميعاً، وكل ذهب إلى أهله، فلمّا وصل ابن حميد أهله استاذنه شمروخ الصويب في السفر إلى أهله، وقال له: قد بشرتك بالسلامة، فلا يمكنك الذهاب حتى تبرأ، فبقي عندنا خمسين يوماً، والذي ذبحنا له من الغنم مائة خروف كل يوم نذبح له خروفين، ثم رحل إلى أهله ليس به أثر))[1]. قال ابن بليهد: ((حدثني أمير الشعراء عبد الله بن مسعود رحمه الله قال: أخصبت هذه البلاد (الشعراء) فترامت لها الأعراب من كل ناحية لأجل الكلأ، والماء... وخرجت يوماً من الأيام إلى مجلسنا، فوجدت (ضيف الله بن عميرة [من فرسان الروقة]، وخزام المهري، وهو من فرسان برقا المشهورين، فقلت لهما: (نبغي نقهويكم) فلبوا الدعوة، فلما دخلا في مجلسي قال خزام لضيف الله تفضل في هذا المجلس، وهو أحسن موضع في... المجلس، ولكنه ترك المجلس لخزام، وقال: إني مفضلة لك، فجلس خزام في رأس (الوجار)، وجلس ضيف الله

---

[1] - محمد بن بليهد: صحيح الأخبار: ٥/ ٢٤٢ ـ ٢٤٣

في أسفله، وكلا المجلسين لا بأس بهما، فلما استقر بهما المكان التفت خزام لضيف الله، وقال له: لاتمنَّ عليَّ بهذا المجلس، فإني أطيب منك، فقال ضيف الله تكذب فإني أطيب منك، ولج الجدال بينهما، فالتفت إليَّ ضيف الله، وقال: نرضَى حكم هذا الحضري، فقلت له: إذا رضي خزام حكمت بينكما، فقال خزام: إني راضٍ بحكمك، فقلت لهما: كلاكما عندي سواء، فقال خزام أحفت في حكمك ياحضري، فأنا رجل محادٌني قحطان حينما أرى عسام الخيل ما أعلم إلا برماحهم قد وصلتني، وأنت (احدداك) حرب إذا فزعوا اعترضهم الرئيس، وقال لهم: ارجعوا ياحرب، رجل يقتل منكم يعدل الإبل المأخوذة، فيرجعون. فما شعرنا، وهما في الجدال إلا والباب يطرق، فقمت فرأيت الرجل الذي يطرق الباب، فعرفته، والتفت إليهما، وقلتُ لهما هذا خالد بن حميد هل نفتح له؟ فقالوا حباً وكرامة، فلما طلع علينا في المجلس، قاموا إكراماً له وأجلسه خزام في مجلسه، وقلتُ له احكم بين هذين الرجلين، وعرفته بقصتهما، وقلتُ له: إنني حكمت بينهما، فلم يرضَ خزام، وقال: لي إن رضيا بحكمي حكمت بينهما، فقالا: رضينا حكمك، فقال لهما: أنت يا ضيف الله إذا كانت الجمعة الغزو تبلغ ألف ذلول، والخيل تبلغ خمسمائة، وجاك (السبر) وقال: إني رأيت الإبل، وكنتم تحكمون الجمعة، فلو يأتي الدغالبة، ويكونون رجلاً واحداً، وخزام معهم لم يسدوا طريقك! وأما خزام إذا ركبت الخيل أحمر الحزم، وهرب الأول، وترك التالي، ولايلتفت الأخ لأخيه، فلو اجتمعت ذوو عطية، ومعهم ضيف الله، وكانوا رجلاً واحداً لم يسدوا ما سده خزام! فرضي الاثنان بهذا الحكم، وصار المجلس أنساً، وضحك بعد الغضب)).

قالت العاتي بنت شليويح العطاوي ترثي زوجها ضيف الله بن عميرة، موجهة الخطاب إلى أخيه عقاب[1]:

والله إنه خارفٍ قلبي عشيري	مثلما تخرف عذوق المقفزية
يا (عقاب) الخيل بعده ماتغيرِ	ماش يومٍ مثل يوم العرفجية
والله إني ما استمع هرج المشيرِ	من جذب قلبي قطن عنّي ضرية
شوف عيني يوم ينقاد النشيرِ	يوم جلّ الخيل من فوق العبية
لآعتزى بالصوت ثم ولّوا فريرِ	من تعرّض له ورد حوض المنية

وأخبرني رجال من قومنا عن معركة يسمونها صباح المحايا، والمحايا من النفعة من عتيبة، وقعت هذه المعركة بينهم، وبين مطير في أول القرن الرابع عشر الهجري، قالوا عن من حضر المعركة منهم: كنا حالين في طرف وادي الرشا غرب جبل ثهلان، فلما أمسينا جاءنا رجل، وقال: رقيت جبل شطبة عصراً، فرأيتُ غباراً كثيفاً على عبلة المستجدة شمالاً، وأظنه غبار جيش غازٍ، فخذوا حذركم، فاجتمع القوم، وتشاوروا، فقال بعضنا نخبر من حولنا من عتيبة، وكان أقربهم عرب من المساعيد من النفعة على ماء دلعة، وعرب من الشيابين فيهم هذال ابن فهيد على ماء الرفايع من فوق بلدة الشعراء، وكانت الغارات على أشدها بين القبائل، وأكثر ما نخشاه محمد بن رشيد أمير حائل الذي أرعب القبائل بغارته[2]. فأمسينا متأهبين، وعقّلنا الإبل، فلما قرب الفجر سمعنا صهيل الخيل، وجلبة

[1] – عبد الله بن رداس: شاعرات من البادية ص ٣٠١

[2] – عرفت مطير خشية الناس من ابن رشيد، فقيل: إنهم تنادوا في أول المعركة، :البل يا السناعيس! ليخوفوا المدافعين.

الجيش ترج الأرض من تحتنا رجاً، فصاح الصائح، وأرسلنا أحدنا(١) على فرس سابق ليخبر مَن حولنا، لكنه اصتدم بالغزاة، فردته الخيل المغيرة على ربعه. وكان مليل بن لاحم المحياني من أرمى الناس بالبندقية، فكل رمية يرميها لاتسقط إلا في فارس أو فرس، حتى رآه رامٍ مشهور من مطير هو سعيد العفاسي، فرماه، فقتله، وأخذ بندقيته، وكانت خيل مطير تهجم على الإبل، فيصدها الرماة، فإذا أقفت لحقتها خيلنا حتى إذا أبعدوها رجعت خيلنا، وخيلهم وراءها، فلما مضى أول النهار، والقوم بين كرٍّ، وفر انطلقت الإبل غير المعقلة هاربة عن الرمي، والخيل في فتبعتها خيل مطير كل قسم يحف به خيل، وجيش، فلحق زيد بن عويض الوبيض المحياني على فرس لمطير كسبها في ذلك اليوم، فرأى خيّالاً ينفرد بقسم من الإبل، فلحقه، فلما اقترب منه قال أخشرني في الكسب، ليوهمه أنه من مطير، فالتفت، فلما رأى الفرس عرفها، و لم يعرف الرجل، وظنه من مطير فقال: لا والله هذه إبلي، وإبل عتيبة وراءك اخذ منها، قال زيد،وقد اقترب منه: والله إنها إبلي قبل أن تصير إبلك! فرماه بالشلفا، فطرحه أرضاً، وأراد أن يجهز عليه، فقال له: اتركني على مابيَ، وخذ ما تريد، فسلبه سلاحه، وفرسه، وارتدّ الإبل، وقال له: ارقَ الجبل، وانجُ بنفسك، فرقى الجبل حتى أمساه الليل، فنزل متخفياً، وذهب لأهل بلدة الشعراء، واستجار بهم. وقالوا: اشترك في هذه المعركة من أمراء مطير الدويش، وابن بصيص، والسور، وفي هذه المعركة يقول مدرهم أبو كتيفة المحياني:

يا علي ما حضرت يوماً حضرناه	في الصواعق والسهوم أمطرني
جونا مطير وشولنا ما حلبناه	الصبح فاهق و النجوم أكهفني

---

١ - صاحب الفرس هو بجاد بن عبيد الحصني.

على ثلاث مية وتسعين مطفـاة	غير الموارت عدُهن يفرقني [1]
يـا كثـر دمٍ عندهنَّـه نثرنـاه	يوم العشائر واللقاح أرزمـنِي
تسعة من المطران اللي ذبحنـاه	غيرالصويب اللي لحقتهم يونِـي
وعشرين من خيل مطير اللي قلعنـاه	شـئ ذبيـح و شئ معنا يعنِي
يوم أن أبو ساير تثنّى نصرنــــاه	ومن مات عند إحلالنا ماشحني [2]

وقد قتل عدد من الرجال من الطرفين. وأخذت مطير بعض الإبل، منها إبل للعوهلـي من أهل القصيم، كانت مودعة مع مدرهم أبو كتيفة المحياني، فاستصحب مدرهم أبو كتيفة العوهلي إلى مطير، فاستردّ إبله.

ومن أخبار هذه المعركة ما أخبرني به نافل بن مناحي الوبيـض المحيـاني عـن والـده قال: حجّ بعض المحايا سنة حج الرمي (١٣٤٤)هـ،وقد عمّ الأمن ديارهم عندما أسس الملـك عبد العزيز الدولة السعودية الحديثة، واختفت ظاهرة الغزو القبلي. فوردوا على ماء الحنـابج شمالي النير في طريقهم إلى مكة، فصادفوا حجاجاً من مطير في هذا المكـان، فقـالوا لهـم: يـا عتيبة نحن لانعرف الطريق، ولا نعرف المناسك، ولم يسـبق أن حـج منـا أحـد، فاصحبونـا معكم، فساروا جميعاً ينزلون، ويرحلون في وقت واحد، وإذا نزلوا زار بعضهم بعضاً، فعـرف حجاج مطير كبير المحايا مدرهم أبو كتيفة، وأ خذوا يدعونه باسمه، ويكرمونه، فسألهم عن كبيرهم، فأخبروه باسمه، وذا هو سعيد العفاسي ، فتذكـر مدرهـم المعركـة السـابقة، وقـال: أنت الذي قتلت أبا ساير، وذكر المعركة، فحاول أن ينكر خشي من عاقبة الاعـتراف، ولـما لم يجد سبيلاً للانكار كشف الثوب عن صدره، ورقبته، وقال هذه طعنة حماص المحيـاني،

---

[1] - مطغاة: يعني بها الخيل المرباة المنيفة. الموارت: نوع من البنادق.

[2] - أبو ساير: هو هليل بن لاحم المحياني. ماشحني: ما ندمت عليه،

فإذا جرح عميق قد اندمل، وقال: واللهِ لقد أصابنا بكذا، وكذا طعنة كلها جوائح، ولو كان على فرس أصيل لقتل أكثرنا، ولكن فرسه ضعيفة. ثم قال: وذاك الولد الذي يعتزي ((بخيال العرفاء بجاد)) الذي كان على فرس يَلحق، ولايُلحق ولكنه شاب لايحسن الطعن، وأظنه لم يدخل معركة قبل تلك المعركة قد أصابنا بكذا وكذا طعنة. فقال مدرهم: نعم هذه أول معركة يدخلها، وكان صغير السن. وكان الفرسان يحفظون أسماء نظرائهم خلال المعركة، لأن الفارس إذا هجم على خصمه اعتزى، وذكر اسمه.

حملات ابن رشيد على القبائل

أما محمد بن عبد الله بن رشيد الذي تولى إمارة حائل خلال الفترة (١٢٨٨هـ-١٣١٥هـ) (١٨٧١-١٧٩٧)م فقد ثقلت وطأته على القبائل، حتى هادنته، وانضمّ بعضها إليه، وقد ألقى بثقله على قبيلة عتيبة حتى قيل أنه شنّ على هذه القبيلة أربعين مباحاً[1]، فلم يتمكن من إخضاعها، وله موقف مع محمد بن هندي شيخ عتيبة سيرد إن شاء الله في ترجمة ابن هندي.

قال ابن خميس عن موقعة الرُّحَا بالقرب من المويه: ((ولتضاعيفها وتداخلها يلجأ إليها العرب عند الخوف، وقد لجأ إليها الأمير محمد بن هندي بن حميد الفارس الشهير، والشيخ بعيد الصيت، لجأ إليها بمن معه من المقطة عشيرته الأدنين حينما أحس بوجود محمد بن رشيد أمير حائل حوله. ولكن هذا اقتحمها على ابن حُميد، وكان يوما مشهودا أبلى فيه ابن حميد بلاء حسناً دون محارمه وذراريه وأمواله، فنجا بإبله، وبأهله. أمّا بقية قومه فقد غلبته عليهم الكثرة، وقيل: إنه ذلك اليوم أخلى سروج خمس وثلاثين جواداً من أهلها، وذهب بها كسباً، وكل مَن قابله من قومه، وطلبه أعطاه واحدة حتى فرقها كلها مما جعل شاعر عتيبة زبن بن عمير البَرّاق يقول في ذلك:

أبا العطايا قد عطا من نهاره ... خمس وثلاثين معنونه ظهاير

قلعه نهار الكون في رقة الرحا ... مِن بين عكفان السيوف الطراير

ما ونهن اللي حَطْ فيها مثان ... ولا قال فيها: لي رجا فلو ناير

---

[1] - أورد هذا أبو عبد الرحمن عن ابن خميس: تاريخ نجد في عصور العامية ٣ /٢٠٩

ومن وقائع ابن رشيد مع عتيبة صباحه عليهم في أسفل نفي، ويوم عريويات، ويوم حمرور، وفيه قتلت عتيبة الفارس الشهير نعيس بن طوالة. ويوم عروى سنة ١٣٠٠هـ، الذي يقول فيه حمود بن عبيد الرشيد:

ياليل سلم لي على الشيخ راكان سلّم على زيزوم يام وأميره

اليوم صاروا بالعرب تقل جيران ومن وين ماوجه تقفوا نشيره

إن كان ابن هندي نوانا ببرزان حنا على عروى قصرنا مسيره

يوم حضر شره ليل و فاران كون على عروَى تقطع غثيره

وأذكر لهم بالكون طيحة غزالان ثلاث مرات بوجه المغيرة

جينا على وضح النقا عقب الأذان مستجنبين كل قبا ظهيرة

حصان الضيط اللي يسمى صنيتان صيت بلا جري ووصوفه شهيرة

إن جاك بالعرضة إليا تقل ديقان يفزع بسيفٍ سلة من جفيرة

السابق اللي عندكم يا أبو سلطان لها بوجهك شامة مستديرة

وفي القصيدة تعريض بالعجمان، وتهديد لهم مدعياً أنهم يساندون عتيبة، وفيها تهكم من حصان الضيط أمير العضيان، وادعاء أيضاً بأن عتيبة أخذوا منهم فرساً سابقاً بغير قتال، وهي التي يعنيها في البيت الأخير، وأبو سلطان هو محمد بن هندي. وفي يوم عروى قَتَلَ ابنُ هندي الصطامي الذي شرب فنجاله، وعندما أوشكت عتيبة على النصر، وجاء مدد لابن رشيد من أهل القصيم بقيادة حسن المهنا، وفي هذا اليوم يقول ضيف الله العفار يجيب حمود الرشيد أبا ماجد:

يا حمود كانك قاعد وسط برزان لا بان لك فعل ولا لك عشيره

إلى بغيت الشيخ يوقفك سبهــان تاقف لما أن العلم يرجع لأمــيره

لولا أن حسن نوخ بذربين الأيمان راحت عليكم يا أبو ماجد كســيره

أولاد على مطوعة كل فسـقــان عاداتهم هـدّ الجموع الظهـــيره

ياحمود لابقنا ولا أنا بسرقـان السرق في حكمك عسَى ا لله يديـره

الـذم ما يهفي للأجواد ميـزان والمــدح ما يرفع يدين قصيره

السابق اللي قلت عند أبو سلطان مع تسعة آلاف علينا مـغـيـره

حنا خذينا الخيل قلع بالأرسان أصايل في نجد حتى الجـزيـره

وابن سعود اللي يسـمَى غـزالان يلوب تال الخيل مثل الســعيـره

ويجيب راكان بن حثلين شيخ العجمان حموداً أيضاً بقصيدة منها:

يا راكبـا مــن عندنا فـوق شقران خرزها بالخرج فــوق النحيرة

أوصــل سلامي لخو نورة بـبرزان وعقب السلام نخبره بالسريرة

من بــاب بــرزان إلى باب نجران ماهوب أنا يا الضيغمي أنت أميرة

علــم لفانـــا فيـــه ليل وفاران استرّ قلبـي يوم جانا بشيرة

جا من حمود شوق ميّاح الأردان هو شوق مَن تزهَى الشقايق نظيرة

عضيده أخوه بصادق الفعل ولسان ودبوس راس اللي دُوَابه مسيرة

فــرز الوغا لاجا ثقيلات الأكوان لاسلّ مصقول السنا من جفيرة

خبّرتني يا حمود عن طير حوران يوم على عروَى تقطع غثيرة

هلــت مخاييلــه بـدرج وسبهان مـا ينتميز وردها من صديره

تذكر محمد جامــع نـجع عتبان ذخيرة يا وي وا لله ذخـيـرة

الأمر قـدّره الـولي عالي الشان　　　وإلا عتيبـة ما عليهم قصـيرة

كرمان وإن ركبوا على الخيل فرسـان　　　إليا اجتمع عج الرمك بالمغيرة

وحنـــا بديرتنـا ولاحـن بجيران　　　في شاية اللي ما يوازي جويره

حاميـــن ديرتنـــابخيـل وفرسان　　　يوم أن كل له حـــدود وديـــرة

من زان حنـا له على الزين خلان　　　وضراً ليا حرك تزايد سعيرة

الإحسان يا ابن عبيد يجزَى بالإحسان　　　والشـر تنطحه الوجيه الشريره

ما قــلّ دلّ وزبـدة الهرج نيشـان　　　والهـرج يكفي صامله عن كثيره

وقد قال ابن بليهد عن عروَى: أنها دايماً يقـترن ذكرهـا في الشعر بموضع آخر هو القَهْر، الذي يؤخذ منه ملح البارود، وذكر شواهد من الشعر منها: قول مزاحم العقيلي:

أليست جبالُ القَهْرِ قعساً مكانها　　　وعرْوَى وأجبال الوِحافِ كما هيا

وقول مخلد القثامي العتيبي:

يا لايمي يضرب على حَدِّ الأبهر　　　يأخذ إلى حوله صوابه مجيـفي

بمثومنٍ حاديه خفان واعشـر　　　وملح القَهَرْ وابواردي ظريف

ثم قال: ((وعروى: منقطعة من عرض ابني شمام غربـاً، قريبـاً منـه، وهـو وادٍ عظيم كثير المياه، جاهلي استنبطه قوم من المقطة، والنفعة، يرأسهم ابن حميد المقاطي، وهي اليوم بلد بها نخيل، وزروع وعليها جبل مطل على بطن هذا الوادي شاهق إلى السـماء، يقال له ((عروان)) يتصل به في جهته جبيلات صغار يقال لها ((عريويات))، ويشمل تلك الناحية واديها وجبالها اسم عروى... وهو اسم قديم جـاهلي... في بـلاد بـني كـلاب بـن عامر بن صعصعة، قال حديج بن العوجاء النصري:

بملمومَةٍ عَمْياءَ لو قَذَفُوا بها   شَمَاريخَ من عَرْوَى إذن عادَ صَفْصَفا))

ومن أيام ابن رشيد مع عتيبة يوم نطاق على الحفاة خاصة، لأن ابن رشيد كان بارعاً في المباغته، فمع أنه يملك قوات تفوق قوات القبائل المغزوة كان يسير ليلا، ويختفي نهاراً حتى يباغت العدو، قبل أن يعلم به فلا يمكن لأحد أن يجمع قوات عند حصول المباغته، وفي يوم نطاق يقول سعود بن لفاي الحافي الملقب باليابس من قصيدة له تعد من القصائد المنصفات يصف فيها فعل الطرفين دون تحيز، ويبين أطوار المعركة بين كرٍ وفر، ثم يرثي القتلى من جماعته:

أول كلامي طلبة الله وذكــــره	ذكرت ربي كل بادي نـور
يقول ابن حافي بدا راس مرقـــب	في مرقب عالي بروس القور
يرد من زين المثايل وينتــــقي	مثل العسل حلو بدون امـرور
كلام أحلى من لبن شمخ الــــذرا	لاروحت من حاجر ممطور
خيَّل خيال وأمطر الوبل فوقنــــا	وغشانا من الدم الحمر شختور
وبرقه من أيمان النشامى سيوفهم	ورعده من أفواه السلاح يثور
قبلي خشم انطاق لا طقه الحيـــا	شمال من العد الهماج احدور
طاحوا به الفرسان منّا ومنهـــم	وردوا هل العاده على الصابور
نطحنا العدا من يوم جتناجموعهم	على سردهم والبيرق المنشور
وسقيناهم السم الذحاح وسقونـا	مثـل نمور صادمـت لنمور
وابن لغيصم طاح منا على الثـــرا	ونحدهم عن ما لنا بحدور
يا ذيب يا اللي بأيمن النير وأيسره	كل من مداس الخيل يا معثور

وكل من الصبيان والجيش والرمك وإلى ضميت اشرب من النجور

تلقا على الساقة حصان ومهره وتلقى عيالاً لابسين اكمور

وصوّت لذيب يم حشة ملية وخلوا لغياب السباع جزور

كم صاح عقب الكون من زينة الحلا حناها طناها حنية الباكور

من أولاد حافي لابتي ذي فعولهم أهل ماقف يوم اللقا مشهور

كروا علينا ثم رجعنا عليهم وأقفت بهم جرد المهار اعبور

وردوا علينا وردة في عزيمة وهج الحلال وزرفل المظهور

وأحاطوا بنا قوم تهاذب خيولهم ولجة حداويهم على الأمور

ورمينا العمايم واعتزينابحافي وثبت لهم كل أبلج منعور

وطاحن جياد الخيل من ضرب لابتي والدم الأشقر بيننا منثور

وحموا جريرتنا عيال بفعلهم وعيًّا على التالين ابن صمعور

وافتكت اللقوة بكثر الرزايا وكل خذا حقه من الميسور

جنايز الضفران من حافي وشمّر أمسَى بها سبع الخلا مسرور

وأربعي اللي كل ما قلت أظنهم لا كن يهدم بالبلاد اقصور

أهل مرحبا وإن جت ليالي الشدائد وأهل الكرم وإن جت ليال عسور

يا حيسفا يا ريف هجن حفايا يوم الردى عن خاطره مثبور

أيضا وابن هزاع وعميش قبلهم وحزام شوق الجادل الغندور

وجدي عليهم وجد من بات ساهر ولقوا عليه ا لطيبين اعثور

والوجد الآخر وجد راعي هجمة خذها الذويبي من طرف مجرور

واستغفر الله قبل تكتب عليه في كل عمري ما ذكرت الزور

تمت وصلّى الله على صفوة الملا اعداد ما يزهى الفلا بزهور

ذكر أبو عبد الرحمن عن الأستاذ عبد العزيز الحارثي قال: ((غزا الشيخ مقبول بن ربيس شيخ الشلاوى قبيلة الخراريص من عتيبة، ثم أطلق الأسرى. وعاودالكرة مرة ثانية، ودخل عتيبة ففاجأة القوم ليلاً، فأخذوه أسيراً، وأكرموه، فقال بخيت بن ماعز هذه القصيدة يبدي سروره بأسر مقبول. ثم ذكر أن مقبولاً بعد إطلاقهم له غزاهم في أبرق الجلبة... قال بخيت:

الحمد لله ساع نومي هنانا يوم اقتضينا في قطيع الخراريس[1]

ونهاض خلى طايح في نحانا ومقبول عند الصبح يتلي المناقيس

وتطلقن دميهم من يدانا من فوق قبٍ كنهن القرانيس

أربع ليال مخيم فوق مانا بأهل الحجاز منقلين المهاريس

يشب ناره عندنا ما جزانا يا عنك يا شبابها ما معه قيس

وخربت على اللي يذبحون السمانا حماسة البن الخضر في المحاميس))[2]

فأجابه الشيخ مقبول بقصيدته التالية [3]:

جانا من الروقي جواب هجانا بخيت مروي مرهفات العبابيس

---

[1] - الخراريص: واحدهم خراصي من الروقة من عتيبة، وقد جاءت بالسين في القصيدة تبعاً للقافية.

[2] - أبو عبد الرحمن بن عقيل الظاهري: تاريخ نجد في عصور العامية ٤/ ٢٣٢ – ٢٣٣

[3] - محمد العصيمي: شعراء عتيبة ١/ ٤٤

من لابةٍ يروون حدّ السنانا إليا التقت خيل وخيل كراديس

إليا أقبلوا يرخون حبل العنانا وإليا أسندوا ما يبعدون المراويس

فرح بهيةٍ ساعة من زمانا والفيد منها خمس هجنٍ حراسيس

وشنت خابر يوم ذاك المكانا يوم أنت عوذت الشياطين وإبليس

وشنت خابر يوم ذاك المكانا يمّ الخضارة والحيود المراويس

يوم أنت فارقت الضعن والمبانا وحم الشعاف ولابسات المراميس

الصادرة ما جاك منها الحنانا والواردة نعجل عليها المراميس

نتلكم تـــل الرسن للحصانا اللي مساميره ببيضه غواطيس

ودموع أخو سكرى سواةالغشانا صابر على مابه من الغبن ومكيس

لابد من كدرى تجي مع بيانا طرافها تعطي الغبا والطعاميس

ولو نحسب اللي فيكم أول وثانا ما يحسبه غير القلم والقراطيس

كان شباب بن حجنة، وأخوه شبيب، نازلين على الحفاير في عالية نجد، ومعهم بعض قومهم النفعة، (فمدوا) وديان سبيع، فعلمت بنو عوف من حرب، وجيرانهم من بني عزيز من مطير بأنهم تركوا إبلهم وليس عندها من يحميها، فأغاروا عليها، فاستاقوها كلها، ورجع الرعيان إلى أهلهم، يخبرونهم بالأمر، فانطلقت بنت من النفعة إلى أقرب من حولهم من عتيبة، وهم فريق من المراشدة نازلين على الطفية قرب ظلم. فلما اقتربت من البيوت رآها القوم، وكانوا قد قاموا لصلاة الظهر، فانتظروا حتى جاءتهم، فأخبرتهم، فأدوا الصلاة على عجل ثم ركبوا خيلهم، ولحقوا الغزاة، فدارت بينهم معركة عنيفة، وانتهت برد

الإبل. فقال سيف بن ماضي الحكرة من الفهارين من المراشدة من عتيبة قصيدة بهذه المناسبة، يقول فيها:

هاضني قبل أمس يوم أذن نصيب قال … جاكم صايحٍ ستر راسه في عصاه

ثم توضينا من الما على جال القليب … وقوّم المذن وعجلنا الصلاة

يوم جتنا لاهي بنت ما قد جات بصيب … كن حب انهودها جمر الغضاة

قلنا ويش العلم يابنت والتبريج عيب … قالت العلم الطرش يا عيال أقفي علاه

يوم جانا صايح البل وحنا نستصيب … قصدنا قل الجماعة وكثر اللي وراه

وا لله إنك تزهم الرجل باسمه مايجيب … مغلقٍ درب النفس زرمة مثل الحصاة

ثم ركبنا للمعارك عجلات الهذيب … كل واحدةٍ كاملٍ قرحها أو هي فتاة

زادهن الدر والبر وعمور الرطيب … لين راحت وحدتهن كنها وصف المهاة

سبعة والكل منا على مثل القضيب … طالعٍ من كف صقّارٍ يطرد له قطاة

جعل ذرعانٍ لحقنا عليها ما تعيب يوم … ياطنٌ الدعث كنهن ياطن صفاة

يوم جيناهم ليا شيخهم رايه غضيب … مير خلينا الرمك بالحذى تطا علاه

يوم قسّمهم صليبين جيناهم صليب … يبا خيبة رجانا مير خيَّبنا رجاه

مادرى أنا في الملاقى عمى عين الحريب … كل معلوق ننوشه نجذه من عراه

كم صبي راحت أضلاعه حطيب … ماتثور المارت إلا إليا لمست قفاه

لين راح نطلان الجنائز مثل الخشيب … كأنها نطل الخشب في برح أرضٍ فلاه

ياذيابة كشب والخال وذياب الجريب … انحرن هكران ترى الولايش في بداه

ثم عد الضلع ياذيب وازعج صوت صليب … لين كلما في ظلم من ضبعة توحي العواه

أحمد ا لله يوم صار الفرج منا قريب | ثم لطمنا عيون العناتيس الطفاة
ياهبيل القلب حنا كفاية من يغيب | دون وبرات العشاير كل منا فداه
حشمة اللي في الوقوت يسقينا الحليب | يوم قل الزاد مشروبنا تحت الرغاه
يا عدايلنا المقيمة إليا بار الصحيب | يوم كل صويحبٍ خيَّب من نصاه
الردي يا البيض لايؤخذ إن جا خطيب | اتركن راس المهبا وجوزن من نماه
لو قضى الحاجات خاسر ماله نصيب | حيث فرخ القنبرة ما ينومس من غذاه
يا وجيه الخير من يقبل الرخمة نسيب | كيف يرضى بارد العزم فحلاً في نساه

شباب بن حجنة، وأخوه شبيب من أشهر أمراء النفعة، وقد عرفا بالشجاعة الفائقة، والشدة في الحروب التي كانت مستعرة بين القبائل في عصرهما. وقد عرفا، بالكرم، وإهداء الخيل أيضاً، وقد مدح بخيت بن ماعز شباباً كما سيأتي.

وقد غزا شباب بن حجنة النفيعي، وبخيت بن ماعز العطاوي، فحافا إبلاً لقوم، ثم اختلفا عند تقسيمها، وقال كل منهم أنا حفت الإبل، وأنا أحق بها، ثم تحاكما إلى العوارف، الذين كانوا يفرضون الحقوق بين المتاخصمين، وكان عارفتهم الذي حكم بينهما هو ابن ثعلي عارفة الروقة، فحكم بالإبل لشباب، فقال بخيت في هذه المناسبة:

يا لايمي جعل يعاشيك شباب | يقفي على كسبك ظلوم جهومي
إن صحت صاح وضاعن فيه الأطباب | وقام يتميز مثل فئ الغيومي

ويبدو أن هذه الحادثة لم تغير ما بين الفارسين من صداقة، فنجد بخيتاً بعدها يزور شباباً، ويستعطيه فرساً، فيخيره شباب في فرسيه، فيختار بخيت إحداهما، ثم يمدحه بخيت بقصيدة منها:

وقال لي دونك كروش وربدا عطيةٍ من خاطـرٍ نصحانـــي

أنا أشهد أنه فايتٍ في جيله كما يفوت في الأمة السلطاني

شوفي بعيني وا لله اللي مرقــب وا لله على هرج الزلل يقفاني

إنـــه يكف الخيل كف رعية كف الهمل الوارد العطشاني

منها المسمى في خشوم ذريرة خلوه طايحٍ بادهم العيداني

تركي بن حميد

هو تركي بن صنهات بن حمد بن حميد شيخ عتيبــة في عصره، وهـو فـارس شـاعر، اشتهر بالفروسية، والشجاعة، والكرم، وسار شعره مع النـاس في نجـد، وخارجهـا، وكـان على قدر كبير من الأخــلاق الفاضلــة، والتديـن، وأخبـاره، وشـعره منتشـرة في كتـب الأدب العامي، وفي كتب التاريخ الحديـث، ومـع الـرواة الشـعبيين، وقـد جمـع العلامـة أبـو عبـد الرحمن أهم أخباره، وشعره (١)، وهو أوفى مَن كتب عنه

وتركي ابـن عـم الزعيـم الفـارس الداهيـة المحبـوب محمـد بـن هنـدي بـن حمـد بـن حميد)).لم يعرف تأريخ ميلاد تركي كغيره ممن عاشوا في عصـره، فـإن المؤرخـين لايذكـرون تأريخ الميلاد بل يقتصرون على تأريخ الوفاة للنابهين، والزعماء، فذكر الفاخري وابن عيسـى أنه توفي في سنة ١٢٨٠هـ (٢)، وقال أبو عبد الرحمن : ((تـوفي مقتـولاً في وادي الجريـب في حرب بينه، وبين مطير، قتله مبلش بن جبرين... في سناف أشقر يسمى أشقر تركي، شمال شرقي من قرية مسكة، تحول بينه، وبين مســكة حسـة سـوداء، تسـمى السـحر، في طـرف السناف من شمال.

وقد أغار تركي على الجبـارين مـن مطير في هـذا المكـان، فـأصيب في سـاقه، فسـقط كسيراً، وبعدها أغار عقاب بن شبنان (٣) على الجبارين، مطالباً بثأر تركي، فقتل مبلش بن جبرين قاتل تركي، وقتل الللعبي الشاعر)) (٤) وقال ابن بليهد: ((قتله الشـريْف أحـد بـني

---

[١] ـ أبو عبد الرحمن بن عقيل: تاريخ نجد في عصور العامية ١/ ١١٥ ـ ١٩٤

[٢] ـ د/ عبد ا لله الشبل: تحقيق تأريخ الفاخري (الأخبار النجدية) أحداث سنة ١٢٨٠هـ وابـن عيسى: عقد الدرر في حوادث ١٢٨٠ هـ.

[٣] ـ هو عقاب بن شبنان بن حمد بن حميد، تولى الزعامة بعـد تركـي، وبعـده تولاهـا محمـد بـن هندي.

[٤] ـ أبو عبد الرحمن بن عقيل: تاريخ نجد في عصور العامية ١/ ١٢١

عبد الله)) (١)، وهذا خلاف قول أبي عبد الرحمن، وقول رواة الحمدة: إن الصحيح رواية ابن بليهد، ويقولون: إنه لم يجهز عليه في المعركة كما ذكر أبو عبد الرحمن، بل حُمِلَ إلى أهله، حتى شمّ عليه جرحه، فمات. وقد ذكر أبو عبد الرحمن شاهداً من الشعر هو قول تني (أبو عبية) من المقطة:

ذبّاح أخو شرعا لك ا لله ذبحناه   داجن عليه معسكرات المسامير

موجاة أخذناها ومبلش ذبحناه   والملعبي عيد البكار المغاتير

وإذا كان تركي قُتل، وهو قوي يخوض المعارك، فمن الواضح أن عمره لم يبلغ سن الشيخوخة، فهو من الخمسين إلى الستين، فيكون مولده في العقد الثاني أو الثالث من القرن الثالث عشر الهجري. قال أبو عبد الرحمن: ((من المعارك التي خاضتها عتيبة بزعامة تركي بن حميد معركة وقعت سنة ١٢٦٩هـ، ضد محمد بن هادي بن قرملة، وجماعته، وكان النصر لعتيبة، بوادي الشعراء)). وروى عن ابن بليهد أن ((في ذلك الموضع سناف يُسمَى اليوم سناف الطراد لعظم تطارد الخيل فيه، ولم يُسمَ بهذا الاسم إلا بعد تلك المعركة))(٢)، وقد كنت أحفظ كثيراً من الشعر العامي، وخاصة شعر تركي منذ الصغر، وأسمعه من الرواة، ولكني انقطعت عن تذوق الشعرالعامي منذ فترة طويلة، بعد اطلاعي على الأدب العربي الفصيح، فنسيت أكثره، فلمّا اضطررت إلى الرجوع إليه، وجدت شيخنا أبا عبد الرحمن، قد جمع أهم نصوصه، وشرحها، ولهذا سأورد ما قاله عن شعر تركي ثم أروي عنه بعض قصائده. مع بعض التصحيحات التي استفدتها من أقارب تركي أنفسهم.

---

[١] - محمد بن بليهد: صحيح الأخبار ٢ / ٧٩

[٢] - أبو عبد الرحمن بن عقيل: تاريخ نجد في عصور العامية ١/ ١٢٣

قال أبو عبد الرحمن: ((لتركي ديوان مخطوط ، جمعه الأستاذ محمد العمري، وقد آل الآن إلى قسم المخطوطات بجامعة الرياض(١)). وذكر محمد حسني العامري شيئاً من شعره في كتابه (نزهة الألباب)، وكل ماطبع من شعره بذلك فهو نتف إلى أن صدر كتاب من آدابنا الشعبية للشيخ منديل الفهيد، فهو أوعب من ذكر شعره، وقد أورد الأستاذ عبد الله بن رداس خمسة أبيات من القصيدة التي مطلعها:

ا لله لايسقي نهار ورى تين   يوم غدينا يا شجيع به أقطاع

وقال: إنها في إحدى معاركه مع قحطان، وبعض الرواة ينسبها لأحد الأشراف. قال أبو عبد الرحمن: بل هي قصيدة طويلة للشريف راجح بن عمرو الشنبري، قالها سنة ١٢١٢هـ، وتركي بن حميد لايزال طفلاً [وربما لم يولد] بمناسبة غارة الشريف غالب بن ساعد على قحطان، والدواسر، وبعض الحاضرة على القنصلية، وشيخ قحطان هادي بن قرملة، وشيخ الدواسر ربيع بن زيد أورد ذلك ابن بسام في تحفة المشتاق. وأورد الشيخ منديل القصيدة التي مطلعها:

ياونتي ونيت وأقبلت وأقفيت   ونويت أبين للعرب ما طرَى لي

وقال أبو محمد: منديل: وقيل إنها لابنه ضيف ا لله العفار، لأنه يسند على خاله محمد بن هندي. قال أبو عبد الرحمن: هذا هو الصحيح إن شاء ا لله، وتركي شاعر مقل لم يكثر من الشعر(٢) ويتخذه له حرفة، لأن هذا لايليق بالزعماء، والفرسان، كما أنه لم يضيع ابتسامات الشعر، وتجلياته في مناسبات معينة يستجيب فيها لطبعه، لاسيّما أن مساهمات الفارس بشعره من خلق الزعماء، ولهذا جاء شعره وقفاً على أغراض لاتخل بمركزه في

---

[١] - هي الآن جامعة الملك سعود.

[٢] - ماروي من شعر تركي كثير ينفي عنه القلة، أما أنه لم يتخذه حرفة فهذا صحيح.

طبقته، فلم يهجو، ولم يتفرغ للغـزل، وإنمـا كـان شـعره شـعر زعيـم محصـوراً في الأغراض التالية:

١ ـ الرثاء: فقد رثى أخاه علوشاً بقصيدة من عيون الشعر العـامي، وهـي رثـاء صبور محتسب، ينثر الحكمة، ويعلن الرضى بالقدر، ويتحدث عن أخيه القتيـل بمـا يعد مقياساً خلقياً:

عبد إذا أرسلته عقاب إلى شهر　　　نمر إلى جا الخيل فرق ضنينها

٢ ـ الابتهال، والتدين، ونـثر الحكمـة، والمثـل في شـعره: وهـذه ظاهرة في جميع شعره، ومما يستشهد به في هذا المجال قوله بعد تشوقه إلى مجـالس الشـجعان تـدار عليهم القهوة:

وأخير منها ركعتين بالأسحار　　　لا [طاب] نوم اللي حياته خساره

٣ ـ فيضان عاطفة صادقة في حب أبناء عمه الأدنين آل هندي مع التشوق إلى أختهم، وهي زوجته كما في قصيدته الطائية الرائعة، والعجب أن تركياً صاحب هذه العاطفة الدينية المشبوبة من جيل يفخر بتأييم النساء، يقول تركي:

كم جادل من غبنا تذهب الغطا　　　ترفع صليب الصوت تبكي رجالها

ولاضير في ذلك، لأنها سنة العصر الذي يعيشه تركي، وهو عصر شعاره (اذبح تربح). وتبرز عاطفته نحو قومه في فخره بهم في أغلب قصائده، وفي مثل قوله عن أعدائه:

قوم من العارض إلى سوق حائل　　　لاقرب جد ولا بهم مرحمية

وقوله:

من عقب هذا لا [مطير]و حنا　　　لا صلب جد ولا بهم نية الخير

٤ ـ الفخر بنفسه وبجماعته: وفي مجال هذا الغرض سجل أهم أحداثه التاريخية في حواره المتعدد مع ابن هادي. يبدأ هذا الحوار بالعتاب، يقول تركي:

وحنا طلبنا الصلح منكم ولا حصل ودنياك ما يبقى بها إلا صبورها

وتركي يرغب صلحاً تتكافأ فيه الأطراف، يقول:

أديت له خمس وسادسهن التوم وقعود زبن اللي بغَى ما حصل له

ويقول مخاطباً ابن هادي:

مطلوبكم يا شيخ به زود حقران والذل ما يرضي عريب المجاني

لو أن مطلوبك على مثـل ما كان خفّت مداريجه علينا و هـَانِ

وإذا لم يقبل ابن هادي بالصلح الذي تتكافأ فيه الأطراف فلابد من الحرب، يقول تركي:

ترى الحرب شقا العين ماهوب راحة تسهر ويقزي نومها من حجورها

واليا حربتوا فحنا حريبة مناب حضر في عوالي قصورها

ثم تبدأ الحرب، فيكون فخر تركي على هذا النحو:

أنا برمحي بأول الخيل ملحوم وإلا أنت رمحك عند سارة تشله

والشطر الأخير في لحظة انفعال، وتراشق مع أن تركياً عفّ اللسان، وهو في فخره على قحطان، وفحلها الهادر محمد بن هادي يمدحهم، ويعطيهم الدرجة الثانية ليصل إلى مدح قبيلته عتيبة:

ما ذمكم يا ربعنا نعم بكم أنتم سباع الهيش وحنا نمورها

وأنتم كما ضلع صبور على الشقا وحنا حرار في مشاذيب قورها

ويقول :

وباقي القبايل ما نغط لهم أفعال هـذي فعايلنـا على كل حال

وبعد حروب دامية يتربع تركي على براري نجد، فيقول:

في نجد نرعَى ما نعلق عاني بسيوف هنـدٍ ماضي برهانها

يشهد لنا وادي الرشا بأفعالنا وتشـهد لنا نجد وحصَى ضلعانها

ويقول:

راحت بابن هادي تذب الخبـارا أدميـة تأخـذ ورا العدي دوَّام

ويقول:

أنا أحمد اللي بدّل الشمس بظلال هانت مصاعبها و نقطف ثمرها

٥ ـ الوصف لاسيما وصف الخيل والإبل: فمن أوصافه للإبل قوله:

يا راكباً اللي بقلهن قـد تثنّى فج العضود مدمثات المحاصير

لا هنـب قعس و لا هنب دنا متيهـات فـي ليالي المخاصير

وقوله:

يا راكـب حراً اليا ما تفحّط تفحـط إدمي من القفر مذعور

يشبه لكدري القطا حـين قرّط والتمّ ريشه عقب ما هوب منشور

وقوله:

يا راكب من فوق بواجة الخلا من البقل ما بانت مواري فتورها

زعول من الراكب جزوع من العصا وخطر على هزاتها صم كورها (١)

---

(١) ـ كنت أحفظ هذا البيت في السابق هكذا ((كسر كورها)) بدل صم كورها.

وقوله:

عدنا على هجنٍ من البعد ضمّار   من القفر يشدن النعام المداحي

تودع حصا الرشراش بالدو طيار   إلا و نقدع روسـهن باللواحِ

ومن وصف الخيل في شعره قوله في معرض مدح بني عمه:

مترفـع فيها اللحم تقل شيال   قحـص تسن لحيهـا للحبال

وفي وصفه للخيل فخر، لأنه ادخرها لحماية إبله:

أنا علـى قبـا قحـوم قـارح   خطر على الحنكان من ذرعانها

إلـى تلاقَى ذيلها مع رأسها   تسمع ضريس ضروسها بعنانهـا

كن المعارف يوم تنهض رأسها   ثليـل عـــذراً كاسي أمتانـهـا

تثلث على رجل تقل مكسورة   حـلاي عيدان السلم سيقانهـا

وله هذه الصورة:

عرج بأهلهن كنهن القرانيس   علـى الطريح مصوبرات كضومِ

ويعلق الشيخ ابن خميس بقولـه: ((مـن عـادة الفـرس الأصيـل إذا أخـذ بشـكيمته أن يتعارج ويتجانف بين إعطاء القياد، وبين الإستجابة لسجيته)).

٦ ـ اللهو بما يلهو به عظماء الرجال بما لا يتعدى المداعبة، كمبالغته في وصف جمل أوصاف غير معقولة في الحس، كقوله:

رجليه بالحرة وصدره يسيري   ويشرب براسه من على جمة رماح

ومجامع اللذة الدنيوية تنحصر في ثلاثة أشياء: فرس ـ سيف ـ قهوة. يقول:

ما همني دنيـــا ولا همني مـــال   الرزق يأتي مثل هاتف مطرها

شفي ومقصودي من الخيل مشوال　　شقرا نواصيها كثـير شعرها

شفي عليها كان هو زعزع المـال　　ومن الهنادي صارم في ظهرها

وبالكف من غالي المطارق هوى البال　　يـروي بحزات اللقا من حمرها

ونجر توال الليل تسمع له إعوال　　ودلال يلقى الكيف من هو نحرها

بريـة يطـرب لهـا كـل شغال　　مـع زعفران والعويدي ذعرها

أما الأغراض البلاغية... فالكناية أوسع ظاهرة بلاغية في جميع الشعر العامي، ومن ذلك قول تركي:

لا هنـب قعس ولاهنـب دنـا　　متيهات في ليالي المخاضير

ففي الشطر الثاني يعبر عن سمن الإبل بالكناية)) (١).

وهذه قصائد مختارة من شعر تركي. قال تركي:

نومك طرب وأنا بنومي هواجيس　　ماساهرك بالليل كثر الهمـومِ

أسهر إلى نامت عيون الهداريـس　　بالليل أساهر ساهرات النجومِ

أوجس بقلبي مثل صلو المحاميس　　ا لله يلوم اللـي لمثلي يلـومِ

أشوف عدلات الليالي مقابيس　　ولحد من الدنيا عظامه سلومِ

تضحك وتخفي لك خفي الهناديس　　تفطر لها يوم و يوم تصـومِ

اعمل وتلقى وافهم العلم بالقيس　　دنياك لو زانت تراها نقـومِ

قالوا جهلت وقلت جهل بلا قيـس　　الجاهل اللي ما يعرف اليمومِ

من لا يدوس الراي من قبل ماديس　　عليـه داسوه العيال القرومِ

---

١ ـ أبو عبد الرحمن بن عقيل: تاريخ نجد في عصور العامية ١/ ١٢٣ ـ ١٢٩

ومن لا يقلط شذرة السيف والكيس | تبدي عليه من الليالي ثلومِ
ومن لاخذ الدنيا بميز وتقييس | مثل الذي يسبح ببحر يعومِ
البني ما يصلح على غير تأسيس | ومن لا تعلم ماتسر العلومِ
وإليا توافق مشور السو وابليس | تبرّ منه وعز ربي يدومِ
كلّ القلم من كتبنا بالقراطيس | وركابنا من كثر الادلاج تومي
ولاخير في كثر الحكا والتماليس | وقول بلا فعل يجي به وهومِ
والعز فوق معسكرات السواديس | إلى قصدت اللي بالاشيا رحومِ
قب تنازى بالنشامَى كراديس | والطير في روجاتهنه يحومِ
بالليل أصالي حاميات المحاميس | والصبح أصالي كل قبا قحومِ
أربع سنين ودمع عيني أماريس | والعين تسهر كن فيها هزومِ
وإلى ركبت معالجات المضاريس | يبرد على قلبي لهيب السمومِ
صوابنا بالليل عمق إلى قيس | طريحنا في مثبره ما يقومِ
إن جن بنا مثل النعام الأماريس | لاخف عجل مع رقاق الحزومِ
استلحق اللي بطلبون النواميس | اللي من الأقصين وأدنى اللحومِ
وإن جن بالميدان مثل الدواريس | وطار الغطا عن قانيات الرقومِ
عرج بأهلهن كنهن القرانيس | على الطريح مصوبرات كظومِ
فلومي على اللي ينقلون العبابيس | وأهل الفرنج وكل رامي لحومِ
وشلف تركب بالعروق المناسيس | وقحص المهار وكل قبا قحومِ
وإلى سمك عج الرمك بالملابيس | المسعد اللي حظ ربعه يقومِ

والشيخ من يعطي الفقارا المفاليس ويبدل العسرة بعـــز يقومِ

الحــر لا دبـت عليه النواميس يشهر وعن دار المذلة يشومِ

وإلى اكترب من بعض الأشيا نسانيس اعزم ولا بد الفرج بالعزومِ

باب الفرج لبسك نظيف الملابيس ينجيك بأيام الكرب و الزحـومِ

يجلى صدى قلبي ضبيح المهاريس لاقام شراب القهاوي يعومِ

ودلال فوق النار دايم مجاليس إكرامهن حــق علينا لـزومِ

من صنعة الصبة وخمس التخاميس بريــة يعمــل بها كل يومِ

وبهارهــا هيل بليـا حواسيس كيف يعدّى للنشامَى القرومِ

عــدّه لحمّاي العيـاد المراويس وإلاّ الحصان اللي بقينه وهومِ

حتى يزين لنا المثل والتوانيس والكيف طاب لمن يفك القحومِ

وصلاة ربي عد رمل الطعاميس على شفيع الخلق يوم اللدومِ

يقول تركي بن حميد في محاورة بينه وبين ابن هادي:

يا راكب من فوق بواجة الخــلا من البقل ما بانت مواري فتورها

زعول من الراكب جزوع من العصا وخطر على هزاتها كسر كورها

وركّابها من ربعنـــا خابرينـــه دليله الظلما ليا غاب نورها

انص ابن هادي ريف هشالةالخـلا ريف الهجافا في ليالي عسورها

في مجلسه تلقى علوم طرايـف وحيل تطاها كل يوم قدورها

وحنا طلبنا الصلح منكم ولا حصل ودنياك ما يبقى بهاإلا صبورها

الحرب سقم العين ماهوب راحة تسهر ويقزي نومها عن حجورها

فليا حرتونا فحنا حريبة   ماحنا بقصار قصار شبورها

تضدوننا بالكثر و حنّا نضدكم   بأكوان منا ما تجبر كسورها

نقفي وحنا عيننا في حريبنا   ونعقب لهم نمرى تعاقب سبورها

إما نوافي غرة تستوي لنا   وإمّا مقابيس تقسم اشروورها

ما أذمكم يا ربعنا و نعم ابكم   أنتم سباع الهيش وحنا نمورها

وأنتم كما ضلع صبور على الشقا   وحنا حرار في مشاذيب قورها

ساعة تجيكم خيلنا عارفينها   معاريض وإلامعطيتكم نحورها

وساعة تجينا خيلكم عارفينها   نحد السبايا لين تركب وعورها

ويصبح مداس الخيل من عقب كوننا   تشبع حناديها و باقي نسورها

كم دهما دهوم نجرها   تحاكوا بها غيابها مع حضورها

إليا نسيتوها عليكم نجرها   تموتون وأنتم ما نسبتوا حرورها

ما ينفع إلا الصدق والفعل والنقا   وباقي الحكايا بايهات أمورها

عاداتنا لطم المعادي على النقا   وإلا العميلة راتعة ما ندورها

وهذه القصيدة قالها في رثاء أخيه علوش بن صنهات المقتول سنة ١٢٧٨هـ كما روى
[...] عبد الرحمن عن ابن بادي[1].

ذا قول من هوجس ومن باح ماخفا   يهيض بعبرات تبيح كنينها

من ونة ونيتها تجرح الحشا   محال حضر في يدي شاغلينها

دارت دواوير الليالي وغرني   سرعة ترددها وصكة سنينها

---

[1] - أبو عبد الرحمن بن عقيل: تاريخ نجد في عصور العامية ١٤٢/١

دنياك لو هي ساعفت يـوم كدّرت حيول تحل الحيل و مفارقينها

على الرغم ما هي هـوى بالتماني يجري المقدر والعرب عارفينها

علـى مسايرها كثيـر همومها من شين جيرتهاالعرب عاشقينها

دنيـــاك لو توريـك يوم مسرة لا بد يملأ موج بقعا جرينها

من شاف في كسر الليالي وجبرها هي منجل الخافي جفاها ولينها

مخلوطـة عسـر الليالي ويسرها صروف الليالي دققت في طحينها

كم خير يجلى الصدا عضه البلا تضحك له الدنيا وتخفي رطينها

يا طالب الدنيا فهــي تستغرك كم فرقت من مرضع عن جنينها

جربت مـن حلو الليالي ومرها وأزريت أميز هزلها من سمينها

حلفت أنا لأبيعها بيع مرخص معيف ولو غيري حدٍ راغبينها

معيف مخيف من عناها وهمها كما ترثة أيتامِ حضرمستدينها

حـرج محرجها وجاها زبونها بسومة الغالي حريص ضمينها

أبا أقتني قبا وسيف مجـرب وشلفا لغارات العدا محتسينها

ومناسـف يُعـدى بها كل حزة بأمر الولي يلقونها محترينها

ومن صنع بغداد دلال نظايف نجورهـا بالليل يسـهر دنينها

بجـــال نـــار للمسايـيـردايمـة وثلاث حاجات لها جامعينها

رسم لعطران الشوارب على القسا خص مروي حربته مع سنينها

واللي جمع مالاً ولا أدّى نوايبه لعـــل مالـــه ورثة وارثينها

هذاك مثل الديك يذن ولا سجد ينفع بها غيره ونفسـه يهينها

وبالقلب دقاق تعومس به الدوا حـــار الطبيب بعلة ناقلينها

شبت سعاير بالضماير وتلتظي كهيش قصبا بالضوا شاعلينها

وهاض ما بـي تالي الليل بكرة في ليلة الجمعة تزايد حنينها

ترفـع صليبـــاً مما جـرَى لها من حر و جلاها فرقا ضمينـهـا

تقرحــت عيـــن سفوح تزايدت كالمزنة الغرا حقوق فشينها

أخوي ما شفت الغضب في حجاجه يقدم لهــا قدام يقدم ذهينـهـا

عبد إلى أرسلته عقاب إلى شهر نمر إلى جا الخيل فرق ضنينها

وش خانة الدنيا ولو بهارغبنـا حنا و ناس قدمنا جاربينهـــا

زبنت من يمنع ولا عن مانع ربي عن الزلات نفسي يعينها

يا غافر الزلات تدمح لي الخطا لابد ملايكة الرضا حافظينها

حاسب محاسبهاوعطيـت كتابها بشمالها وإلاّ جعل في يمينها

يا قلب هوِّد واطرد الهم بالنجم افراج من عند الولي مرتجينها

طلبـت من يمنع ولاعنه مانع ربي وباقي أسبابها عايفينها

لزمت حبل الوالي الواحد الصمد لاخاف رعب القلب وأيقن ذهينها

لاصرّت الأقلام ما فاد من حكَى فاتـت على طلابة مطلبينها

من لا يصافي ما يصافي سـميدع صبّار في عسر الليالي ولينها

ومن لا يغالي لا خذا بنت طيب يكفيه عن ضيم الليالي جنينها

ومن لا يخاشر بالقليل ابن عمه يجيه من ضيم الليالي سنينهـا

صـلـوا على المدثر المؤمن التقي أكرم بتقوى ا لله وتقويم دينها

وهذه قصيدة له قالها في معركة لم يحضرها ابن ربيعان، ومتكلاً على وعد الصعران بمساعدته ابن حميد، قيل أن هذه المعركة هي معركة البديعة بين ابن حميد، وبين ابن هادي[1]. قال تركي:

يا راكب اللي بقلهن قد تثنى	فج العضود مدمثات المحاصير
لاهنب قعس ولا هنب دنا	متيهات في ليالي المخاضير
الصبح من وادي الرشا ينشرنا	من بيت أبو خالد زبون المقاصير
يلفن أبو تركي زبون المجنى	ريف الهشالى في ليال المعاسير
الشيخ مثلك ما نزل (شعر) عنّا	وأدنا عتيبة حائل دونه النير
جانا الصعيري قال صولوا وصلنا	صلنا نحسب أنه على راي تدبير
أثر الصعيري فزعته ماج عنا	وأقفن ظعونه عقب ماهن مناحير
جينا على ركن الحريب ونزلنا	صرنا دواوير وصاروا دواوير
يا كبر زبر جموعهم يوم جنا	أرواحنا ترخص وهي للمقادير
بأيماننا صوارم يقطعنا	سقي القنيدة من حقوق الشخاتير
لكنهم يوم انجلَى السو عنا	هذا طريح وذاك ذبٌ المعابير
لي لابة شلع مع السن سناً	إن كان بالغرات وإلا الطوابير
ناس إلى حلوا على القحص جنا	في منتهاه ننزح النمر والزير

وهذه قصيدة له في أحد الرجال الذين يخدمونه، وفي آخر الأبيات يحاور ابن هادي.
قال تركي:

---

[1] - أبو عبد الرحمن بن عقيل: تاريخ ننجد في عصور العامية ١/ ١٣٨ ـ ١٤١

خط القلم واكتب لنا يا سليمـــان اكتب لنا جعلك تطب الجنـــان

جعلك تطوف البيت مع كل الأركان وتصلي الجمعة بها دور ثاني

هـذا محمد مـا نبيعه بالأثمـان عبد مطــوع شاعر مطربانـي

قم كيِّف الطبخة ترى بان لي شان مشتان في شـــان وشان عناني

بريّة من ســـوق صنعا ونجــران يعبا لها بالهـيـل والزعفران

نخسر لها لو كان تغلي بالأثمان لا هابها خطو ى الصبي الهداني

بصين يبـدي فيه ذربين الايمان بكفوف ظفـــران قروم ذهــان

يا راكبا من فوق سلسات الآقران فج العضود وساسهن من عمان

فج العضود فخوذهن تقل بيبان وساع الزغون موخـــرات الثفان

ملفاك من يروي شبا مقدم الزان عيد الركاب اللي به الحيل واني

شيخ نشا بالطيب من روس قحطان عاداتهم فـك النشـب والعـواني

مطلبكم يا شيخ بـه زود حقران والذل ما يرضي عريب المجاني

لو أن مطلوبكم على مثل ما كان خفت مـداريجه علينـــا وهـان

أدرَى كلامي عن عدو وسفهان لزازة المجلس وجيــه الحصاني

للهرج ميدان و للرمي نيشـــان ومفتاح صنـدوق الضمير اللسان

ولتركي هذه القصيدة، يصف فيها جملاً خيالياً لـه أجنحـة، وصفات غير معقولـة، يقول تركي:

يا راكبا اللي ما يداني الصفير هميلع من نقوة الهجن سرساح

أمــه نعامة وأضربوهـا بعير جا مغلطاني على خف وجناح

عليه خرج من ســلوك الحرير عصاه عود البروقة عقب مافاح
يسرح من الطايف ويمسي البصيري سفايفــه مثــل الغرابين طفاح
مزهبك يا راعيه تمر ومضير واحذر تشب النار يجفل من الضاح
وإلى ورد يشرب ثمانين بير غرافهــن تسعين ودليهن ماح
رجليــه بالحرة وصدره يسير ويشرب راسه من على جمة رماح
يا ويش هـو شي طويـل قصير يسبق زعاجيل الهوى يوم تنماح

وشعر تركي كثير، وهذا ما اخترناه منه.

محمد بن هندي بن حميد

((هو أبو سلطان محمد بن هندي بن حمد بن حميد المقاطي تولى الزعامة بعد عقاب بن شبنان بن حميد. ولعله تولي المشيخة سنة ١٣٠١هـ، وهي السنة التي قتل فيها عقاب بن شبنان. ومات ابن هندي سنة جراب عام ١٣٣٣هـ في آخر شهر ذي الحجة في عبلة القطة بأبرق - وهو جبل أسود عليه برقة - في الشرق الجنوبي من الحوم، ويعرف بأبرق [الأمير] ابن هندي، هوى به بعير فقتله... من أشهر فرسان العرب ودهاتهم في العصر الحديث، كان فارس عتيبة... وكبيرهم... لم ينفرد بالشجاعة، بل عرف أيضاً بإصابة الرأي ورجاحة الحلم، وهيبة المنظر.

قال أبو عبد الرحمن: أخبرني رجل أدركه، وعرفه قال: زار ابن حميد والدي يوماً فجعلت أطيل النظر إلى جراح رأيتها في عنقه، وصدره فاستدناني منه، فدنوت فكشف قميصه، وقال: انظر ، فنظرت، فإذا جراح هائلة عددتها ستة، وثلاثين كلها قد اندملت. وكان مع الشريف (الملك) حسين في رحلته إلى نجد. فأنعم عليه ببندقيتين، فحملهما إلى بعض أصحابه، ينظر إليهما ويعجب منهما، إذ لم يكن سلاحه غير السيف، والرمح، فأخذ أصحابه يعلمونه كيف يطلق البندق (الرصاص)، وتناولهما بين يديه، يطيل التأمل فيهما ساعة، ثم ألقاهما ، وقال: لاحاجة لي بهذا! ونسب أبو عبد الرحمن هذه الأبيات له، وقال لي ناصر بن هندي بن حميد: إنها لمناحي الهيضل، وهي في ذم البندقيات، و يسمونها ((الموارت)) و ((المواريت)) جمع مرتيتة:

ضرب الموارت ما بها نوماس	حذفة شرود من بعيد
علي قضيب عنانها والراس	والله يدبر ما يريد
علي باللي تبعد المرواس	والعمر لازم أنه يبيد

قضب العنان في لغتهم إمساكه جيداً، والمراوس ميدان الخيل، و شوط جريها...

أخبار ابن حميد ووقائعه كثيرة تذكرنا بما كانوا يحدثون به عن شجعان العرب في الجاهلية، وكانت بينه وبين قبائل قحطان في أطراف نجد عداوة متأصلة حتى إنهم نذروا نذوراً مائة ناقة لمن يأتي به قتيلاً أو جريحاً أو أسيراً. فمن وقائعه معهم: أنه سرى ليلة في نحو ثلاثين من رجاله في أراضي قحطان، فدهمهم نحو خمسين خيّالاً قحطانيين، فلم يأبه لهم، وأشار إلى من معه أن يردوهم، فارتد فرسانه للقتال، وظل في سيره لايبالي بالأمر، راكباً ذلولاً وسلاحه مع عبد له يقود فرسه خلف الذلول واشتد القتال وثبت القحطانيون، فوهن... جماعة ابن حميد، وقُتِلَ منهم عدد فانهزموا لا يلوون على شئ، وغنم مقاتلوهم كل ما معهم من الإبل و الحمول وخيل القتلى والتفت هو فرأى تشتت أصحابه، فنادى بعبده، فلم يجده، وكان قد ركب الفرس وذهب يقاتل، فحار ابن حميد في أمره لافرس له، ولا سلاح في يده، وأدركته الخيل بوابل رصاصها، فقتل ذلوله، فترجل وابتدر مختبأ اختفى فيه عن العيون حتى هدأت ثائرة القوم. فتغلغل في الجمع وقد تلثم يريد أن يسمع أخبار أصحابه أين ذهبوا فاعترضه شاب من القحطانيين، ودعاه باسمه، خافت الصوت، فلم يجبه ابن حميد فكرر النداء ثانية، وفي الثالثة قال: يا ابن حميد أنت آمن! فأقبل عليه حينئذٍ فعرفه، وكانت لابن حميد يد على هذا الشاب منذ سنين فدله القحطاني على الموضع الذي لجأت إليه خيالته، و أعطاه ناقته، وقال اسلم بروحك، فخرج ابن حميد راكباً، فلم يبتعد حتى اعترضه رجل من قحطان، فعرفه فدنا منه راجلاً وصاح مبتهجاً: يا ابن حميد آل قحطان، وضرب ابن حميد بشلفا أصابت يده اليسرى، فسلها ابن حميد باليمنى، وضرب بها الرجل فقتله، وسلبه شلفاه، ومشى مسلحاً لا يبالي حتى التقى بمن بقي من رجاله، فركب فرساً وأخذ سيفاً وانتقى اثني عشر فرساً من خيولهم قوية، وقسّمهم ثلاثة

أقسام أربعة منهم معه، وأربعة يغيرون على القوم من اليمين، وأربعة يغيرون من اليسار، وأمر هؤلاء الثمانية أن يتريثوا حتى يسمعوا صوته في الجمع، وأغار هو، وعلا في القحطانيين صوت ابن حميد، فلم يصبروا غير قليل، وتفرقوا ناجين بأرواحهم، وقتل طائفة منهم، واستعاد أمواله، وسلبهم أموالهم واتجه حذراً حتى بلغ حدود عتيبة فأمن))(١).

قال ابن بليهد: ((أما محمد بن هندي بن حميد فهو مطاع في قومه، محبوب عند الناس، محبوب عند الملوك. سمعته يتحدث، وهو يقول: والله ما أخذت الحضري، ولا أرضَى بأخذه))(٢)، ومن أحدياته هذه الأحدية يفتخر، ويذم فيها البنادق أيضاً:

نقل الموارت ما بها نوماس حذفة شرود من بعيد
علي ظف حبالها بالراس والله يفعل ما يريد

وذكر أبو عبد الرحمن عن السديري أن الملك عبد العزيز أرسل لابن هندي يطلب منه حضور معركة المجمعة ضد الدويش، وقومه، وكان ابن هندي قد أهدى فيصلاً الدويش حصاناً أصيلاً، فقال ابن هندي بهذه المناسبة:

يا ربعنا شدوا على الزلبات جتنا مناديب الإمام
ليت الحصان اللي عطى ما فات ما سرٌ بالبابر عطاه العام

ومن أحديات ابن هندي هذه الأحدية:

يا حيسفا يا فاطري وخذت مع نياق عزيب
يا ليتني حضرتها من فوق مشعثرة السبيب

---

١ - أبو عبد الرحمن بن عقيل: تاريخ نجد في عصور العامية ٣/ ١٨٩ ـ ٢٠٠ وتذكرة أولي النهى ١ / ٢٥٦ ومارأيت، وما سمعت ص ١٤٨، و عالية نجد ١ /٤٥

٢ - محمد بن بليهد: صحيح الأخبار ٢/ ١٢١ - ١٢٢

وقال ابن خميس عن عتيبة: وبلغت ذروة مجدها في عهد رئيسها محمد بن هندي بـن حميد عاصر محمد بن رشيد، وشطراً من عصر الملك عبد العزيز آل سعود[1]. عـن أبـي عبد الرحمن: ((قال الشيخ إبراهيم بن عبيد: ثم دخلت سنة ١٣١٠هـ دعا الأمير محمـد بـن عبد الله بن رشيد بمحمد بن هندي إليه بعد ما أضعف جانبه باستجلاب كثـير مـن قومـه، ولما حضر بين يديه جعل يتهدده، ويتوعده كأنه قد بلغه ما يريبه عنه، وقام رجل من أتباع ابن رشيد يدعى الطوير موافقة للأمير، فجعـل يتكلم في حـق محمـد بـن هنـدي، ويقـول كـأني بالفناتير، والمجاهيم تؤخذ منك، وإني لأرجو أن أتولى نهبها من بين يديـك فـرد عليـه ابـن هندي قائلاً قبحاً لك، وما حصلت عليه إذ أنـك لم تحصـل إلا علـى الخـزي أخـذك ا الله، وكان محمد هذا رجلاً تقياً وذا عبادة أضف إلى ذلك شجاعة تضرب الأمثال بها، فاستمر ابن رشيد في تأنيبه حتى قال له: يا ابن هندي انجُ بنفسك فلك المهربات[2]، فقام من عنـد ابـن رشيد بعد العصر وسار معه أربعة من رجالـه حتـى أشرف علـى قومـه، وادباشـة، فـأمرهم بحفظها، وذهب فاراً يريد النجاة، أما الأمير فإنه لم يمهله بعد مـاذهب شـد في طلبـه تلـك الليلة وجد في السير، وأمر جنوده بالنهب، والسلب، فشرعوا في أخذ ما مروا عليه، ولما أن

---

[1] - المجاز ص١١٢

[2] - ابن عبيد ((المهربات: هي إمهال الرجل ثلاثة أيام في البلـد يسـتعد لـلرحيل في خـلال هـذه الثلاثة الأيام، وبعد مضي هذه الثلاثة يقتله الأمير إذا تخلف غـير أن ابـن رشـيد لم يمهلـه بعـد مقالته، ولا يوماً واحداً بل شدّ في طلبـه، نسـأل ا الله السـلامة، والعافيـة، وفي قصـة الأمـير ابـن هندي أكبر مثال من شجاعة العرب)) أبو عبد الرحمن بن عقيل: تاريخ نجـد في عصـور العاميـة ٣/ ١٩٣

أشرفوا على رعاياه كان من بينها المغاتير، والمجاهيم قد جعل في كل رعية حاسين فهما في وسط الرعية، فإذا قرب منهما العدو خرج أحد الحارسين، فرشقهم بالنبل، فإذا انكشفوا رجع داخلها، وهكذا، وكانَ جنود ابن على تلك الصفة ولا يهملون محمد بن هندي فتراهم يطالعونه من خلفهم، فلما كان ذات مرة اجتمعوا، وشدوا على إحدى الرعيتين، فأخذوها، فخرج الحارسا، ودخلا في الأخرى فهما في جهاد وعلاج، فعند ذلك أجمعوا أمرهم وحمل منهم مئتان على الأخرى وعزموا على أخذها، هذا ولاتزال أعينهم ترقب ابن هندي على البعد فلا يغفلونه لمعرفتهم لسطوته، فلما غمروا الحرس، خرج صبي من بين الرعية ينادي بأعلى صوته قائلاً: محمد بن هندي يا محمد بن هندي تكفى! أخذت فلانة، وجعل ينتخي، ويصيح، تكفى يا محمد بن هندي تكفىأخذت يا محمد بن هندي أخذت فلانة لعمانية مشهورة بسلامة النسب عريبة متولدة أبا عن جد قد نتجت وادخرت ليومها، فلم يشعر القوم إلا به قد صاح بإذن فرسه، وأجلب، وكانت فرساً في أعينهم هطلاً، ولبتها تكاد تمس الأرض لضخامتها، وهو يسير منهزماً في بداية الأمر مع منخفض الأرض، فلما سمع النخوة شدّ عليهم، وهو يصيح في آذانها، فصارت تلك الفرس كهئية الذئب، وأقبلت تعدو به كالطير، فلم يشعر القوم إلا به كالأسد الوثوب الذي لا يطاق إذا صال، وعجب القوم لتلك الفرس كيف اجتمعت كذلك فرمى بالرمح، واختطفه بالسيف فقطعه نصفين، وشد على إحدى القطعتين، فضربها، فقسمها إشارة منه أن ما وصله هذا السيف لا ينجو، فعند ذلك فرّ ابن رشيد، وقومه بخيلهم، وركابهم، وعاد محمد بن هندي فغمر الخيل من خلفها، فقتل منهم خمسة عشر فارساً، ونفرت خيلهم تجر أعنتها، ولحق الطوير وشد عليه حتى ضربه بالصارم ضربة سقط لها شطره الأعلى، ولم يبقَ على الفرس سوى وركيه، ولبث محل القطع [عدة] دقائق أبيض لم يخرج منه دم فجمع القوم خيلهم تباري الأمير خشية أن

يسقط ليركب على الأخرى فتكون الخيل على استعداد، هذا وهم يطيرون منهزمين قال من حضر الوقعة : أشهد با لله لرأيته يعني محمد بن رشيد منبطحاً على ظهر جواده، وهو يطير به، ويقول اللهم اكفنا شره يكررها، فلم يشعر الفوارس إلا به قد جاءهم من أمامهم فتفرقوا شاردين فشدّ على الأمير، وبعد ماأدركه من خلفه رفع السيف فوق أذنه يقول: احفظها لي يا ابن رشيد، فانقلبوا بشر حال، ورجع محمد بن هندي بما ناله من الخيل، والإبل، والسلاح... فلما كان بعد أيام بعث إليه ابن رشيد يقول: هل أنت مسالم أم محارب؟ فقال: بل مسالم، ولكنك اضطررتني لأن أكون محارباً فامره أن يعرض طلبه، وما يريد، فقال: أريد جميع ما أخذتموه تردونه فرده عليه))[1]. قال ابن بليهد عنه: وهذا الرئيس من دُهاة الرجال، وعنده ترو في الأمور، وأناة في مهمات الأمور، إذا رأيت بعض حيله لم تشك أنه من أدهى الدهاة. حدثني حشر البواردي من أهل شقراء، قال: كنت مع محمد بن هندي بن حميد، وكنا ضيوفاً عند الشريف الحسين في مكة، فكأن الشريف قصّر في إكرامه، وعنده بعض شيوخ الروقة، وظن ابن حميد أنه وشى به واشٍ عند الشريف، فلما أحسَّ تقصير الشريف قال لنا: هذا الشريف أنا في الصبح أرميه بخبر يحمله على إكرامي! وقد بقيت متحيراً فما عسى أن يكون هذا الخبر، فكانت إقامتنا في المعابدة، فركبنا رواحلنا صباحاً نقصد الشريف، فلما دخلنا عليه، وكان يُدني مجلس ابن حميد من مجلسه، وأخذنا مجالسنا، وتجاذبنا الحديث، حتى خضنا في ذكر الجيش، فقال ابن حميد: نظرتُ اليومَ ذلولاً نجيبة معروضة للبيع لم أرَ مثلها! فالتفت إليه الشريف، فقال: أين هي؟ فقال: مررتُ بها تحت قصر سعود بن عبد العزيز الأول الذي ملك مكة!، فاضطرب الشريف في مجلسه، وقال له: ليس له قصر، ولم يملك مكة! قال ابن حميد: هذا الخبر أكيد،

---

[1] - أبو عبد الرحمن بن عقيل: تاريخ نجد في عصور العامية ٣/ ١٩٣ ـ ١٩٥

فسكت، فافترقنا، والشريف مُغضب، فوا لله ما وصلنا منزلنا إلا، وقد جاءت الحلَل، والنقود، والكرامات الزائدة، فتعجبت من هذا الاستنباط البعيد المرامي. وله أمور عجيبة، حدثني رجل من قومه يقال له راشد بن هذلي، قال: قصدنا ماءة الشبيكية الواقعة في جهة المخامر - وهي اليوم مسكن الذويبي، عمرت في هذا العهد ـ ونحن قليلون، ولم نعلم حولنا من قبائل حرب أحداً، فجاءنا المرتاد، فقال: إنّ على الماء عرباً كثيرين، فرأينا صاحب غنم، فامرني أن أركب جوادي، وأسأله عن أولئك القوم، فركبت جوادي، وأتيته فسألته، فقلت: من هؤلاء العرب؟ فقال: هذا الذويبي، ومعه قبائل حرب، وابن حميد ومن معه لايستطيعون ردهم، وليس لهم بهم طاقة! فرأيت الرجل قد اهتم، واختلط في الطمع، والخوف، فقال لي: اركب جوادك، واقصد الماء، وقل لناهس الذويبي ـ وهو رئيس القبيلة ـ: في وجه مَن وردت هذا الماء؟ فإذا قال لك من أين أتيت؟ فقل له: أرسلني محمد بن هندي بن حميد، ومعه قبائل عتيبة، وأنا الآن بحيث لو صحت بأعلى صوتي لسمعوني، فركب راشد جواده، وقصد ماءة الشبيكية، فقال لناهس الذويبي ما قاله له محمد بن هندي، ورد عليه ناهس كما ظن ابن هندي، فأخذ عقال راشد من رأسه فوضعه في رقبته، وقال: (حنا دخلاك من عتيبة، ترانا في وجهك)، وقال له: أنتم آمنون ، فرجع إلى صاحبه، فأركب الجيش يستنهض عتيبة أن تأتيه، وأنكف بعد ما شرب الماء إلى جهة قومه))(١). قال فراج التويجر من الدماسين من العضيان يمدح محمد بن هندي، ويطلب منه أن يعطيه فرساً أصيلاً:

قال العضياني تمثل وغنى ... مثايل من خاطره واهتنَى بها

ما هو شاريها ولا مستعيرها ... ولا راح للشعار يقدا جوابها

---

١ ـ محمد ابن بليهد: صحيح الأخبار ٢/ ١٢٠ ـ ١٢١

مجنب ميرادها عن صديرها ... ومجنب مصدارها عـــن غيابها

من خوف يلزمها فقيه ينقد ... ياخذ مصالحها وينطل خرابها

يا راكباً من عندنـا صيعرية ... سديس و إلا تو ما شق نابها

ملفاك من روق من خشم عسعس ... كل يشوفه صبح يوم التوَى بها

ملفاك ابن هندي مهاشيل الخلا ... عيد النكيف اللي تضالع ركابها

تلقون ثاية كما واكف الندى ... من مس الأيدي عقب لوخ العشا بها

خيال بوش يوم لحقوه شمَّر ... هل المهار اللي تلاعج ثيابها

يوم أوحت الشرفا بحس ابن هندي ... تباشر عنده بالفلك فك ارقابها

والخيل يوم أوحت صياحه وعزوته ... تقلعـت مـن كـل فج أطنابهـا

وابن طوالة نـار قـدام قومه ... وابنه ذبيح وذبحته مادرى بها

لكـن قلع الخيـل بينه وبينه ... زمــول فرقــان موطا زهابها

ذوي حمد فيهم على الخيل ذارب ... عـز العديم لين يروي نصابها

وثانـي نثر دم المعادي يمينه ... برديني بالجوف غمر صوابها

يا شوق عذرا كنها قائد المهـا ... والبـدر كنـه ناقـع في لبابـها

يابنت مَن يضرب بشلفا طويلـة ... لا زرفلت والطرح جا في زهابها

قصدتها فيها على شان أبوهـا ... أبـا أتمثل فيه لو مادرى بها

يا شيخ أبو سلطان أبا لي أصيله ... يا زينها وإن كان ربي نوى بها

أنا بلايه من شبيب بن حجنـة ... يوم أن طاحس راح يمه وجا بها

ولا شيوخ غيرك دوب تنقل زهابها ... مثل الحناشل يوم تنقل جرابها

وانته حبالك باع من فوق حيلـه ومن ورد دلوه في حبالك سقى بها

وانته تشيل حمول من لايشيلها نفظة لظلفه دفوفه مشى بهـا

وقال سلطان المريبض يمدح بن هندي:

يتلون ابن هندي حمى قب الأفراس لاقام ينخَى والرمك في انحطابه

يثنـــي جواده للمتليـن نكـــاس وكم واحد من غرقة الموت جابه

وقال محمد بن دخيل الله الشيباني - أبو طخمة الزبلوقي:

والشيخ بن هندي يعود له الشار ما خم رايه من خفاف المشاوير

حيد رسا له شوفته تملا الانظار يردون في رايه ونوج مصاديـر

وقال نوار بن هابس الخميج من المقطة(١) يرثي محمد بن هندي:

مرحوم يا شيـــخ فعوله شهوده لاطبٌ في الميدان تكثر رزاياه

من شاف فعله باللقاء مايعـوده إليا اعتزى كل صفح عن ملاقاه

محـمــــد اللي يفقدونه جنوده هو ذخرنا لاجا نهار المثاراه

ضلع يفلون العرب في لـهوده وعجز المعدي كل ما جاه يـرقاه

يومه دنا وأسباب يومه قعـوده يا كثر ما واجه من الشر كثراه

محمـــد اللي وافيـات عهوده الخيل تدرى به نهار الملاقاه

---

١ - وهم أبو عبد الرحمن: في نسبة القصيدة إلى ابن عزارم وقال لعله فندي بن عزارم: تاريخ نجد في عصور العامية ٣/ ٢١٨، والصحيح: أنه نـوار بـن هـابس الخميـج المقـاطي كمـا معـروف عنـد الحمدة وغيرهم، وقد ذكـر لي الـرواة بعـض الأبيـات الـتي لم يذكرهـا أبـو عبـد الرحمـن، وررووا القصيدة بترتيب آخر كما أوردتها .

مثل الحصان اللي يهبد من يقوده وإليـــا تبين له حريب تنصاه

وادي الرشا واقنيفذة من شهوده ويشهد له العارض وجملة قراياه

الناس تدري به وتذكر عهوده كل خبر ذكره وفعلـه وطريـاه

لا واعمــود البيت لا واعموده لا واعمود البــيت لا وعـعـموداه

مرحوم يا شيخ فعوله شهوده لا طبٌ بالصـــابور تكثـر رزايـاه

لا واعمـود البيتلا واعموده يا كبر ما فوقه من الحِمل كـبراه

جاه القدر وأسباب موته قعـوده يا كثر ما واجه من الشـر كثراه

شيخ الشيوخ اللي عريب جدوده نرجي عساه بجنة الخلد ملفـاه

وهذه أبيات في رثاء ابن هندي نسب أبو عبد الرحمـن البيـت الأول إلىشـالح الحمقـي القاطي، وذكر منديل أنها جميعاً لشالح بن هدلان القحطاني رغـم مـا بينهمـا مـن حـروب، وثارات:

يا نجد عقب محمد ويش بتقـول مرحوم يا نور السلف والجهامة

فتال ما ينقض ونقاض مفتول ولا سعى بامرٍ مشى في تمامـه

إن جاه مظيوم من الحمل متلول حطه سمين ويبترم في سنامه

حَرْب

قبيلة حرب إحدى القبائل الكبيرة، التي لها دور كبير في أحداث نجد خلال القرن الثالث عشر، وقد سبق ذكر بعض هذه الأحداث في كلامنا عن قبيلتي مطير، وعتيبة. ((وتنقسم قبيلة حرب اليوم إلى فرعين كبيرينهما: **بنو سالم، ومسروح**. وتنقسم بنو سالم إلى: ميمون، ومُرَوّح. وتنقسم مسروح إلى: بني عمرو، و زبيد، وعوف وبني علي، وبني السفر. وهم منتشرون بين مكة، والمدينة، وعلى طول الطريق، ومنهم من انتقل إلى بلاد نجد، في هُجَرٍ معروفة منها قُبَة، ودخنة، والشبيكية، وغيرها))[1]. ذكر أبو عبد الرحمن عن منديل الفهيد قال: ((أغار الشيخ عقاب بن خريص من شيوخ بني عمرو من حرب على إبل ناصر بن حديد من العضيان من الروقة من عتيبة، ولم يكن عند الإبل غيره، وكان راجلاً فلما خطفت الخيل الإبل منه لحقها حتى سبقها، واعترض للخيل، والإبل معاً، ومعه بندقيته، فأوقف الخيل، وسدَّ الطريق أمام القوم وصار يراميهم، وأصاب الشيخ عقاباً بجرح خطير، وذبح فرس آخر، فلما رأى المغيرون ذلك، وخافوا من أن يلحقهم الفزع من العضيان، ولوا منهزمين، وعندما لحق الفزع من العضيان ن وعرفوا عقاباً أرادوا قتله، وقالوا هذا عدو (قوماني)، ويجب أن نرتاح منه، فمنعهم ناصر من ذلك، لأنه من عادة العرب إكرام الرجل الشجاع، وإن كان عدواً. وأخذ ناصر عقاباً إلى بيته، وصار يعالجه، وينفق عليه من طيب الطعام، فلما برئ أعطاه ذلولاً بذخيرتها، فلما وصل عقاب إلى أهله أرسل ثلاثين ناقة إلى ناصر ثم صار كل سنة يرسل له إما ذلولاً للركوب، وإما ذلولاً للحلب(خلفه)، واستمرت صلة البر بينهما))[2]. نقل أبو عبد الرحمن عن منديل

---

[1] ـ حمد الجاسر: معجم قبائل المملكة العربية السعودية، حرف الحاء.

[2] ـ أبو عبد الرحمن بن عقيل الظاهري: تاريخ نجد في عصور العامية ٣/ ٥٩ ـ ٦٠

الفهيد: ((أن رجلاً من حرب كان يرعى في موقع معروف عند قبر الشيخ تركي بن حميد، فوجد إحدى إبله تعلك جمجمة تركي، فأخذها، وقال: ((هذا الرأس ما يستاهل محشه)) أي لا يجوز تنظيفه، فحلب فيه لبناً، ووضعه مع العظام في القبر، ولفه بغترته، ووضع عليه حصاة لا يقصد بذلك أي غرض إلا التعبير عن شعوره بتقدير تركي. وخلال ذلك أغار عليه قوم من السلتان من الروقة، فأخذوا إبله، فركب إلى عقاب بن شبنان بن حميد الذي كان شيخاً لعتيبة بعد تركي، وشكى عليه إغارة السلتان، وأخبره بقصته مع جمجمة تركي. فسأله عقاب عن الدافع إلى ما عمله مع جمجمة تركي، فقال: لا دافع لي غير محبتي لتركي، وإعجابي بأفعاله، فأرسل معه رجالاً، وقال لاتدلوه القبر لأنه إن كان صادقاً وقفكم على القبر، فوجدوا الأمر كما ذكره الحربي، فأرسل عقاب إلى الروقة يطلب أداء إبل الحربي، فأدوها كاملة))(١).

الشيخ حجرف بن عياد الذويبي شيخ بني عمرو من حرب أحد المشهورين بالكرم حتى الجأه ذلك إلى العدم أحياناً، وكثيراً ما كان قومه يجمعون له بعض المال إذا رأوه في حاجة، لكنهم في إحدى المرات أرادو أن يعطوه درساً في الأقتصاد، فلم يجمعوا له شيئاً كعادتهم، بل إنهم زادوا في قسوتهم عليه، فرحلوا، وتركوه في المراح، لايجد ما يركبه، وقد اتفقوا أن يعودوا له بعد أيام، ويجمعوا له مالاً بعد أن يستوعب الدرس الذي ارادوا أن يلقنون إياه. بقي هو وزوجته وحيدين في مكان القوم، فأخذت تلومه، وتؤنبه، فبات ليلته فلما أصبح، خرج يمشي في الصحراء، لايدري ماذا يفعل، وفجأة رأى ثعباناً أعمى قد أخرج رأسه من وسط شجرة صغيرة ، وفتح فمه، فجاء عصفور، فوقع عليه، فالتهمه الثعبان. لقد تعلم حجرف من هذا، وزاد يقينه بالله، فالثعبان الأعمى حصل على رزقه

---

١ ـ أبو عبد الرحمن بن عقيل الظاهري: تاريخ نجد في عصور العامية ٣ / ٢٣٥

بقدرة الله، وجد إليه الرزق دون أن يسعى له غير أنه رفع رأسه أعلى الشجرة. فرجع إلى بيته، وبات ليلته، فلما جاء آخر الليل سمع رطانة الإبل، فنهض مسرعاً إليها، فإذا هي إبل لاراعي لها، فأخذها، وشرب من حليبها، ولما أصبح حمل متاعه، وأهله على ركائب من هذه الإبل، ولحق بقومه ثم قال هذه القصيد الرائعة التي تبين لنا قوة إيمانه بالله، وشدة توكله عليه، يقول حجرف الذويبي:

يقول بن عيّاد وإن بات ليلة	ما نيب مسكين همومه تشايله
أنا إليـــا ضاقت عليّه تفرّجتي	رزقني اللي ما تعدد فضايلـه
يرزقني رزّاق الحيايا بجحـرها	لاخايلتْ برقاً ولاهيب حائله
ترى رزق غيري يا ملا ما ينولني	ورزقي يجي لو كل حي يحائله
جميع ما حشنا ندور به الثنا	وما راح منا عاضنا الله بدايله
نوب نحوش الفود من ديرة العِدا	ونخـــزز اللي ناهباتٍ عدايله
خزٍ بالأيدي مادفعنا به الثمن	ثمنها الدمَى بمطارد الخيل سايلة
مع لابةٍ فرسانٍ ننطح بهاالعِدا	كم طامعٍ جانا غنمنا زمايلـه
نكسب بهم عزٍ وننزل بهم الخطر	ولاهيب من قفرٍ رعينا مسـايله

وهذه قصة من قصص الغزو نسبها ابن بليهد لعمر بن عور أمير المحايا، وهي حقيقة لوالده جازي. قال ابن بليهد: ((وهنا ما حدثني به رجل من الشلاوى قـال: كنا حلول في وادي جهام، فما شعرنا إلا بالركبان طالعة علينـا مـن كـل ريـع، يبلـغ عددهـم خمسمائة ذلولاً، ومائة وخمسين فرساً، فضافوا العرب، وكانت حصتي منهم عمر بن عور، وهو رئيس المحايا، وهم بطن كبير من النفعة، فذبحت لهم شاة، ومعه ثمانية رجال من قبيلتـه، فلما غربت الشمس اشتغلنا في تصليح ضيافته، وقصد هذال بن فهيد الشيباني، وهو رئيس لهذه

الفزية، ففات من الليل ثلثه، وهو لم يرجع فجاءني بنو عمه، وأصحابه، فقالوا: عشـنا يـا
شلوي! فقلت لهم: إذا جاء رئيسكم عشيْناكم جميعاً. فقـالوا لي: إمَّا أن تعشـينا أو تذهـب
تأتي به، فقلت في خاطري: هؤلاء بنو عمه، ونعشيهم، ونبقي لـه أحسـن مـا في الشـاة مـن
لحم، وهي الفطحة، ونبقي له من الرز أزود من كفايتـه. فلما خلص بنـو عمـه مـن الأكـل
ذهبت إلى خبائي، فلمـا آويـت إلى فراشـي نمـت قليـلاً، ثـم سمعـت خصومـة عنـد رحـال
الضيوف، فقمت فزعاً فقصدتهم، وإذا بي أسمعه يقول (لزمَّاله) شل علـى ركائبنـا نـدور لنـا
عتيبي نضيفه، فقلت له: يا بن عمر! تعوذ من الشيطان عشـاك حـاضر رافعـين لـك مفطـح
الشاة، ورز، ثم التفت إليَّ، وقال: أسألك با لله الذبيحة لي وإلا لهم؟ فقلت لـه: إنهـا لـك!
قال: يا شلوي ذبيحتي ما قلطتهـا لي. فتقدمـت إلى الغنـم فجئـت بخـروف فذبحتـه، وهـو
يراني، وندبت النساء على تعجيله، وتعجيل الرز، فتعشى، ونام. فلما أصبحنـا قلـت لـه:
أحب أن أصحبكم لعل ا لله يرزقني من إبل حرب، فقـال لي: علـى شـرط أن تكـون معـي،
فقلت له: نعم إلا إذا وجدت غزواً مـن قبيلـتي كنـت معهـم، فقـال: علـى شرط أن يكـون
منزلكم عندنا في الحل، والترحال. واتفقنا على ذلك وشديت رحلي على راحلتي، وتوجهنـا
إلى بلاد حرب، وبنقل المخابرات أن أدنى حرب قريـب مـن جبـال الموشـم، والمسافة تبلـغ
أربعة أيام، فلما كانت المسافة قد قطعنا منها ثلاثة أيام بعث رؤساء القـوم (أسبور) لتثبيـت
منزل الأعداء، ورجع السبور، وقالوا: رأينا إبلاً كثيرة بين صارة، وجبال الموشَم... فأدلجنـا
ليلتنا، فلما بقي من الليل ثلثه، وظننا أن الأعداء بين أيدينا اتفق رؤساؤنا على أن نسـتريح
حتى يبدو الفجر، ونصلي الصبح، ونرى البعيد والقريب، وحينما إبرهز الصبح رأينا الإبـل،
وأمر الرؤساء بالغارة عليها، فأخذنـا إبـلاً كثـيرة، وانطلقنـا بهـا، ثـم لحقتنـا خيـل حـرب
كالجراد، فأخذوا إبلهم من أيدينا، وقلنا لعلهـم يكتفـون بهـا، ولكنهـم طمعـوا في ركائبنـا،

وخيلنا، وفعلاً ابتدوا في أخذ الركاب، فما شعرت وأنا على ظهر راحلتي إلا برجلٍ من حرب على فرس حمراء، وهو يقول: على رقبتك يا راعي الرحول، فما شعرت إلا وعمر بن عور يقول للفارس الحربي: عنه، فضرب برمحه الفرس، فسقطت فمرّ عليّ، وقال: انجُ ياشلوي! وعمر يراعيني، فجاء فارس[آخر] من حرب فقال: على رقبتك يا راعي الذلول! وهذا الفارس على حصان أسود، فلما التفتُ إليه - قصدي تسليم راحلتي له — وإذا عمر يفاجئ الحربي بطعنة قضت عليه، وأخذ حصانه، فلما رجعتْ حرب عنا، وأيقنا بالسلامة جاءنا عمر، وقال لعينيك يا شلوي! أستاهل ذبيحتين وإلا لا؟ فقلت: تستاهل عشر))[1].

هذه صورة من صور الغزو في عصر الفوضى الأمنية التي كانت سائدة في هذه البلاد قبل ظهور العهد الجديد، ونلاحظ، أنهم يستبيحون أموال الآخرين، ويعدونها كسباً مشروعاً، ويطلقون على الاخرين صفة الأعداء، ولماذا أعدا، وهم جميعاً مسلمون، وعرب، وخاصة أهل نجد فترات طويلة.

---

[1] ــ محمد بن بليهد: صحيح الأخبار ٥/ ٢٧٥ ــ ٢٧٦

حركة الإخوان

حركة الإخوان *

تعد حركة الإخوان من أعظم انجازات الملك عبد العزيز، ويرى الكثير أنها العنصر الأساسي الذي قامت عليه انتصاراته، فقد بعث فيهم روح الجهاد، والتضحية، عندما أسس الهجر، التي كانت بمثابة معسكرات لهم، وهم من أبناء البادية المتمرسين في الحروب، خلال سني الفوضى، إبان الحروب القبلية التي كانت تمارس كهواية مفضلة، أو لكسب الرزق بالقوة، فقد تحولت هذه الهواية أو العادة إلى هدف نبيل، هو نشر الدين، ومحاربة البدع. ((فإذا كان محمد بن عبد الوهاب بدعوته واستجابة آل سعود قد نقل نجداً من هامش التاريخ، لتصبح مركز الأحداث في الجزيرة العربية، فإن حركة الهجر أو الإخوان، هي التي بعثت الوهابية، بعدما نسيت)) (١). وهم لايكادون ينهزمون في معركة يخوضونها ، فقد باعوا أنفسهم لله راضين مقبلين على الشهادة .

أما كيفية ظهور الحركة فإن المحققين من المؤرخين يرون أن الملك عبد العزيز هو الذي أسس هذه الحركة بدعوته إلى إنشاء الهجر(٢)، وتعليم الناس الدين الصحيح، أو على الأقل هو الذي قاد هذه الحركة، وجعل لها الدور الكبير الذي قامت به. وقد وفرّ لهم كل مايحتاجونه من مال، وتعليم. فضرب بهم الملك عبد العزيز القوى الخارجية، والداخلية حتى تمكن من تأسيس هذا الوطن، ومَن يطلع على وصف معركة تربة كمثال لمعارك الإخوان

---

* - محمد جلال كشك: السعوديون والحل الإسلامي ص٥٥١ وما بعدها.

[1] - محمد جلال كشك: السعوديون والحل الإسلامي ٥٥١.

[2] - يذكر المؤرخون أن أول هجرة أنشئت كانت هجرة الارطاوية سنة ١٣٣٠هـ ١٩١٢م، وأول من سكنها قبيلة حرب، ثم أعطيت للدويش شيخ مطير. انظر محمد جلال كشك: السعوديون والحل الإسلامي ص ٥٥٨ ـ ٥٥٩

يعرف مقدار التضحية، ومقدار العمل الذي قاموا به في تأسيس هذا الوطن، خذ مثلاً قول عبد الله فلبي فقد قال: إنه زار موقع المعركة بعدها بخمسة عشر عاماً، فرى أكواماً تشبه التلال من العظام، عظام البشر، والخيل، والإبل، وليس هذا عجيباً، فليس تأسيس الدول بالأمر الهين (١).

معركة تربة

تقع الخرمة على مسافة خمسين ميلاً من جبل حضن إلى الشرق، وتقع تربة على مسافة خمسة وسبعين ميلاً منه إلى الجنوب.

وتعد الخرمة، وتربة الحد الفاصل بين نجد، والحجاز، لهذا جاء في الأثر: ((مَن رأى حضناً فقد أنجد)). وكانت زعامة الخرمة للأشراف، لكنهم ليسوا على وئام مع أشراف الحجاز، خصوصاً بعد أن اعتنق سكان المدينتين ــ تربة والخرمة ــ الدعوة الإصلاحية في أيامها الأولى، فهم يميلون إلى أهل نجد أكثر من ميلهم لأهل الحجاز. وأغلب سكان الخرمة من قبيلة سبيع، وفيها عدد من الموالي، و أما الأشراف في الخرمة فقدَّر عددهم الريحاني بثلاثمائة ألف إبان النزاع بين الملك عبد العزيز، والأشراف. وكان أميرها الشريف خالد بن منصور بن لؤي، أحد أتباع الدعوة الاصلاحية المتحمسين لها. وأما تربة، فسكانها من قبيلة البقوم، وفيها أيضاً عدد من الأشراف.

قال الريحاني: ((ومع إن تربة قرية لايتجاوز عدد سكانها الثلاثة آلاف، فهي ذات أهمية لأنها في الطريق إلى الطائف. هي باب الطائف من الوجهة النجدية، وحصن الطائف من الوجهة الحجازية. ويتبع تربة سهل شرقي إلى الشمال الشرقي من مستنقعات البقوم، وعدد سكانها ثلاثة آلاف من البادية، وحول هاتين القبيلتين ــ سبيع، والبقوم، وقراهما ــ

---

[1] ــ محمد جلال كشك: السعوديون والحل الإسلامي ص ٥٥١ ــ ٥٧٩

تسرح، وتمرح قبيلة عتيبة الكبيرة))(١). ونظراً لأهمية المدينتين، فقد كانتا محل نزاع بين الجانبين النجدي والحجازي منذ بدأت الدعوة الاصلاحية في الانتشار. وبعد انتهاء الحرب العالمية أراد الشريف حسين أن يتوسع في حدود ملكه، بتأييد من بريطانيا مكافأة له على وقوفه إلى جانب الحلفاء ضد ألمانيا، وتركيا، وأرادت بريطانيا أن تطلق يد الشريف في الجزيرة العربية باستثناء مناطق النفوذ الاستعماري في فلسطين، والشام، والخليج العربي. فزحف الشريف على المدينة المنورة، ثم احتلها، وأرسل لزعماء العرب يخبرهم بذلك، وطلب منهم تأييده. وكانت الخطوة التالية له الزحف إلى الشرق، فاتجه إلى تربة، والخرمة، وكانتا قد أظهرتا ميلهما إلى سلطان نجد الملك عبد العزيز، فأراد أن يؤدبهما على خروجهما عن الطاعة كما زعم، لكنه أراد المباغته، فتظاهر بالعودة إلى مكة. لكن الأخبار تواترت بسير الجيش الشريفي إلى تربة، والخرمة وقوامه سبعة آلاف: الفان من الجيش النظامي، والبقية من رجال القبائل الموالية للأشراف. فمرّ بعشيرة، ثم واصل سيره حتى نزل في شعيب (البديِّع) في جبل حضن، فتحقق السلطان عبد العزيز من هدفه الحقيقي. وقد تبادل قائد الجيش الشريفي الأمير عبد الله بن الحسين، والسلطان عبد العزيز عدة رسائل يحذر كل منهما الأخر من مغبة المواجهة، ويبدئ رغبته بالسلام(٢). ومما جاء في هذه الرسائل قول السلطان عبد العزيز: ((قد تحقق عندي خلاف ما أخبرتني به سابقاً...والظاهر إنك مهاجم تربه، والخرمة. وذلك مخالف لما أبديتموه للعالم الإسلامي عموماً، والعربي خصوصاً. واعلم رعاك الله أن أهل نجد لا يخذلون إخوانهم، وأن الحياة في سبيل الدفاع عنهم ليست بشئ. نعم، وأن عاقبة البغي وخيمة. خير لك إذن أن تعود إلى عشيرة. وأنا

---

[١] ـ أمين الريحاني: تاريخ نجد في العصر الحديث ٢٥١

[٢] ـ انظر نصوص هذه الرسائل في أمين الريحاني: تاريخ نج الحديث ص ٢٤٤ ـ ٢٥٠

أرسل اليك أحد أبنائي أو إخوتي للمفاوضة، فتتم الأمور على ما يرغب به الفريقان إن شاء الله في ١٠ شعبان ١٣٣٧)). فأجابه الأمير عبد الله بن الحسين قائد الجيوش الشرقية برسالة طويلة منها: ((كل من شق عصا الطاعة من رعايا صاحب الشوكة، وعاث في الأرض فساداً يستحق التأديب شرعاً، شخصاً واحداً كان أو آلف شخص)). ((أما قولك: إن الناس نذروا جميعاً لحربنا... فإن جاءونا (أي عرب برقة والروقة الذين أنذرهم بنية حسنة، فنحن لهم، وهم لنا ياعبد العزيز قبل أن ينزل أجدادك بنجد، وإن بقوا فلكل باغٍ مصرع في ٢٣ شعبان ١٣٣٧)). زحف الجيش الشريفي على تربة، ودخلها في ٢٤ شعبان ١٣٣٧هـ أي بعد يوم واحد من وصول كتاب السلطان عبد العزيز. فلم يجد إلا مقاومة يسيرة، فأباح للجيش أن يعيثوا فساداً في البلد، وقبض على بعض المشايخ، واثنين من التجار النجديين، فاعدمهم.ثم عسكر في الجهة الغربية، وكتب إلى زعماء القبائل في ركبة، وفي الخرمة، وفي رنية، يخبرهم بما حل في تربة، ويهددهم إن لم يجئوا إليه صاغرين طائعين.كان الشريف خالد بن منصور بن لؤي أمير الخرمة موجوداً عند السلطان عبد العزيز في الرياض عندما زحف جيش الشريف على تربة، فقال أنا أكفيكه إذا قام معي سلطان بن بجاد بعتيبة، وكان الشريف خالد على خلاف شديد مع أشراف الحجاز. فقال عبد العزيز: افعل ما بدا لك. فانطلق سلطان ابن بجاد، وخالد بن لؤي من الغطط، ومعهما ألف ومئتان رجل من عتيبة على الهجن، ثم مرّ بأهل الخرمة، وخرج معهم حوالى ثمانمائة رجل، فلم يزد عدد الجميع على ألفين. وسار من الخرمة حتى نزلوا في مكان يسمى (قرنين) على مسير أربع ساعات على الهجن من الخرمة. وقد علم بهم قائد جيش الشريف، فلم يكترث بهم، ولما أذن لرسول عبد العزيز بالعودة قال له: ((أخبر الخوارج، ومن التف حولهم... قل لهم: إننا سنكفيكم مؤنة القدوم إلى تربة ـ قل لهم ما جئنا تربة من أجل تربة، والخرمة فقط..

سنصوم في الخرمة إن شاء الله، وسنعيد عيد الأضحى في الحساء)). رحل رسول عبد العزيز من الشريف في تربة وقت الظهر، ووصل إلى (قرنين) بعد صلاة العصر، فاجتمع الإخوان عليه مستخبرين، فشق ثوبه، واخبرهم بما فعل الشريف في تربة، وبما قاله له. فصاحوا صيحة واحدة: إياك نعبد، وإياك نستعين. هبت هبوب الجنة وين أنت يا باغيها. هبت هبوب الجنة وين أنت يا باغيها. فمشوا قبل صلاة المغرب قاصدين تربة، بائعين أنفسهم لله، فقلة عددهم تجعل النصر لهم غير متوقع، ولكن القصد الاستشهاد في سبيل الله. جاء إلى الأمير عبد الله من حذره بأن الإخوان قد خرجوا من الخرمة يريدون الهجوم عليه، لكنه غضب على مَن أنذره، وقيل ضربه حتى الموت، ثم نام مطمئناً. وكان الإخوان قد علموا من رسول عبد العزيز كيفية توزيع جيش الشريف، فانقسموا إلى ثلاث فرق قبل أن يصلوا إلى نخل تربة، فوصلوا تربة في منتصف ليلة ٢٥ شعبان ١٣٣٧ هـ فهجموا عليهم من ثلاث جهات قال الريحاني: ((تقدم خالد، ورجاله، وفيهم مَن شردوا من تربة، فدخلوا الباطن، وقصدهم الاستيلاء على مخيم الأمير. هشوا وسلاحهم الأبيض يلوح في ظلام شفاف، فاصطدموا بالسرية الأولى من الجيش الحجازي، وذبحوا رجالها كلهم. وكذلك الثانية. ثم هجموا على السرايا المقيمة عند مخيم الأمير، ففتكوا بها فتكاً ذريعاً. وهجم ابن بجاد برجاله، وكلهم من أهل الغطغط، على الجنود النظامية وراء المتاريس، والمدافع، فكانت السيوف تشتعل كالمقاصل، وكان ابن بجاد يثب على المدفع، فيذبح الضابط المقيد وراءه بالحديد. ولكن هول الفوضى والظلام كان أفظع من التذبيح، فبطش الجنود بعضهم ببعض، ويظنون أنهم يبطشون بالإخوان! أما فرقة الخيل، فقد قطعت خط الرجعة خصوصاً على حرس الأمير، فلم ينجُ منهم غير الأمير نفسه، وبعض الضباط، ونجاب ابن سعود الثاني... أما الذين نجوا من الذبح تلك الليلة، ولم يستطيعوا الفرار، فقد التجأوا إلى حصنٍ من حصون

البلد، فهجم الإخوان عليهم في اليوم التالي، وجعلوا خاتمة المذبحة كأولها... وكان من اللاجئين إلى ذلك الحصن الشريف شاكر، فكتب له النجاة، ونجا معه شاب من الأشراف اسمه عون بن هاشم اجتمعتُ به في جدة... وهو يومذاك في العشرين من سنه. فقد كان عمره يوم شهد تربة خمس عشرة سنة.

قال الشريف عون بن هاشم... عن هول ذاك اليوم: رأيت الدم في تربة يجري كالنهر بين النخيل، وبقيت سنتين عندما أرى المياه الجارية أظنها وا لله حمراء. ورأيت القتلى في الحصن متراكمة قبل أن طحت من الشباك. ومن أعجب مارأيت... رأيت الإخوان أثناء المعركة يدخلون الجامع ليصلوا، ثم يعودون إلى القتال))(١). انتهت المعركة بهزيمة ساحقة لجيش الشريف، قيل: إن القتلى بلغوا خمسة الأف، فلم ينجُ من الجيش النظامي إلا خمسة ضباط، ولم ينجُ من رجال القبائل إلا من انظمّ إلى الإخوان.كان السلطان عبد العزيز قد تحرك بجيش قوامه اثنا عشر ألفاً، فلما وصل إلى مكان بين ماء القنصلية، والخرمة جاءه الخبر بعد المعركة بخمسة أيام بهزيمة الشريف، فاستمر سائراً حتى وصل الخرمة، ثم واصل سيره حتى وصل تربة، فبكى عندما شاهد كثرة الضحايا. فقال له بن بجاد، وخالد بن لؤي رخص لنا في الهجوم على الطائف، قال: كفى الباغي جزاء بغيه. قال ابن غبيشان من الصملة من سبيع يمدح سلطان بن بجاد وخالد بن لؤي بقصيدة أملاها علي الشيخ ذياب بن جروة شيخ الصملة، منها:

جانا بشير يزرغ القلب علمه	جانا بخطوط هرجها صدوق
خالد وسلطان تمالوا على السعد	نمور الفرائس هرجهم صدوق
ياليتني معهم على دبرة ا لله	وقلبي مع محضار الجهاد يتوق

---

(١) ـ أمين الريحاني: تاريخ نجد في العصر الحديث ص ٢٥٣ ـ ٢٥٧

يوم أن هل التوحيد باعواعمارهم	حطوا لهم جوف المحـارم سوق
يردون حوض الموت ورد الظوامي	وربي نصرهم مـن بني محلوق
من نشات أبو تركي حمى...	لا لـــزم كل مجوف مفتوق
إمامنا قــواد حمـــر السرايا	مودع علىكبد الحريب احروق
مثل الأسد ماأحد يقرب هيشته	قوي المخالب بالكفوف صفـوق

تأزمت العلاقات بعـد معركـة تربـة بـين أهـل نجـد، وبـين أهـل الحجـاز، فتوقف النجديون عن أداء الحج خوفاً من أن يأسرهم الشريف في المناسك، واستمر هـذا الوضـع مـدة ست سنوات، وأخذ الإخوان يلحون على إمامهم عبد العزيز، ويطلبون منه أن يجد لهم حلاً أو يسمح لهم بغزو الحجاز .

ولم يكن عبد العزيز متعجلاً خشـية تدخـل القـوى الخارجيـة إلى جـانب الأشراف، وآخير أذن لهم فتحركوا مرة أخرى سنة ١٣٤٣هـ بعد ست سنوات من وقـوع معركـة تربـة، فدخلوا الطائف منتصرين، ثم لحق بهم الإمام عبد العزيـز فزحفـوا علـى مـدن الحجـاز بـدأ بمكة ، ثم جدة ، فأزالوا حكم الأشراف من الحجاز نهائياً.

يقول ابن غبيشان السبيعي من الصملة في غزو الإخوان للحجاز:

جينا هل العلم نبا العلم ينحالي	وقلوبنا ما تبا إلا حج بيت ا لله
قالوا هل العلم هذا مثل الأمثالي	مسيركم تمّ وأنتم في سبيل اللـه

وقد أخبرني بها شباب بن جروة شيخ الصملة من سبيع وقد اشترك مـع الإخـوان في الوقائع التي تلت معركة تربة، وكان عمره آن ذاك حوالى خمسة عشر سنة.

معركة الجهراء *

العلاقات السعودية الكويتية علاقات أخوية منذ القدم، فقد كان التعاون قائماً بين الأسرتين الحاكمتين في البلدين في مواجهة الأحداث التاريخية، والمشكلات التي كانت تحدث في الخليج، إبان تأسيس دوله في العصر الحديث، وقد جمع بينهما أصل النسب، والصالح، والمصير المشترك، وكانت الكويت مأوى آل سعود عندما ضعفت دولتهم الثانية بسبب الحروب الأهلية، فسقطت على يد ابن رشيد، فوقفا سوياً ضد الأتراك، وضد إمارة آل رشيد المدعومة منهم، وخاضا ضدها معركة الصريف بالقرب من بريدة سنة ١٣١٨هـ ١٩٠١م. وبعد فتح الرياض ١٣١٩هـ ١٩٠١م شرع الملك عبد العزيز في تأسيس دولته المترامية الأطراف، وكانت الصعوبات التي واجهته كبيرة، لكنه تغلب عليها بفضل رب العالمين أولاً، ثم بما وهبه الله من شخصية نادرة في عصره، فقد استفاد من القوى الداخلية، كما استفاد من القوى الخارجية. وفي الوقت الذي كان ابن سعود يقوم بتأسيس دولته، كان رجل الكويت الأول أميرها مبارك الصباح، يطمح إلى توسيع رقعة دولته، ولكن الظروف لم تمكنه من ذلك، وسارت الأمور بينه، وبين ابن سعود على ما يرام سوى بعض الخلافات اليسيرة، ولما توفي خلفه ابنه جابر، وكان حصيفاً، لكنه توفي في السنة الثانية، فخلفه أخوه سالم بن مبارك، وكان غير راضٍ عن الإخوان، وطريقتهم في الدعوة، فطرد التجار النجديين من بلده سنة ١٣٣٦هـ، ولم تكن هناك حدود بين البلدين، وكانت الأموال السائدة هي الإبل، والغنم، وتحتاج إلى المراعي أينما نزل الغيث. وأراد الإخوان من قبيلة مطير على رأس هايف بن شقير الدويش تأسيس هجرة لهم على ماء (قرية) في الصمان، فقاموا بالبناء في هذا المكان.

---

* ـ انظر أخبار هذه المعركة في أمين الريحاني: تاريخ نجد الحديث ص٢٧٠ ـ ٢٧٦، ومحمد جلال كشك: السعوديون والحل الإسلامي ص ٥٩٦ ـ ٥٩٨

فلما علم بذلك الشيخ سالم أمير الكويت، وكان للكويت بضعة آلاف من الإبل والغنم ترعى في المراعي على مقربة من ذلك المكان فخاف عليها سير قوات قوامها ثلاثمائة رجل بينهم ثلاثمائة فارس، بقيادة دعيج الصباح، وكان أغلبهم من عريب دار(١) فنزلوا في وادي حمض بالقرب من قرية، وأرسلوا إلى مَن كان عليها أن يرحلوا عنها، وكان الإخوان عندما علموا بقدوم جيش ابن صباح قد أبلغوا فيصل الدويش فصادف وجوده باللهابة، فأرسل إلى ابنه عبد العزيز أن يحضر بالبيرق من الإرطاوية، فوصل أهل الإرطاوية على وجهة السرعة، وباغتوا قوات دعيج، فانهزمت، وعادت فلولها إلى الكويت، وكان ابن سعود لايعلم بما حدث، إذ لم تكن هناك وسائل اتصال غير السفر على الجمال عدة أيام، أو عدة أسابيع، ولم يعلم حتى أرسل الإخوان له خمس الغنائم في الرياض، فلما وصلته ، وعلم بالأمر، غضب غضباً شديداً على الدويش، وقال: لم أمركم بهذا، وأمره أن يجمع كل ما أخذ من الكويتيين، ويبقيه عنده حتى يجيئه من ابن صباح مَن يستلمه منه، وأرسل رجلين من قبله إلى أمير الكويت، ومعهما الغنائم التي وصلته، والرجلان هما: عبد الله السميط، وعبد العزيز الحسن، ومعهما رسالة فيها عتاب واعتذار من عبد العزيز، عتاب على تدخل الشيخ سالم في شؤون دولته، واعتذار مما فعله الدويش. لكن الشيخ سالماً، لايزال على غضبه، فلم تغير الرسالة شيئاً من موقفه، وقرر أن يعود الكرة مرة أخرى بل قرر ماهو أخطر، وهو الاستعانة بابن رشيد عدو الطرفين، فأمر ابن رشيد ضاري ابن طوالة، وكان مقيماً في أطراف العراق بمساندة ابن صباح، فقدم ضاري إلى الجهراء حيث كانت تتمركز قوات ابن صباح، ثم سارت القوة متجهة إلى قرية مرة أخرى. وكان ابن سعود في الأحساء، فلما علم بذلك أمر الدويش بالتصدي لهم، هو ومَن معه. وسار كل من الطرفين نحو الأخر، لكن ابن طوالة

---

١ - عريب دار: كلمة تطلق على الخليط من الناس الذين لاينتمون إلى قبيلة معينة.

ردعيج الصباح اختلفا على القيادة في الطريق، فرجعا إلى الجهراء، وتبعهما الدويش، ثم نزل في الصباحية، ومعه أربعة آلاف رجل، وخمسمائة فرس فلما علم الشيخ سالم قرر أن يقود المعركة بنفسه، فوزع قواته في حصون الجهراء، وفي مزارعها، وعددهم نحو ثلاثة آلاف رجل. وفي ٢٦ محرم ١٣٣٩هـ ١٩٢٠م التقى الطرفان لقاء الموت، فالإخوان طالبو شهادة، والدافعون لايعرفون الاستسلام، فأخذت بنادق المدافعين تحصد الإخوان قبل دخولهم إلى المزارع، والحصون، ثم تغلب الإخوان على المدافعين في الحصون بعد خسائر كبيرة في الأرواح من الطرفين، فلجأ الشيخ سالم إلى حصن شرقي الجهراء، وهناك دارت مفاوضات بين الجانبين، كان الإخوان فيها يطالبون بأن يديِّن أهل الكويت، ويكونوا جميعاً سواء في دين الله، وكان الشيخ سالم يهدف من وراء هذه المفاوضات إلى كسب الوقت للاستعانة بالانجليز، الذين لايريدون دوراً للإخوان في الكويت، فرست مراكبهم في شواطئ الكويت، وأخذت ترسل الأسهم النارية ليلاً، وكان منظراً غريباً، ومخيفاً، فانسحب الدويش، ومن معه، ولم تحقق هذه المعركة الفظيعة مكسباً لأحد الطرفين، وقد كبدتهما خسائر كبيرة أكثر من ثلاثمائة من الكويتيين، وأكثر من خمسمائة من الإخوان. ثم توفي الشيخ سالم سنة ١٧من جمادى الثانية ١٣٣٩هـ ٢٧ شباط ١٩٢١م، وخلفه ابن أخيه أحمد الجابر، فرجعت العلاقات إلى طبيعتها بينه، وبين ابن سعود. قال ابن عثيمين قصيدة يمدح فيها الإخوان، وخاصة فيصلا الدويش بعد معركة الجهراء:

سَلِّمْ على فيصلٍ واذكر مآثره ... وقلْ له هكذا فلتفعلْ النُجُبُ

سيف الإمام الذي بالكف قائمه ... ماضي المضاربِ ما في حده لَعِبُ

الساكنينَ بارطاويةَ نصحوا ... للدين بالصدقِ ما في نصحهم خلبُ

كذاك إخوانهم لاتنسَ فضلَهمُ ... هم نصرة الحقِ صدقاً أينما ذهبوا

أعني بهم عصبةَ الإسلامِ مَن سكنوا   مُبايضاً ولحَربِ المارقِ انتدبـوا

هم أهلُ قرية إخوان لهمُ قدمٌ   في الصالحاتِ التي ترجَى بها القُرَبُ

وقال برجس بن دعسان الدويش في معركة الجهراء، ويمدح فيصل بن سلطان الدويش، وقد أنشدنيها أبو حواس ناصر بن عبيد:

يامزنة هلت من الموت شختور   ملت طفاف مريطبـة من حمرهـا

ترعد وتبرق وأمطرت مالها سور   ياويل هاك اليوم من جا في نحرها

يقودها فيصل على شقة النـور   كم رايـة بعيـال علوى دمرها

مالت على شمر وهج بن مشهور   ناس على سنجار ربي حشرهـا

منها الصويطي راح يزبن الهـور   واللي بحد السيف طاح بحرها

حر مضرينه على الجول مسعور   عـنه الحباري لبد في شجرهـا

ياناس طيعوا وافهموا واسمعوا الشور   ياويلكم كانه ركب في ظهرهـا

نجد بها صاحي وجني ومزيور   نجد بها ظلمى وفيصل قمرهـا

ولكـن هـذه الحركـة (حركـة الإخـوان) تعرضـت للتشـويه، والإهمـال مـن المؤرخـين، لأسباب يعود بعضها للإخوان أنفسهم، مـن أهمهـا تشدد بعـض قيـادتهم، ورفضهم قبول وسائل الحضارة الحديثة، ومعاملة إخوانهم من الباديـة الذيـن لم ينزلوا في الهجر بشدة. وهذه رسالة من العلماء إلى قيادات الإخوان، وفيها توضيح لما كانوا يقعون فيه مـن تشدد في تعاملهم مع الآخرين: ((من عبد الله بن عبد اللطيف، وحسن بن حسين، وسـعد بـن حمد بن عتيق، وعمر بن محمد بـن سـليم، وعبـد الله بـن عبـد العزيـز العنقري، وسليمان بن سحمان، ومحمد بن عبد اللطيف، وعبد الله بن بليهد، وعبد الرحمن بن سالم إلى الإخوان

كافة من أهل الهجر، وغيرهم، وفقنا الله، وإياهم لما يحبه، ويرضاه، وجعلنا من حزبه، وأوليائه. آمين.

سلام عليكم، ورحمة الله، وبركاته. وبعد ذلك أنكم تفهمون ما منّ الله به علينا، وعليكم من نعمة الإسلام، تجديد هذه الدعوة، والذي علينا، وعليكم شكر الله واتباع أوامره، واجتناب نواهيه. ولايخفى عليكم ما جرى من الاختلاف، وكثرة الشبه، وهي على ثلاثة أمور:

الأول: وهو الأكثر طلب الخير، الاجتهاد، ووقوع الناس في أمور تخل بدينهم، ودنياهم، لأنهم يأتون ذلك محبة للدين بغير دليل.

الثاني: لابد أن في بعض الإخوان المتقدمين شدة، وتعصب بغير دليل. فلما تبين له الأمر، وسأل طلبة العلم، وتحقق عنده أن تعصبه خطأ، استنكر منه إخوانه، وصار بينه، وبينهم اختلاف بغير سؤال، ولا تبيين حقيقة ماعنده.

الثالث: أتوا به أناس من الذين يدّعون طلب العلم من الحضر، وهم جهال يدخلون على بعض الإخوان أموراً مشتبهة. يريد أحدهم الحق، وهو مخطئه، وآخر يرغب في معرفة الأمور المخالفة. فلما تحقق ذلك عند أولي الأمر، وعند العلماء أحبوا اجتماع المسلمين مع علمائهم، وولاة الأمر منهم. فلما حضروا سمع الحاضر بنفسه، والغائب نبلغه بهذا الكتاب. فقد سألنا الإمام عبد العزيز بحضرتهم عن أمور هي:

الأول: هل يطلق الكفر على بادية المسلمين الثابتين على دينهم القائمين بأوامر الله، ونواهيه أم لا؟

الثاني: هل من فرق بين لابس العقال، ولابس العمامة إذا كان معتقدهما واحدأم لا؟

الثالث: هل في الحضر الأولين وفي المهاجرين الآخرين فرق أم لا؟

الرابع: هل ذبيحة البدوي الذي في ولاية المسلمين، ودربه دربهم، ومعتقده معتقدهم، وفي ذبيحة الحضر الأولين أو المهاجرين فرق حلال أو حرام أم لا؟

الخامس: هل للمهاجرين أمر أو رخصة في اعتدائهم على الذين لم يهاجروا، فيضربوهم أو يؤدبوهم، أو يهددوهم أو يلزموهم بالهجرة أم لا؟ وهل لأحد بدوياً كان أو حضرياً بغير أمر واضح أو كفر صريح أو شئ من الأعمال التي يجب هجره عليها بغير أذن من ولي الأمر أو الحاكم الشرعي؟ فأجبناه بحضور الحاضر من المسلمين أن كل هذه الأمور مخالفة للشرع، وما أمرت بها الشريعة. وإن الذي يفعلها ينهى عنها، ويزجر، فإن تاب، وأقر بخطئه فيعفى عنه. وإن لا يعادى، ولا يصادق إلا على ما أمرت به الولاية أو حكم به حاكم الشرع. والذي يفعل ما يخالف ذلك فطريقته غير طريقة المسلمين. وهذا الذي ندين به، ونشهد الله عليه. ونرجوه أن يوفقنا، وإياكم للخير، وصلى الله على محمد، وآله وصحبه، وسلم. سنة ١٣٣٧هـ))[١]. ولكن بعض الإخوان استمر على موقفه حتى وقعت الأزمة بينهم، وبين الملك عبد العزيز، لكن هذه الأزمة انتهت بسرعة، بعد وقعة السبلة سنة ١٣٤٧هـ ومضت البلاد في طريقها إلى الأمام، وأخذ الإخوان يؤدون دورهم كجيش يحمي البلاد، ويحافظ على مكتسباتها حتى أنشئ الجيش السعودي الحديث. وعندما بدأت الدولة تفكر في تطوير جيش الإخوان، سنة ١٣٥٤هـ وتعلمهم مبادئ العسكرية، وترك الهجن، والخيل، وحددوا لذلك شهر صفر صعب على الإخوان ذلك، وصعب عليهم استبدال لبس المعم[٢] بلبس (البرنيطة) والبنطلون العسكري، فقال سعود بن محمد العماج من قحطان،

---

[١] ـ أمين الريحاني: تاريخ نجد الحديث ص ٤٣٣ ـ ٤٣٤

[٢] ـ المعم: شاش أبيض يلفه الرجل على شكل عقال يضعه فوق رأسه على العمامة، وقد أصبح لباساً مميزاً للإخوان.

يمدح الإخوان، ويذكر دورهم في الأزمة بين السعودية، واليمن، ويذم لبس العسكر، وزعيمهم مهدي بك، فقال :

يا الله المطلوب يا عدل النظر يـــا علياً في سمواته رفيع

احنا هل التوحيدلاجانا الخـر إليــا لفانا العلم برقياً ســريع

يوم حنا العام في سيف البحر والجنائز مثل عيدان صـريـع

من سعادة فيصل السيد حضـر طرَّح الأسباب له في كل ريــع

شيخ (ميدي)يوم جيتوه انقهر خايف من ضربة السيف الوريع

جنب السكة ودشوا في البحر ومن سعادة حظكم جوا به منيع

عسكريتنا توفــت في صفـر سامها مهدي وحنا نبيـع

وا لله إنا ما نبي لبس الكفـر لابسينه وشوفهم شوف شنيع

لابس الشنقيط وا لله إنه مايسر وا لله إنه دائماً مثل الضريـع

ومثل هذا قول محسن بن خاتم الزيادي النفيعي يمدح أمير فوجهم فارس أبـا العـلا، وقد أنشدنيها مارق بن سعيدان المحياني، قال محسن:

حنـــا مشينا ضــد للمعتدينا تسمع لنا مع طلعة النور تصويت

في رأي أميرٍ يلطم العايلنـا أبو عمـر لطّام جمع الطواغيت

يبونـــه آل سعـود للظاليمنا نجمٍ إليا أهوى شتت الكفر تشتيت

حنا هل التوحيد فـي كل حينا أرواحنا من دون الإسلام توقيت

على الحدود وللطلب زاهبينـا قـروم نجد أهل الفعائل بتثبيت

أشهر هِجَر الإخوان *

((ارتبطت حركة الإخوان بإنشاء هجر استقر فيها الأفراد المنتمون إلى تلك الحركة، وكان لكل قبيلة هجرها الخاصة بها. والهجر التي نتجت عن حركة الإخوان كثيرة جداً.

ولعله من المناسب أن يذكر هنا ما كان منها مشهوراً من حيث الأدوار التي قام بها زعماؤها في تاريخ الفترة التي يتناولها هذا الكتاب، وهي كما يلي مرتبة أبجدياً حسب أسماء القبائل:

من أشهر هجر قبيلة حرب: (البرود) وزعيمها نايف بن مضيان و(دخنة) عايد البهيمة و(الشبيكية) هندي الذويبي و(الغوارة) حجاب بن نحيت و(قُبَة) عبد المحسن الفرم.

ومن أشهر هجر قبيلة: الدواسر (الحمر) زعيمها هذال بن وقيان و(مشيرفة)مناحي بن حفيظ.

ومن أشهر هجرقبيلة سبيع: (الحسي) زعيمها فدغوش بن شوية (الخض)الضويري بن جفران.

ومن أشهر هجر قبيلة السهول: (المشاش) وزعيمها مناحي بن جلعود.

ومن أشهر هجر قبيلة شمَّر (الأجفر) زعيمها ندى بن نهير و(أم القلبان) غضبان بن رمال، و(العقلة) حواس بن طوالة.

ومن أشهر هجر الظفير: (الشعيبي) زعيمها عجمي بن سويط.

ومن أشهر هجر **قبيلة عتيبة:** (الحفيرة) وزعيمها مناحي الهيضل و(ساجر) ذعار بن ربيعان و(سَنَام) سلطان أبا العلا و(الصوح) سلطان الغربي و(عرجا)قطيم الحبيل

---

* محمد المانع: توحيد المملكة العربية السعودية ص ٣٦٣ ـ ٣٦٥

و(هروى) حشر بن مقعد بن حميد و(عسيلة) غازي التوم و(الغطغط) سلطان بن بجـاد بـن حميد و(كبشان) سلطان أبو خشيم و(اللبيب) عبد المحسن بن بدر الهيضل و(مصدة) خـالد بن جامع و(نفي) عمر بن ربيعان.

ومن أشهر هجر قبيلة العجمان: (الصرار) وزعيمها حزام بن حثلين و(العيينـة) نايف بن حثلين.

ومن أشهر هجر قبيلة عنزة: (بيضـا نثـايل) وزعيمهـا خلـف العواجـي(الشـعيبية١) شارع بن مجلاد و(الشعيبية٢) فرحان بن مشهور.

ومن اشهر هجر قبيلة العوازم: (ثاج) وزعيمهـا مسـاعد اللعـبي و(عتيـق) فـلاح بـن جامع.

ومن أشهر هجر قبيلة قحطان: (الرين) وزعيمها سلطان بن سفران و(الريـن العليـا) نال بن سعيدان (الهياثم) فيصل بن حشر.

ومن أشـهر هجـر قبيلـة مطـير: (الارطاويـة) وزعيمهـا فيصـل بـن سـلطان الدويـش و(التامرية) يعقوب الحميداني و(الحسو) جميعان بن ضاوي و(قرية السـفلى) هـايف الفغـم و(قرية العليا) ترحيب بن شقير و(اللصافة) جاسر بن لامي و(وضاخ) منيف بن قطيم.

من أشعارهم في وصف
القهوة ومجالسها

للقهوة مجالس مشـهورة عنـد الباديـة، ولهـم في مجالسـها، وفي أوصافهـا، وفي مـدح
متقنيها، وذم من يتخلون عنها ــ أشعار كثيرة.

وقد أصبحت رمز الضيافة في الجزيرة العربية عند الحاضرة، وعند البادية، وهـي أول
ما يبدأ به الضيف، ثم يأتي بعدها القِرى.

من جيد ما قيل في القهوة ، قول عياد الخمعلي من عنزة، وقد كان له صديق من أهل
القرانة قرب حائل، يدعى (أبو جملا).

كان عياد الخمعلي يقيض عنده، فإذا ذهب الصيف، انتجع البادية، فإذا جاء الربيع
لحق أبو جملا بعياد، وربّع معه. وفي إحدى السنوات لم يلحق أبو جملا بصديقه الخمعلي،
وفي ذات مرة أعد الخمعلي قهوته، وتذكر صديقه، فقال:

أوي فنجال على الكبد مـحــلاك   غير الطعـم يا زين نطعة حمـارك

كثُرت من حبك وقللت من مـاك   وعز ا لله إني تاعب باعتبـارك

لو أن أبو جملا على أولك وأتـلاك   عـزٍّ ا لله إنـه هو كمالك وكارك

ا لله يلومك يا أبو جملا على إبطاك   أخلفـت للعـادة وهـذا دمارك

لوبك شكية كان حنـــا نصيناك   ولو أنت عاجز كان طقيت صارك

واللي تود ويطرب البال لا جاك   اللي جماره يجدعه مع اجمارك

دايم عنه رب المقاديـر ينحـاك   أبداً تشوفه كـود عقب المدارك

واللي عمى عينك وهزمه إليا جاك   دايـم يفرك مقعده عنـد نارك

مع العرب دايم يدورك ويلقاك   عينه وراك وكل ما أخمـلت عارك

وعندما دارت القصيدة في المجالس، وتناقلها الرواة، أعجب بها الكثيرون، وعارضها بعض الشعراء ، فنظموا معانيها بأساليب أخرى جميلة، ومنهم عبيد الحمود الأسعدي العتيبي أمير بقعا، فقال:

أوي فنجال بصبحٍ عملناك ... ما صك بابك دون ضيفك وجارك

عشرين جوز من الضياحي عطيناك ... مع زايد الطبخة انكثر إبهارك

لولا أن عياد على غيره أعماك ... يوم أعرضت ما ينترك لي وقارك

يا عنك ما بك لذة لو شربناك ... لا صار ما الغالي على جال نارك

إن جان ليل قلت يا ليل ما أبطاك ... وإن جا نهار قلت ما أطول نهارك

واللي تود ويطرب البال لاجاك ... لازم ينزِّحه الولي عن إديارك

اللي إليا ضكك من البين ضكاك ... إما عطاك الشور وإلا استشارك

واللي عما عينك وهزمه إليا جاك ... هذاك عدّه لبنة من إجدارك

ما من رحيل إليا جفيته وعاداك ... إما على يمناك وإلا يسارك

وعارض قصيدة الخمعلي أيضاً الشاعر مضحي الوحير الشمري بالقصيدة التالية:

أوي أناسة مولع بان مبداك ... فنجال ولهان يشيِّع اخيارك

يا الخمعلي قطع فقارك وخلاك ... يوم ابتدا قطَّع غرايب فقارك

يا الخمعلي تر ماجرا لك وماجاك ... نبكي على جارٍ لنا مثل جارك

كل من الفرقا شكى مثل شكواك ... مير إن كل ساكتٍ ما استشارك

أخذت يا ريف المراميل ماأيزاك ... وقطعت من زين المثايل خيارك

بالناس ياريف المراميل شرواك ... لو أنت بالود تقطع شرارك

هيضت قلباً مولع القلب بعواك كنك خلوج وأبو جملا إحوارك

ما ظنتي يبلا آدمي مثل بلواك يوم أنت تقنب ليلتك مع نهارك

إليا طرى طاري مثل طريـاك سويت فنجال أمناه المشـارك

أوي فنجال سبيل لمن جاك اللي يعرفـك ما يداري خطارك

تر نارب الفنجال ما زاجد بقراك من قلة الديوان ما به إمـشارك

كثرت أنا الطبخة وقللت من ماك وسديت مذلق دلتك عن دمارك

وبديت أصالي النار والنار تصلاك لوما قضى تاليـك شبيت نارك

حق عليّ لمن يزورك ومن جاك ترحيبة باللي يحوشه إحضارك

مع كبش غلق ما يوطيه الإدراك يبي غـدي سمر العدايل تبارك

ألذ ما ياتي على البال وأمـناك يوم يعمس الناس عجة اكتارك

لاشك ما تأتي على الكيف دنياك الأمـــر بيدي واحدٍ ما يشارك

ياموله اصبر في تدابير مولاك أصبر وقل ما دبر ا لله امبارك

دبرة ولي العرش ومدير الأفـلاك كنك على الغالي امدير امدارك

واللي تود وريف عنيك إليا جاك هذاك ينحاه الولي عن اديارك

واللي إليا منه لفَى يمك أغثاك هـذاك لو ورّيته الغيض زارك

ومن أجمل ما قيل في الضيافة، وفي شبة النار للقهوة، وفي قِرَى الأضيـاف قـول دغيـم الظلماوي[1]:

يا كليب شبّ النار يا كليب شبـه عليك شبه والحطب لك يجابي

---

[1] ـ عبد ا لله الحاتم: خيار ما يلتقط ٢٩٢ ـ ٢٩٣

وعلى أنا يا كليب هيله وحبه وعليك تقليط الدلال العذابي

وادغث لها يا كليب من سمر جبه وشبه إليا منه غفا كل هابي

باغٍ إليا شبيتها بالمشبة تجذب لنا ربع سرات غيابي

بنسرية يا كليب صلف مهبه متكتفين وسوقهم بالعقابي

سراة بليلٍ وناطحين مهبه لا نسنست كن بها سم دابي

خطو الولد لو له زبون وجبه ياتي عليهم من حساب الزهابي

لا باطن الهلباج خطو الجلبة يا حلو خبط عصيهم بالركابي

أطمر لهم وأبدي سلام المحبة لاجوا على هجنٍ بيديهم خلابي

مع كبش مصلاحٍ لك ا لله نجبه لادبَّر الهين متين العلابي

والواله يا كليب عجل بصبه والرزق عند ا لله منشي السحابي

وهذه أبيات جميلة لتركي بن حميد شيخ عتيبة، يتشوق فيها إلى مجالس الرجال، وشرب القهوة، ثم يذكر الصلاة، ويفضلها، في أوقات نوم الغافلين، قال رجل من شمر: أن رجل من قومه جاءه ضيف، فأخذ يحادث ضيفه، ويسامره وكلما سأله عن بيت من الشعر لم يعرفه، حتى جاء إلى أبيات تركي التالية، فسأله عن قائلها فقال الضيف لا أعرفه، فأخذ الرجل الدلة فأراقها، وقال: الذي لايعرف هذه الأبيات، ولايعرف قائلها ما يستاهل القهوة! وأبيات تركي هي:

ياما حلا يا عبيد في وقت الإسفار جر الفراش وشب ضو المنارة

مع دلة صفرا على صالي النار ونجر إليا حرك تزايد عبارة

النجر دنّ وجاذب كل مرار مالفه الملفوف من دون جاره

في ربعة ما هيب تحجب عن الجار لا من ولد اللاش ما شبّ نــاره

أخيـر منها ركعتين بالأسـحار لا طاب نوم اللي حياته خسارة

وهذا مقبول بن هريس الشلوي[1] يشتكي من الفقـر، ويعـزي نفسـه بالصـبر، ويذكـر القهوة، يقول من قصيدة له:

يا بو سعد خل الركائب يسيـرن وإذا غدا شن على ا لله بداله

وأزمي كما يزمي على السايلة عَنْ يوم ردي الخال يبخل بماله[2]

نأخذ ثمان وجاب و النجر مادن البن باح ولا بقي إلا دلاله

ويقول غالب بن فتنان القحطاني[3] في وصف القهوة:

بَريّة يا شهيل وبهارها هيل واللـــي مسويه يمينه طَرِية

ماها قَراح هجـال شهاليل من هضبة بن حويل وإلا الوجية

ويقول مدوخ بن ضمنة في وصف القهوة، وذكر الرجال الذين يستاهلون شربها:

البن كيفه عند من يشترونه والمشكل اللي جابها من بلدها

يا مسوي الفنجال لا تحرقونه واحذرعن الشعلة تعددى صمدها

حتى يجيك محمّر كـنّ لونه محة جرادة طاير مـن جسدها

عده على اللي ما ضيات طعونه زبن اللدوح اللي تردا جهدها

وعه على اللي لابته يدهلونـه في ربعة من راح منها حمدها

---

[1] - محمد بن بليهد: صحيح الأخبار ٥ / ١٦٦

[2] - عن: اسم جبل.

[3] - محمد بن بليهد: صحيح الأخبار ٢ / ٢٠٤

وعده على اللي لابتـه يتبعونه　　　مع دربه الخلفه تفاخت ولدها

وكفه عن اللي عند فرقه بشومه　　　يمسي ويصبح ضابطٍ لك عددها

وعلى ربوعه طايرات عيونـه　　　إن باع شاته جاك حزة وعدها

أما محمد بن عبد الله القاضي[1] فقد أبـدع في وصـف القهـوة ، في قصيدتـه التاليـة، التي مزج فيها وصف القهوة بالغزل، حيث يقول:

يامل قلبٍ كلما التم الأشفـاق　　　من عام الأول به دواكيك واخفوق

كنه مع الدلال يجلب بالأسـواق　　　وعامين عند امعيزل الوسط ماسوق

يجاهد جنود في سواهيج الأطراق　　　ويكشف له أسراراً كتمها بصندوق

إليا عنّ لك تذكارالأحباب واشتاق　　　بالك وطاف بخاطرك طاري الشوق

دنّيت لي من غالي البن مالاق　　　بالكف ناقيها عن العـذف منسوق

احمس ثـلاث يا نديمي على ساق　　　ريحه على جمر الغضا يفضح السوق

وإياك والنية وبالك والإحــراق　　　واصحا تصير بحمسة البن مطفوق

إليا اصفرّ لونه ثم بشت بالإعراق　　　صفراً كما الياقوت يطرب لها الموق

وعطت بريحٍ فاخرٍ فاضحٍ فـاق　　　ريحه كما العنبر بالأنفاس منشوق

دقه بنجرٍ يسمعه كل مشتــاق　　　راعي الهوى يطرب إليا دق بخفوق

لقم بـدلةٍ مولعٍ كنهـا ساق　　　منصوبــةٍ مربوبـةٍ تقل غرنوق

خله يفوح وراعي الكيف يشتاق　　　إليا طفح له جوهر صحّ له ذوق

زلها على وضحا بها خمسة أرناق　　　هيل ومسمار بالأسباب مسحوق

---

[1] ـ عبد الله الحاتم: خيار ما يلتقط ١٥٤ ـ ١٥٥

مع زعفرانٍ والشمطري إليا انساق والعنبر الغالي على الطاق مطبوق
فإليا اجتمع هذا وهذا بتيفاق صبه كنيت العوق عن كل مخلوق
بفنجال صينٍ زاهي عند الأرماق يغضي بكرسيه كما إغضاي غرنوق
إليا انطلق من ثبته تقل شبراق رنق تصور للحمامة على الطوق
شكل على الفنجال لونه إليا راق دم الغزال إليا انمزع منه معلوق
خمر إليا منه تسلسل بالأرياق وعليه من ماء صافي الورد مثلوق
راعيه كنه شاربٍ ريق ترياق كاس الطرب وسرور من ذاق له ذوق
يحتاج من خمر السكارى إليا فاق طفلٍ تمزّ اشفاه والعنق مفهوق
عبثٍ يعيل بحبةٍ ما بعد ماق وهو يزاهي باهر البدر بشعوق
بين اشفتاه إليا غنج حقاق براق عجل رفيفه بالطها والفرح بطبوق
سطر كتب من حبر عينه بالأوراق خديه صادين ونونين من فوق
كن العرق بخدودها جمر الأرناق ينثر على الوجنات باللون معشوق
إليا ابتسم شعّ وأشرق بالأفاق نوره يفوق البدر سحراً ومنطوق
بالعنق كن المسك والورق برّاق شخص بصدره ونا الشاخ مدقوق
يمشي برفقٍ خايفٍ مدمج الساق يقصم حجول ضامها الثقل من فوق
إليا حصل لك ساعة وأنت مشتاق اقطف زهر ما لاق والعمر ملحوق
فإليا حضر ماقلت عندي فالأرزاق بيد كريمٍ كافلٍ كل مخلقوق
صلاة ربي عدد ما بارقٍ حاق على النبي الهاشمي خي ر مخلوق

من أشعارهم في
وصف الظعن والرحيل

إن أكثر ما يثير قرائح الشعراء تفرق شمل الظاعنين، إذا قصد كل قوم ناحية غير التي قصدها الآخرون، وأكثر ما يحدث هذا التفرق بعد انتهاء فصل الصيف إذا برد الجو، رحل الناس عن الموارد طلباً للمرعى، وقد يجتمع شمل البادية عندما يكون الخصب في جهة معينة، فيتزاحم الناس فيها، حتى إذا انصرم عودها، ولفحتها الرياح رحلوا عنها إلى جهات أخرى.والشعراء لهم في صف هذه الأحوال كثير من القصائد، أبدعوا فيها، وصورت مشاعر الناس في هذه الظروف. فهذا صنهات الديحاني المطيري(١) يصف، رحيل جيرانه من عتيبة، وهم عريمط الغنامي، وعمار المحقني، فيقول:

البدو ياعمار شدوا محيلين كل يبي مرباه من عقب سال

شد العطاوي و اقتفوه الدياحين والدلبحي يبرا لهم والعوالي

يازينهم مع طلعة الشمس ماشين يامى اصطفق قدامهم من غزال

يقدا لهم شول ويبرى لهم ضين ومطولات كنهن العلالي

يبون براق من المهد ويمين يبرق وجاي في روضه مدالي

نوه سديد ومايل له ربابين وقعه حقوق ومن صدوق الخيالي

من عقب نوه زاد سيله ودادين وأشرق نبات العشب مثل الزوالي

أقفوا بمن نهده كما صبة الصين راعي جديل فوق الآمتان مال

فأجابه جاره عمار بهذه الأبيات:

عز ا لله إنا قبل صنهات ناسين وذكّر عليه ود من كان غالي

ذكُر عليه ود ناسٍ امقفين من دونهم حالن بياض السهالي

---

١ - محمد العصيمي: شعراء عتيبة ٢ / ٥٢٥ - ٥٢٦

البعد ما يقفي بحب المودين إن كان شفك يمنا يا حلالي

إن كان مقفي ما تبعت المقفين هفي مهف الطير لو ضاق بالي

وقال رباح بن مطلق الصانع يمدح الرباعين:

يا دار وين اللي ليا جيت شبوا ناراً توقّد و الحطب في سناها

إن جيت أدور نزلهم ما تغبوا إنجورهم يوحي الخلاوي عواها

شربوا من القلبان ثم استغبوا في عبلة خشم الينوفي وراها

إن لاح برّاق الحيا واشرهبوا يبرون سلفان بعيد مداها

عهدي بهم من عندنا يوم قبوا واستجنبوا قباً وشدوا حذاها

ياطول ما هم فيك يا نجد عبوا إليا الختلط عشب المسايل وماها

ومن زهبة البارود دقوا وصبوا وراع الرمك كل يقوم وحذاها

كم فارسٍ في معتلجهن كبوا معشى الطيور بعدهم عشاها

أبغض من أبغضوا وأحب من أحبوا ودار تبعِّدهم ما أعيش بحماها

أما محمد بن صالح المجماج التميمي صاحب (الأثلة)، فله في هذا الفن قصائد رائعة، فالبدو ينزلون عليه في وقت الصيف، حتى إذا انتهى المقياض، رحلوا إلى الندى، فيثير رحيلهم مشاعره في كل عام، فينظم هذا الشعور في قصائد رائعة ، ومن قصائده في هذا الفن قصيدته التالية:

لا والله شدوا البدو نجّاع كل هدم مبناه وارتد زمله

شدّ الشديد وقوضوا عقب مجماع وراع المودة فرّق البعد شمله

شدوا ودنوا لِلحني كل مطواع كل أشقحٍ يعجبك لاشال حمله

غدا لهم فـوق الرفيعة تمزاع	كل يغي درب عزلٍ و انقسم له
أقفوا كما نوٍ نثر ماه وانزاع	برقه يرفرف والسدى يرتدم له
وا بكرتاه اللي غدت بين الأقطاع	ويا بعد ديرتها على اللي جهم له
الهتوة إنه يمّ دخنة بالأوقـاع	وإلا مع اللي سندوا مستهمي له
لا هيب لاحاشي ولاهيب مرجاع	عفراء فتاةٍ وراعيه ما وسم له
يا غصن موزٍ ناعم له تمـرياع	ومنين ما هب الهوى مال حملـه
راعي هدب عينٍ مظاليل ووساع	خرسٍ عيونه والمحاجيب جمله
راعي مجاديل مشطهن يجي باع	أشقر على الردايف يعملن له
عليه ما وقفت اعيوني بالآدماع	وهجسن يلحقتني على الطول سمله
أعوي عوى ذيبٍ ورا البدو لاجاع	يقنب ايلين ا لله يجيب اللحم له
يامل قلبٍ من هوى الزين ينصاع	كما يصوع الصيد رام خطم له
حبه يخج القلب ما يوجع اوجاع	لاشك قلبي مـودعه بيت نمله

وذكر محمد العصيمي عن سعد بن جنيدل في كتابه (شعراء من عالية نجد) قال: كـان اللابسة الدعاجين مـن عتيبـة، وهـم قـوم الهيضـل يـنزلون عنـد صـاحب الأثلـة، في فصل الصيف، ثم يرحلون إلى المندى كغيرهم عندما ينتهي فصل الصيف.وفي إحدى المـرات عندمـا أرادوا الرحيل دعاهم الهضل في ليلـة الرحيـل، إلى جلسـة مسامرة، فـأخذ القـوم يتداولـون أحاديث السمر، وكان المجماج وخاله عميرين حـاضرين، فقـال المجمـاج قصيدتـه التاليـة التي يصف فيها رحيل جيرانه، فبكى القوم من شدة تأثرهم بها[١] .

---

[١] ـ محمد العصيمي: شعراء عتيبة ٢ / ٧٦٨ ـ ٧٦٩

لا وا لله صملوا يـا عميريـن وشالوا على بيض الغوارب زهابه
البارحة فوق الركايـا مقيمـين ونيرانهم كـــن البروق اشتبابه
واليوم ما غير الرخم والمعاطين منـــازل ما كـن حي وطابـه
طريقهم ياطا الثمد منه ويمين غدا لهم دون الأسيمر ضبابـة
يتلون أبـو خالد زبون المتلـين إليا جالهن عند اللحيق انحطابـة
أوي جيرانٍ على الكبد حلوين مثل الحليب اللي لذيذ شـرابـه
لاوا لله اللي جوا وراحوا على زين ولاعذبـــوا جيرانهـــم بالطلابـة

وهذه الأبيات تُروَى للشاعر سعد بن حمد بن ضويان من أهـل بدلـة (الشعراء) قالها عندما ارتحل من بلدته إلى بلدة القرين على أثر خلاف مع بعض أهلها، وقد هم بهدم الـدار بعد رحيله عنها:

يا دار ليت الزمل يقوَى بشيلك وأشدك بك عن ديرة جزت منها
القض بالمسحات ما يستوي لك والبيـــع ما كل بيقـــدر ثمنها

الإبل والخيل
في حياة البادية

الإبل هي عماد حياة البادية في الحقب الماضي في نجد، وفي شبه الجزيرة العربية كلها، فهي المال المفضل لديهم، والذي يناسب حياتهم القاسية، وتحمل طبيعة الصحراء المناخية، فتصبر على العطش، وتحمل الجوع في سني الجدب التي تنتاب الجزيرة العربية، من حين لآخر، وقد قيل: ((لايفلح العربي إلا حيثُ يفلح بعيره))، وهذه العبارة لها مدلولها فيما قبل العصر الحديث، أما هذا العصر فقد تغير فيه كل شئ.

والعرب عُرفوا منذ القدم، بحب الإبل، وأكثروا من وصفها في أشعارهم، وفي كلامهم، وحفظوا أوصافها، وقد ألفت بعض المؤلفات، والرسائل الخاصة بالإبل. وقد استمر الاهتمام بالإبل من العصر الجاهلي إلى العصر الحديث، ولأهل نجد أخبار كثيرة مع الإبل، والخيل. فحروبهم، وغاراتهم أكثرها من أجل الظفر بكسب الإبل، أو الخيل، وكل مال غير الإبل محتقر لاخير فيه عندهم في تلك العصور الماضية. بل إننا نجد الكثيرين من سكان المدن، ومن رجال الأعمال، والوجهاء يقتنون الإبل الآن، وهذا يدل على أن حبها الموروث لايزال له بقايا في نفوس أهل نجد، مع تغير طبيعة الحياة، والتطور الحضاري الذي تعيشه الجزيرة العربية، صناعياً، وزراعياً، وتجارياً، ولم يكن فيه للإبل أي دور اقتصادي. وإذا نظرنا في أشعار أهل نجد حول الإبل نجد أنهم يبدعون في وصفها، ويحتفون بها أشد من احتفاء الأوربيين بأبقارهم الهولندية! ذلك لأن منها طعامهم، وعليها ركوبهم، أما الخيل، فهي وسيلة الكسب، ووسيلة حمايته. فهذا مخلد القثامي يصف لنا الإبل وصفاً رائعاً من قصيدة له يوصي فيها ابنه غازياً: ويشبه الإبل تشبيهات جميلة ، فيقول :

وأنا أوصيك في حِزْش الوبر شمخ الذرى   كما جوخة شَرّايها يكتسبها

البل عظيم المال يا جاهل بها   لكن هي ما كل شي يجيبها

البل تبغي قرم قوي عزائمه   دايم على طرافها يشتقي بها

يازينهـا فـي وادي عقب غبة نو السماك ونو الثريا سقيبهـا

في وادي ترى الزهر في جوانبه وظلت دقايقها تكاسر لشيبها

لكن عند العصر زين اعتلاجها رطين العساكر في بلاد تصيبها

جلاليب إذا مشت وقرايا إليا أمرحت تملا القدور القادرة من حليبهـا

ياكـم غني جوّد ا لله حظايره يوم الليالي الشهب شبت شبيبها

مذاخير كفه للمـرة فـي زهابها عسَى حلته بمرَدَّف يعتديبهـا

وكم من صبي ماشي في عزايمه مداخير كفة في الدهر يبتهيبها

يمسون خطاره على ساخن الشحم يوم السويدا يجمد الماء لهيبها

ويقول ((عبد لعقاب بن عجل من شيوخ عبدة من شمر عندما باع عمـه الإبـل وسـكنوا الجزيرة، واستبدلوا بيوت الشعر بالأعشـاش، فقـال هـذه الأبيـات متشـوقاً للإبـل، وحيـاة البادية))(١) :

ياعقاب عقب البل خرابيط وعلـوم يابو جهز لاتعير فكرك لغيـره

أما أنت وإلا عافت خلوا الـدوم واتبع هوى العليا ولعبة وظيره

ما شفت سعدون سنة هجمة الروم لولا نياقه ما سعت له بخيرة

أرسل على الدفرات من كنس كـوم وشالـوا على حيل سمانٍ ظهيره

أقفَى كما طير نهج يدرج الحوم من فوق نوق عينن خمس سيره

١ - أبو عبد الرحمن بن عقيل الظاهري: تاريخ نجد في عصور العامية ٣ / ٩١ - ٩٢

وكما أن الإبل صعب كسبها، فإنه صعب أيضاً التخلي عنهـا للآخريـن، وهـذه امرأة من عتيبة تدعَى ((مرسى)) من ذوي عطية[1] تحذر أحد الشباب المغامرين في الغـزو لكسب الإبل، فتقول:

ياجريس حذرا عن كثيرات الأطماع	وحذرا عن أم دويك لوهي وحدها[2]
إما استرق وإلا تحرّ أبـو هـزاع	إذا لفَى بالفـود عانـق قودها
وخذ الردوم اللي على الحضر تنـباع	وخلّ الخلوج اللي تتالي ولـدها
يلحقك راعيها من البـعـد فَـزّاع	عِشّـق بنـتٍ توّ زَمّة نهدها
يلحقك فوق مشَمّرٍ وَقْمَ الأرباع	خَطَرٍ عَلَى غوجكِ تهبده بيدها
بالوســط شبرية و بالكـف لّماع	يقطع نماك وهي بحامي جهدها

وذكر أبو عبد الرحمن عن الشيخ منديل، قال: ((حدثنا عماش عيد العتيبي أن الشيخ رفاعي بن عشوان شيخ العبيات من مطير ربع بالصمان هـو وجماعتـه، وكـانت ماشيته من الإبل، ومعهم جار لهم من عتيبة، وكانت ماشيته من الغنـم، فلمـا جـاء الصيـف، وأحسوا بالظمأ رحلوا لكي يقطنوا عند أحد المياه، وبقي صاحب الغنـم في أثرهـم لم يستطع اللحـاق بهم لعجز الغنم عن معانقة الإبل، فقال هذه الأبيات متوجعاً:

شدوا وشالن البنـــي الجحاليف	من فوق كل مشرهفٍ ما يباعِ
وتقاودوا قحص المهار المزاغيف	وقادوا القطعان يقوده رفــاعي

[1] ـ عبد ا لله بن رداس: شاعرات من البادية ص ٢٧٤ ـ ٢٧٥

[2] ـ ابن رداس: ((أم دويك: الدويك زينة توضع على الناقة النفيسة في شعر سنامها، وهي عبارة عن باقة من ريش النعام المجموع)).

أحد عطى المشقر وأحد زغيلف وأتلى وعدهم في سمار الوداعِ

وراعي الغنم يأخذ نهارين ماشيف غدت على ساقة هل البل ضياعِ

مقسوم وإلا ما عليها تحاسيف لا مدوهٍ معهم ولاني متاعي

ولما وصل الخبر لخاله رفاعي، وجماعته، قال لقومه: كل رجل يأخذ من غنم الولد ذبيحة، ويعطيه بدلاً منها ناقة بسن الذبيحة، أما خاله، فأعطاه فرساً وذلولاً، وقال له: مدوهٍ، وتاع مثلنا بدل ما تقول: لا متوهٍ معهم، ولاني متاعي))(١).

أما وصف الهجن، ويسمونها (الجيش) فهو كثير في أشعار البادية، ذلك لأنها وسيلة أسفارهم، وتنقلاتهم، وقد ألفوها، وأحبوها. يقول مخلد القثامي العتيبي في وصف الهجن:

يا راكباً من فوق نسّاع الأزوار هجنٍ من الطرفة شلاهيب شيبي

ما فوقهن غير الجواعد والأكوار وقريبة مروية من قليبي

أعطي بهن وادٍ من الصيد معتار وأخب قدام الركايب خبيبي

وإن هبٌ نسناس كما واهج النار أبرد عليهن من سموم اللهيبي

سقوى على قلبي إليا شفت الأنشار وأصبحت قاربةٍ ضعاين حبيبي

كني مثنٍ لي بحجةٍ ومزتار يزود قلبي زود زرع الركيبي(٢)

ويقول برُاك بن سحمان(٣) شيخ ذوي خليفة من الشيابين، يصف الأسفار، ويشتكي من الشيب الذي جعل النساء يعزفن عنه:

---

[١] - أبو عبد الرحمن بن عقيل الظاهري: تاريخ نجد في عصور العامية ٣ / ٨٥ – ٨٦

[٢] - مزتار: يعني زيارة البيت الحرام.

[٣] - محمد بن بليهد: صحيح الأخبار ٣ / ٦٨

يا حلو خبط أرقابهن بالمشاعيب لعاورت متنحـــرّات حِمرّه

يا طول ما نركي عليها العراقيب مع الخلا مرات ما هيب مره

أسوقها وأصل بلاد الأجانيب ومتحمل للبر خيره وشره

واليوم يا مفرس علام الخراعيب استنكرن شيبي ولابي مضره

قامــن عليـه ياخذن التعاجيب ما كن جا لي بأول العمر طرّه

ويقول ساكر الخمشي:

يا راكب اللي وسمها عارفينه حدر من الثفنة على الساق ينداد

مرداة قيظ و للموارد سفينة تعبا لجدّاع القرانيس بالغار[1]

وتقول شلشاء البقمية، وهي من سكان الدوادمي:

لوا هنيك بالهنى يا بو مرداس مــا ولعوك مدرهمين المطيـه

القلب كنه يشعرونه بالأمواس من طين حضرٍ حجّروا به عليه

وفي الخيل يقول عباس بن علوش بن حميد[2]:

ياسابقي حالـــي سوي لحـــالك حبك سطا بالقلب ما فيه تشكيك

سويت من زين البيادي جـلالك وأربع تحت صم الحوافر توقيك

وحب الشعير من البلد يُشترى لك أيضاً ومـن در العرابا نبديك

باغٍ إليا سرنا وقل العشا لـك وإليا اللحم مترفعٍ في علاويك

ضلع زمى دونك وضلع زمى لك تبين بدوٍ حودروا من ورا ذيك

---

[1] ــ جداع القرانيس: يعني به القيظ.

[2] ــ محمد العصيمي: شعراء عتيبة ٢ / ٤٥٨

مختارات من الشعر

في وصف الدنيا لبديوي الوقداني والشكوى منها، وتقلباتها، وتغير أحوالها بين لين، وشدة، ورفعة، وضعة، وهي سمة كانت غالبة في عصره، وهذه السمة ظاهرة في شعره أكثر من ظهورها في شعر غيره، وهو مع مايعانيه يفتخر، بقومه، وبنفسه ويسمو بها عن كل ما ينزل بها عن الكرامة، وقصيدته هذه نالت شهرة، واسعة، واحتفى بها الناس، وخاصة أبناء قبيلته عتيبة، ويبدو أنه قالها في منتصف عمره، فهو يذكر الشيب، ويتشآم منه.

أيامنا والليالي كم نعاتبها | شبنا وشابت وعفنا بعض الأحوالي
تاعد مواعيد والجاهل مكذبها | واللي عرف حدها من همها سالي
إن أقبلت يوم ما تصفي مشاربها | تقفي وتقبل وما دامت على حالي
في كل يوم تورينا عجايبها | واليوم الأول تراه أحسن من التالي
أيام في غلبها وأيام نغالبها | وأيام فيها سواءً والدهر ميالي
جربت الأيام مثلي مَن يجربها | تجريب عاقل وذاق المر والحالي
نضحك مع الناس والدنيا نلاعبها | نمشي مع الفي طوع حيثما مالي
كم من علوم وكم آداب نكسبها | والشعر مازون مثقال بمثقالي
أعرف حروف الهجا بالرمز وأكتبها | عاقل ومجنون وحاوي كل الأشكالي
لاشك حظي ردي والروح متعبها | مافادني حسن تأديبي مع أمثالي
إن جيت أبا حاجة عزت مطالبها | العفو ماحدٍ عن المخلوق بيسالي
قومٍ إليا جيتها صكت حواجبها | وأبدت لي البغض في مقفاي واقبالي
وقوم إليا جيتهم رفت شواربها | بالضحك وقلوبها فيها الردى كالي
ماكني إلا مسوي حال مغضبها | والكل في عشرتي ماكر ودجالي

ياحيف تخفى أمور كنت حاسبها   واللي على بالهم كله على بالي
الجار جافي وكم قوم نحاربها   والأهل وأصحابنا والدون والعالي
والروح وش عذرها في ترك واجبها   راح الحسب والنسب في جمع الأموالي
نفسي تبا العز والحاجات تغصبها   ترمي بها بين أجاويد وأنذالي
والمال يحي رجال لاحياة بها   كالسيل يحي الهشيم الدمدم البالي
عفت المنازل وروحي يوم أجنبها   منها غنيمة وعنها البعد أولالي
لاخير في ديرة يشقَى العزيز بها   يمشي مع الناس في همٍ واذلالي
دار بها الخوف دايم مايغايبها   والجوع فيها معه من بعض الأحوالي
جوعاً سراحينها شبعاً ثعالبها   الكلب و الهر يقدم كل ريبالي
عز الفتى راس ماله من مكاسبها   يا مرتضي الهون لاعز ولا مالي
دللت بالروح لين أرخصت واجبها   وأنا عتيبي عريب الجد والخالي
قوم تدوس الأفاعي مع عقاربها   لها عزايم تهد الشامخ العالي
كب المنازل وقل للبين يندبها   تشكي عليها بدمع العين هطالي
لا تعمر الدار والقالة تخربها   بيع الردى بالخسارة واشتر الغالي
ما ضاقت الأرض واشتبت شبابيبها   من كل حر شهر في راس ما طالي
دار بدارٍ وجيران نقاربها   وأرض بأرضٍ وأطلال بأطلالي
والناس أجاويد لين أنك تصاحبها   تكون منهم كما قالوا بالأمثالي
الأرض لله نمشي في مناكبها   وا لله قدّر لنا أرزاق وأجالي
حث المطايا وشرقها وغربها   واقطع بها كل فج دارس خالي

واطعن نحور الفيافي مع ترايبها وأبعد عن الهم تمسي خالي البالي

مع كل عملية تقطع براكبها فدافد البيـد درهاماً وزرفالي

تبعدك عن دار قومٍ ودارتقربها واختر لنفسك عن المنزل منزالي

لو مت في ديرة قفر جوانبها فيها لوطي السباع القبس مدهالي

أخير من ديـرة يجفاك صاحبها كم ذا الجفا والتجالي و التحلالي

دوس المخاطر ولاتخشى عواقبها الموت واحد ولاعند الحذر جالي

إن المنية إذا مست مخالبها تدركك لو كنت في جو السماء العالي

ما قرت الأسد في عالي مراقبها تسعَى للأرزاق ماحنت للأشبالي

والشمس في برجها والغيم يحجبها تقفي وتقبل لها في الفلك مجدالي

ومن شعر مخلد القثامي من جيل عاش في فترة شهدت تغيرات كبيرة، وهي الفترة التي سبقت تأسيس الدولة السعودية الحديثة، فقد كان التنافس شديداً بين الأشراف في الحجاز، وآل رشيد في حائل، ثم بروز الملك عبد العزيز بعد فتح الرياض، وانتصاراته الموفقة، حتى تمكن من تأسيس هذه الدولة المباركة. وكانت الغارات بين القبائل في تلك الفترة على أشدها، وكان محمد بن عبد الله بن رشيد قد استطاع أن يخضع أكثر القبائل المحيطة بحائل لسلطته، وأخذ يشن الغارات على القبائل الأخرى، وخاصة قبائل نجد. وفي هذه الفترة العصيبة عاش مخلد القثامي، وشارك بشعره في أحداث العصر. ومن أغراض شعره المدح المقترن بالحماسة، وهذه قصيدة له في هذاالغرض يمدح فيها الشيخ هذال بن فهيد، شيخ الشيابين من عتيبة، ويذكر بعض وقائع عتيبة مع مطير، ثم يطلبه أن يعطيه فرساً، يقول فيها:

ياركباً حمراً تبوج أشـهب اللال تهوي كما يهوي فريد النعامي
انص الأمير وطقـها عند هـذال لعل عـوداً عقّبه للرحامـي
تلقى إذا جيته من البن فنجـال وهيل يكثر بالدلال الحشامـي
مع حَكرةٍ فيها من السمن زلاّل ولها من الحيل الجلايل إيدامي
حر تسلل مـن طويلات الأقـذال نلطم به العدوان شـرق وشامي
إليا شاف ميلان العدا جاه ولـوال رفرف بجنحانه وكسّر وحامـي
كم هجمة يقطع عليها أشهب اللال هجمة حريبٍ دونة الليل زامـي
يقلّط سبوره وأول الفي ما مـال وراحوا عجالاً وعودوا باغتنامي
وبـدا يعزّلها مبندق وخيّال والنشر الأدنى قنعوه العسامي
وله إذا يبسن الأرياق محوال بالمارتـين اللي تصيب المرامي
كم شيخ قومٍ زوله عمـد لازال لاجا لسرفات الجموع الدحامي
نبيـه للراس المصعفق إذا مـال إذا شيلت العطفة نهار الزحامي
إما لنسل مضـيم ماضين الأفعال وإلا لعلوى أهل الجموع الزوامي
يانجد لاترهب ترَى الحرب ماطال وترى شراع الحرب ما ساع قامي
أبشر بخيل كنها برد الأثعال وجيش آلوف تسعة آلاف رامي
باكر إذا علّك من المزن همّال شفت الزهر كاس خشوم العدامي
إما تحدرنا من العِرض وشمال وإلا علينـا للطلايـع ملامي
مثل النهار اللي على هضبة الخال فيها الدويش وفيه ولد بن لامي
وندو على خشم القهب سيلها سال ناخذ عماراً مجربين الأسامي

وشيخ يتل الخيل زينات الأذيال يبرى لها العيدي كبار الهوامي

وتواجهن زينات الأقفى والإقبال يردن حوض الموت ورد الظوامي

خيل زهت باللبس والجوع والشال وربعٍ يروون الحراب الحيامي

يا أبو جهز ياعز من ضده الحال أمشي مع النسوان مثل ا لنظامي

يا شيخ أبي لي حرة ترمل إرمال مكسوبة من مال قومٍ قيامي

ومن أغراض شعره الحكمة، ويعرضها في شكل نصائح، ووصايا لابنه غازي، ومن هذا الغرض قصيدته التالية، ويبدو أنه قالها في آخر عمره، وقد مسته الحاجة، ولم يجد من يساعده، في وقتٍ كان أحوج ما يكون للمساعدة، يقول فيها:

يقول مخلـــد رد من طيب البنا تماثيل بيطار تنقَى عجيبهـــا

من وقتي اللي هاض بالي وحسني أيام علينا الرب الأكبر رضي بها

أحلنا ومدينا الفرع مـدها الحيا وعزي لنفس ما تحصل قضيـبها

تلفتُ في ربعي أهل الجود والثنـا عسَى حاجة من واحدٍ نقتضيبها

تجاوز أهل الأموال بالقرش بينهـم هذاه يعطيها والآخر يجيبها

وحازوا قليليـن المواشي لحالهم سواة السباع اللي يروع قنيبها

وأنا أحذرك بنت اللاش يعجبك زينها تحني كواعبها وتنسع نويبها

تراها سواة العشب في دمنة العرب حتى حمار الحِلس ما يرتعيبها

تجـــذب خناطيل تصافر عيونهم وأخوها وأبوها قاعدين لصيبها

ترَى اللاش مثل الليلة الخرمسية كما ليلة أمّ قبيس ما ينسرى بها

وتـرى اللاش مثل الليل والنار والمطر يوم الهبايب لين يطفي لهيبهـا

عليك ببنـــت مجــربٍ عارفينه	قروم الرجال اللي تنومس نميبها
اتعب لها العيرات واتعب لها القدم	وسافر لها لو هو بعيد مغيبها
تراهم يسوقون الكحيلات بالنسب	فحص المهار اللي ســريع هنيبها
تجنب حراراً من معالي وكورها	حرار صقورٍ من معالي رقيبها
كــرام زعانيف جزال نفوسهم	تقضي لوازمها وتـأخذ مصيبها
وأنا احذرك عن رأي المرأة لاتطاوعه	ترى رايه النسوان تملك نصيبها
تغويه عن درب الشكالات للردى	وتفرس بضرس ولبةٍ جوف صيبها

إلى قوله :

أنا أوصيك ياغازي ترى الروح فانية	الأيام تضحــك لك ولا يندرابها
تغانم شبابك قبل يلعب بك الجهل	تغانم زهرها قبل يابس رطيبهـا
زهرها الكرم والدين والصمت والظفر	وخيار الأريا لا تجنب صليبـها
أنا أوصيك بالخطار في هاشل القسَى	إليا لفوا لك لاتقصر وجيبــها
تبداهـــم بالكيف والكن والذرى	وقــرب معاميل على ا لله نصيبها
إن كان ما تجد قــراهم بحاضر	عسَى ببيتك حاجة تشـتري بها
تلقى كروف الضأن حوّاشة الغنم	زد الثمن عن سومة مارضي بهـا
ترى طراة الجود عجل من الفتى	اردم شـفايا راسها مع عصيبها
ترى جارك الأيمن خيار اللزايم	وجارتك عطها حقة تهتني بهـا
عليك بــأم القاصـر الأجنبية	أظنك إذا جت كرمــة لك تثيبها
ترى مدة القصار تقربك للفرج	وتدعي بدعــوةٍ ربنا يستجيبها

وعليك بالعاني إذا جاك عاني | إذا جاك ناصي راكبٍ في نجيبها
وأنا أوصيك في شيمتك ترخص مقامها | تضحك رجاجيل ادبر غبيبها
وأنا أوصيك بخصمك على قطع عرفه | إذا جات أيام الطلابة طليبها
وترى ربعك الأقصين نصرك على العدا | وقبيلتك ساعدها وحارب حريبها
وترى ربعك الأدنين سترك من الشقى | سيوف إذا جات للقى تقتضي بها
وأنا أوصيك في طنب الردى لاتجاوره | رذال الرفاقة لاتظلي طنيببها
تنشبك حرمتهم وياكلك كلبهم | كما النملة اللي ما تريّح قريبها

لكن الغرض الذي شمل أكثر شعره هو غرض الغزل، وشعره فيه رقيق الألفاظ، حلو الأسلوب، جميل الصور، ومن جيد شعره في هذا الغرض هذه القصيدة، التي يقول فيها:

مخلد بدا حيد طويل الأشاذيب | ذكّر عليه وكلما بالحشا جاب
لولا إني أجلا عن ضميري لواهيب | في كنة الغليون في راس مرقاب
وأملاوحي بأكوار شيب المحاقيب | لغدي حريقة نار في راس مشهاب
على عشيرٍ سد هاك المراقيب | عسلج وضلع همدان وأكباد وأنياب
ودعتك الله يا شريف الخراعيب | يا نافل بالزين تلعات الأرقاب
العين طفطوفٍ عذي المشاريب | في ماقعٍ عسرٍ على كل هيّاب
وانهيد خلي ما تعلق به الصيب | حمرٍ ثمرهن توهن شق الأسلاب
يفداه من لمّ الحطب للخراعيب | خطو السدوح اللي عيونه للأقراب
يالجتي لجة محال على شيب | شيب أعدواه عفتوهنه أصعاب
تقفي وتقبل به طويل المجاذيب | في عيلم طوله ثمانين بحساب

ويالجني لـجة قطيع مناهيب في كنة الجوزاء حداهن ملهاب

علـى القليب يرشحن للغاريب العد متطوع والحداير هيّاب

أو لجني لجة نجـور تواعيب لجة نجور الحاج مع كل شـراب

أو لجني لجة مع الغبخة الذيب لجلاج نيب يرفع الصوت قنّاب

يلومني بالحب خطـو الدباديب خطو الدفوش اللي تمصّى بمشماب

والحب ماعذرب شيوخ الأجانيب ولاعاب ابن ضمنة وراكان ماعاب

ولاعاب أخو نورة مروي المغاليب ولا عيّبَ الدوشان عريبين الأنساب

ولاعيبت نمـر حصان الأطاليب اللي عشق وضحا وأبا زيد ونياب

ولاعاب أخو سكرة حما الفطر الشيب ولا عيّب ابن حميد صنهات وعقاب

اللـي يعزلون أمهات الدباديب أم الجرس والطوق والعفر الأشابيب

ولاعاب أخو ريّا حما الفطر الشيـب اللي يفك الجانية وقت الأنشاب

ويقول من قصيدة له أخرى:

يقول مخلد بـابٍ الحيد الأسمر في مرقبٍ قدم الضماين امنيفي

يا الله وأنا في رجاك أتصـبر رجوى الديار المنيسة للخريفي

تفرج لعينٍ دمعها حار وأمطر لينه تهشّم حجرها بالنريفي

والله لـولا العظم يـوم أتعمّر إنا كويت العظم عيدي وريفي

أبـرد بها عبراتي اللي تكسّر إنا شبّ في قلبي سواة الصريفي

أيضاً وزينـات الدلال المسطر لجاوب السرحان وأهرف هريفي

أهراف سرحان عوّى عوي ليلٍ اقشر جايع و مطرودٍ وعوّد معيفي

[illegible] كنها الدر ... در الصعود إن ساجمعت بالعطيفي

لا روّحت من وادٍ نبته أخضر ... بين الحرابة غادياً له حنيفي

وعز الله إنه بالهوى جرني جر ... جر الرشا فوق المقام المهيفي

وعز الله إنه كرني بالهوى كر ... كـر الظوامي للقليب العزيفي

إلى قوله:

يازين خلي وإن مشى بالمشجـر ... بثويب سبهان خياطه نظيفي

كنه هديب الشام يوم يتدنجـر ... مـدافعٍ تبراه ترزف رزيفي

يـا ليت خلـي يوم قفى تعذر ... ما قفى على السفهان كنه معيفي

مـن يمكم يـا الطيبين أتعذر ... تدرون راعي الوف قلبه سخيفي

دلا يزايدنـــي بشـقـر تنثـر ... ومحاجرٍ للمـوت فيها رفيفي

في عينه اليمنى سيوف مسطر ... وفي عينه اليسرى عساكر شريفي

أشكي على حمّاسة البن الأشقر ... أهل النجور اللي ترازف رزيفي

أشكي على لبّاسة الجوخ الأحمـر ... من فوق قـبٍ ينقلن الرديفي

وأشكي على اللي يمّ حائل تومر ... تكفَى يا أخو نورة زبون المخيفي

إن كان أخو نورة لشكواي ماسر ... وإلا انقطع حبل الرجا من وليفي

بركات الشريف أحد الأشـراف الشـعراء الحكمـاء، وأحـد الفرسـان المشـهورين، ولـه قصائد رائعة يتداولها الرواة، وخاصة قصيدتين: إحداهما في الوصايا، والحكم موجهة لابنه مالك، والأخرى في عتابه لابن عمه حاكم مكة، الذي رأى منه مايكره، فرحـل عنـه، وعن بلاده إلى العراق، وقضى بها مدة طويلـة حتـى اسـترضاه شـريف مكـة، فعـاد إليهـا. وهذه

القصيدة التي يعاتب فيها شريف مكة، بعد أن هجرها، وتغرب عن أهله، قال بركات الشريف:

عفى ا لله عن عينٍ للغضا محاربة	وقلبٍ دنيف زايد الهم شاعبه
أسهر إليا نام المعافى ومدمعي	قد هل من بين النظيرين ساكبه
وأقول إليا ماضاق صدري وحل بي	رفيقٍ شفيقٍ جيداتٍ مذاهبه
دع العذل عني يا نديمي وخلني	شرواك مايرضى هواناً لصاحبه
ماني إهدانٍ يقصر البعد عزمه	قد عاش في ذلٍ على وسق غاربه
شهرت عن الذل وهي لي فضية	ولا بمنع المخلوق ما ا لله كاتبه
تذكرت يوم أشرفت في راس ما نبا	على مرقبٍ عال الذرا من مراقبه
يا مبلغن مني ذوي الجود والثنا	ومن شب شارات المعاني مكاسبه
ثم أبلغه مني سلام مضاعف	عدد ما همل وبل السما من سحايبه
فيا حما راع الونية من القنا	لحمر من عود البلنزا نوايبه
يا مورد الأسياف بيض حدودها	ومصدره حمرٍ من الدم شاربه
يا كعبة الوفاد للضيف بالقسا	إذا النذل وهن وأغضا بحاجبه
بنيت لنا بيتاً من العز شامخ	سل ا لله ألاّ يهدم الضد جانبه
لاتحسبني عقب حسناك والرضا	أغيضك مدى الدنيا ولاهيب واجبه
لاشك جاني منك مضمون كلمة	على حضرة الرماق والناس قاطبه
بها تعاتبني ولا دست زلة	وغير ولو داس الردى ماتعاتبه
ترى عرق وجهي هو غيضي وشيمتي	معي حاضرة بالوجه ماهيب غايبه

... ولاهي سفاهه — عزيز ولا نفسي لدنياك طالبه

أنا احترت بعدك الدار في نازح النها — وقولهم بركات قد هين واجبه

في كل دارٍ للرجال معيشة — والأرزاق كافلها جزال واهايبه

عساك تذكرني إذا جاك ضيقة — وجا المال يحدى جافلٍ من معازبه

بيوم من الشعرى يتوقد به الحصا — تلوذ بظلال المطايا جخادبه

يومٍ كداج الليل ضافٍ قتامه — فيه السبايا كالخواطيف لاعبه

كن القنا من بين نولا وبينا — كما أرشية بيرٍ طوالٍ مجانبه

تلقا سبايا الخيل حامهات دونها — على رمم بين الحريبين عاطبه

وأنا فوق ما تقحم شبا العود عندل — شعوا مرافعه طوال مناكبه

طويلة عظم الساق وافٍ شبرها — لها مثل عنق الديك طوع أجاذبه

لي فوقها نصبٍ ودرع وطاسة — وسيفٍ بيميني أبلج ينتلاذ به

مع طول عشر فيه زرقا سنينه — كالنجم تاضا في دجى الليل ثاقبه

فليا اشتكى روس البلنزا من الظم — سيفي ورمحي من دما الضد شاربة

فإليا انبحتنا من قريبٍ كلابه — ودبّتْ بالبغضى علينا عقاربه

نحيناه بأوراك المطايا ويممت — بنا صوب حزمٍ صارخاتٍ ثعالبه

فليا أوراك الأمر صدوداً فورّه — صدوداً لو أنه جزال وهايبه

كن عنه أغنى منه عنك ولاتكن — جزوعاً إليا حققت بالقفا ركايبه

قلته على مثل بيتٍ قديمٍ سمعته — على مثل ما قال التميمي لصاحبه

ولاتعيب الدوحة إلا من أصلها — ولا آفة الإنسان إلا قرايبه

ما قلته إلا والركايب زوالف   عن الواش والحساد والناس قاطبة

موت الفتى في جو وادٍ سملق   خلي من الأوناس قفرٍ جوانبه

على الرجل أهون من قعوده بديرة   يعيش بها والذل فيها مطانبه

من قلط الهندي ووخر به العصا   جلا الهم و أصبح نازحاً عن قرايبه

هذه قصيدة بركات الثانية، التي يوصي فيها ابنه مالكاً، ويكثر فيها من إيراد الحكمة، التي تبين لنا شخصية بركات التي صهرتها تجارب الحياة، فساق لنا خلاصة التجارب، في هدوء، وتأمل، وشكوى من جور الزمان، يقول بركات:

يا مرقبٍ بالصبح نطيت راقيك   ما واحدٍ قبلي خبرته تعلاك

وليت ياذا الدهر ما أكثر بلاويك   ا لله يزودنا السلامة من أتلاك

اليوم ها الكانون غادٍ شبابيك   تلعب به الأرياح من كل شبّاك

يا مالك اسمع إجابتي يوم أوصيك   واعرف ترى يا أبوك بآمرك وأنهاك

وصية من واحد طامعٍ فيك   تسبق على الساقة لسانه لعلياك

أوصيك بالتقوى عسى ا لله يهديك   لها وتدرك بتوفيق مولاك

ا لله لدرب اجدادك الغر يقديك   رضاة مع ماله تمنى من منياك

احفظ حلالك اللي عن الناس يغنيك   اللي إليا بان الخلل فيك يرفاك

رفيقك اللي بالعطايا يمنيك   انصه بمقضاة الغرض قبل ينصاك

أما تجود بواحدٍ جايدٍ فيك   وإلا بما سوّى تجازيه لاجاك

أدب ولدك إن كان تبغيه يشفيك   لو زعلت أمه لاتخليه يالاك

أما سمج وسمجك عند شانيك   ويغيض من فعله صديقك وشرواك

واجعل دروب المرجلة من معانيك
واحذر تمايل عن درجها بمرقاك

ولاتنسدح عنها وتبغيني أعطيك
جميع ما يكفيك ما حصله ذاك

واحذر تضيِّع كل من هو ذخر فيك
جازه بمعروفه وزد له بحسناك

ترَى الصنايع بين الأجـواد تشريك
إليا طمعـت بغرسها لا تعداك

واحذر سرور بغبات البحر يرميِّك
ولاعنده أفلس من تشكيك وبكاك

واعرف ترَى ما وطا الفعر واطيك
ما أنت أعز من حمولة هذي وذاك[1]

أوفِ الرجال حقوقها قبل تأتيـك
لاتعتـمـد بالعق والحق يقفاك

هرج النميمة والقفا لايجي فيـك
واحذر عرض الغافل إياي وإياك

تبدي حديثاً للملا فيه تشـكيك
وتهين عنـد الناس بالكذب شرواك

وإذا نويت احـذر تعلم بطاريك
كم واحدٍ تبغي من العرف وأغواك

واحذ شماتة صاحبٍ لك مصافيك
إذا جرى لك جاري قلت لـولاك

الضيف قـدمْ واجبه حيث يلفيك
ممـا تنوله يافتى الجود يمناك

أكــرم قاله فإنها من شروايك
وابدل له الماجود مادام يعناك

احذر تلقى الضيف مقرن علابيـك
خله محباً لك صديقاً إليـا جاك

وأوصيك زلات الصديق إن عثا فيك
مادام يغطاه الشعر فاحتمل ذاك

راعه ولو ما شـفت إنه يراعيك
عساك تكسب نيته عن معاديـك

واحذر عدوك لو تظاهر مصـافيك
خلك نبيهٍ وراقبه وين ما جاك

---

[1] ــ الفعر: فخذ من الأشراف .

لا تأمنه واطلب من الله ينجيك — يكفيك ربك شر نولا ونولاك

ماهامني يا بوك أبا أمرك وأنهيك — عن التعرض بين الاثنين حذراك

إيا حضرت طلابة مع شرابيك — تسعى لهم بالصلح واللاش يفداك

يبذل لهم بالطيب والله ينجيك — لا تجضع الميزان مع ذا ولاذاك

أما الشهادة فأدها إن دعوا فيك — بيِّن عمود الدين لاعميت أرياك

بالك تماشي لك ردي يرنّيك — طالع بني جنسك وفكّر بممشاك

الحر مثلك يستحي يصحب ألديك — وإن صاحبه عاعا معاعات الأدياك

رافق أصيلاً في زمانك يشاكيك — لاشاف خملاتك عن الناس غطّاك

وأحذرك عن طرد المقفي حذاريك — أقبل على المقبل ودع من تعداك

ثم العن الشيطان لياه يغويك — ترَى إن تبعته للشرابيك وداك

وأوصيك لاتشكي علينا بلاويك — أنت السبب في طرف عينك بيمناك

المسك يا راسي من الذل وأخطيك — حتى لساني قلت له حذر إياك

من أول ياذيب تفرس بأياديك — واليوم جا ذيب عن الفرس عداك

يا ذيب إن جاتك الغنم في مفاليك — فكمن حتى أن الرعايا تعداك

يا ذيب عاهدني وأعاهدك ما أرميك — ما أرميك يا ذيب ولو زان مرماك

والنفس خالف رأيها قبل تهفيك — ترَى لها الشيطان يرمي بالآهلاك

ترى العشير النذل يخلف طواريك — عن صحبة الأنذال حاشاك حاشاك

والهقوة أنك ما تجي دون أهاليك — ولا أظن عود الورد يثمر بتمباك

لاتستمع قول البعض يوم يلفيك — بالكذب يقضي حاجته كل ماجاك

من نمٍّ عندك نمٍّ بك مـافيه تشكيك الكذب قد زرى رفيقــك وزراك

عندك حكا فينا وعندي حكا فيك أصبحت كارهنـا وحنـا كرهناك

عنـــدي مظنة ما تمثلتها فيك وأطلب لك التوفيق من عند مـولاك

التغرب في طلب الرزق كان مالوفاً في القرنين الماضيين عند أهل نجد، وغالبا ما يكـون للخليج العربي للعمل في استخارج اللؤلـؤ، أو للشـام، والعـراق، وقـد يكـون أبعـد مـن ذلك كالهند، ودباس، وأبوه أحـد سـكان نجـد، وهـو مـن قريـة العـودة في سـدير، كمـا ذكـر في القصيدة، والمعلومات عنه قليله، فلانعرف عصره بالتحديد، ولكنه حوالى نهاية القرن الثاني عشر الهجري. وقد تغرب دباس لعمان في الخليج العربي.

أما القصيدة، فيتضح منها أن ابنه تغرّب، وعمره صغير، حيث يقول: ((عشرين عاماً كلها أرجيك يا دباس))، ويذكر في بيت آخر أن غربته استمرت ثماني سنوات، فيكون عمره عند بداية رحلته حوالى ثلاث عشرة سنة، وهذا السن هو سن العمل في عصرهم. ولعل صغـره هو الذي زاد شفقة والده عليه، فقد خشي عليه من الضياع، فهو يوصيه، ثم يذكّره بما عليه أهل نجد من أخلاق.كما لايعرف عن شعر الوالد وابنــه إلا هاتـان القصيدتـان، وهمـا تـدلان على أنهما شاعران كبيران. قال أبو دباس:

ياونت ونيتها من خوى الراس من واهجٍ بالكبد مثل السعيره

ونين من رجله غدت تقل مقواس يون تالي الليل يشـكي الجبيره

وياحمس قلبي حمس بنٍ بمحماس ويـاهشم حالي هشمها بالنجـيره

و يا وجد حالي ياملا وجد غرّاس يوم أثمرت و أشفى صفا عنه بيره

من ثمر قلبي سرى هجعة الناس متنحراً درب عسى فيـه خيره

الله ينكه من بلا سو الاتعاس ومن شر ميلات الليالي يجيرة

في ديرة تقطّعتْ عنه الأرماس سبعين يوم للركايب مسيره

يا والله يا اللي رد من عقب ملياس يوسف على يعقوب وأبصر نظيره

ترد عليّ ادباس يا محصي الناس يا عالم ما بالخفا والسريره

يادباس لن بلوصيك عن درب الأدناس ترَى الذي مثلك يناظر مسيره

عليك بالتقوى ترى العز يا دباس في طاعة اللي ما ينجيك غيرة

هاذي ثمان سنين من رحت يا دباس لا رسالة جتني ولا من بريرة

يا دباس من عقبك ترى البال محتاس وعليك دمع العين حرق نظيره

وعليك كني في دجا الليل حرّاس أصبح على حيلي وعيني سهيره

أصبح أنا ما بين طاري وهوجاس وطواري تطري علينا كثيرة

مثل الوحش قلبي على كف حبّاس يكفخ كما طير اسبوقه قصيره

متحيرٍ من عيلة البيت يا دباس أرجي ثواب الله وأخشى المعيره

أخاف من حكي العِدى ثم الأنجاس أهل الحكايا الطايلة والقصيره

ويقال خَــلّى عيلته غز الراس أقفا وخلّى عيلة له صغيره

والا فأنا يا أبوك قطّاع الأرماس ما نيب مثبور أو رجلي كسيره

آصلك لو هي مدارك ما بها أوناس إلا الثعل والبوم تسمع صفيره

لو كنت في نزوى وديرتهني ياس أهل الموازر والوجيه الغبيره

عبادة الأصنام شرّابة الكاس الخمر والتنباك فيها وغيره

لأركب على وجنى من الهجن عرماس فجا النحر يا ادباسحمراً ظهيره

أو شبه ربد تخفـــق للأونـاس ... من الخلاص عيونها يوم أسيره

تنشر من العودة على نورالأنفاس ... إن رفَّعتْ جنحانها ســتنيره

والعصر بالصمان تسمع لها أضراس ... عند الفجر والليل مقفٍ مريره

ونهار ثالـــث بين حمًا والاوراس ... حبل الرسن خطر تبتر جريره

ومن بعدها على ساجية تقلب الراس ... واره يمينك جعلها ا لله سفيره

إلى مسقط الفيحا بها الخير محتاس ... تغوص بنا في البحور الغزيره

عــز ا لله إنها ديرة ما لهاأجناس ... لولا الكفر والشرك يا وي ديره

لــولا بهــا يشرك علياً وعباس ... لولا بها يعبد مع ا لله غيره

فيها الطبيخ وراهي الخير يا دباس ... وأيضاً بها الفاروق سبه بريره

هيس ولد هيس للمواعين لحاَّس ... يقعد خوي الراس خنـة خميره

وذا ماقفك يا دباس ما فيه نوماس ... يفرح ليا نيدي لذبح النحيره

ترى الفداوي دون و أنشد الناس ... يصلح لقينٍ مهنته طق زيره

ما له سوى طق الحنك منه والياس ... راعيه ما يذكر بمدحٍ أو غيره

قم انهض العيرات مع كل فرَّاس ... وإلى انقطع خرجه فلا له ذخيره

جدك وعمانك هل العز والباس ... يا دبـاس دور خيِّر تستشيره

يا دباس ما يصبر على البق والحاس ... أهل الموجب مكملين القصيره

واليوم يا مروي شبـا كل عبَّاس ... إلا الذي ماله بنجدٍ عشيره

عشرين عاماً كلها أرجيك يـا دباس ... أنت الرجا يا اكعام وجه المغيره

مثل الغرير اللي تولع بطيره

عدل المناكب هيلع فرخ قرناس يمناه في لطم الحباري شطيره

عانق خلوج روحت عقب مرواس عند العصير البيضها مستذيره

والليل جاها وحال من دونه الياس روحه على فرقاه فرت فريره

يا دباس أنا يا بوك ما نيب بلاس مير إن عيلات الرفاقة كثيره

جنبت وسط السوق وأمشي مع الساس وآخذ شوي الحق وأترك كثيره

يا دباس لوجيت من دحب الأكياس مختلفة ما بين زرٍ ونيره

مالي بها يا جعلها بألف قبّاس أو جعلها تذهب ولو هي كثيره

يا دباس قلبي كل ما هب نسناس شرقيةٍ هبت بقلبي سعيرة

والحال يا فرز الوغى مسّها الباس عليك يا ناطح وجيه المغيره

اغصون قلبي يا فتى الجود يبّاس غادٍ أنا يا أبوك كني هشيره

من شافني يقول ذا فيه لساس واللي برى حالي إلهي خبيره

لا وعلى من قبل قطّاع الأنفاس ومفارق الدنيا يجينا بشيره

عسى يطق الباب والناس غطّاس يا والي القدرة عليك تغبيره

وصلاة ربي عد ما هب نسناس على النبي عدة حقوق المطيرة

وبعد أن وصلت الرسالة التي هي القصيدة إلى الابن ندم على تفريطه، وفعزم على

مودة، وأرسل هذه القصيدة لوالده يخبره بأنه سيعود، قال دباس:

حي الجواب اللي لفانا من الراس جابه غلام ما توانا مسيره

أهلاً هلا عد ما حبك قرطاس أو ما كتب فوقه بيوتٍ شطيرة

جواب من هو لي موبٍ من الناس أبوي ما يوصف حلي لغيره

فرز الوفى كنه علي والوكرقرناس ... أقــروم ربعه كلها تستشيره

دليل عيرات إلى هبّ نسناس ... ثم أدلهم الجو ومابه ذخيرة

مهفي الغنم لأهل الركايب والأفراس ... لا روّحــوا له و عليهم قصيره

راعي معاميل بها العبد جلاس ... للبن يشرى بالسنين العسيرة

هذي بمركاها وهذي بمحماس ... وهذي يصبه للوجيه السفيرة

واخلاف ذا يا راكباً فوق عرماس ... مأمونةٍ من نقوة الهجن عيرة

حمراً وهي في سنها وقم الأسداس ... متوسط لافطرٍ ولاهي صغيرة

ماهي لحوح راكبه بالعصا قاس ... حرم عليها غير شيل النقيرة

والخرج هو وابيوت قيلٍ بقرطاس ... مع مزهب الأيام ما هي كثيره

وفوقه غلام منوته قطع الأرماس ... لو هو بليلٍ ما تغير نظيره

وإليا لفيت الدار فاجهر بالاحساس ... وبلّغ سلامي كل ذيك العشيره

واختص أبوي اللي نفل جملة الناس ... وخصّه بعلمٍ وقل تراني بشيره

إليا نجى الـعرض يا بوي لاباس ... إن كان تشكي الضيم فأنا أسيره

وإن سائلك عني تراني بنوماس ... وأنا أحمد اللي ماتوسلت غيرة

المدح لو يشترى شريناه بأكياس ... بأموالنا نرخص ندور ستيرة

مطرق افرنجي مضاريبه الراس ... ومصلبخ جبته عساني ذخيره

أبغيه للي حادينك على الساس ... أهل النمايم والحكايا الكثيرة

ربعٍ نووا فيك الردى والتخساس ... مهبول يا للي قال غايب عشيره

على دين لأودع الجمع ينحاس ... لين العشير ايقوم يلعن عشيره

يا ابوي أنا مارحت لكيفة الراس   مع ذا و لاني في سفاهٍ وغيره

إمّا سكنت الدار من غير هوجاس   ولا نعاف الدار ونـدور غيره

كله لعينـا كلمةٍ قلت يا دبـاس   تشكي وأنا دوني ابحور غزيره

خذ لك يمين الشرع قطّاع الأنفاس   أنه فلا جتني اعلـوم بصيرة

إن كان تشكي الضيق ياأبوي لاباس   جاك الفرج يا أبوي هو والبريره

يا مسندي ياأبوي شوف أوكد الناس   ثم انشده قل: ويش هو في مسيره

إن كان مايفرح صديقك بنوماس   تحرم علينا اللي نهوده صغيرة

مدلول مجهول زهى زين الألباس   بنت الذي يثني إليا جت كسيره

أبغي عسى ا لله يبرد القلب يا ناس   من لاهب شبت بقلبي سعيرة

ومن كان له غائبٍ فلا يقطع الياس   إن قدّر ا لله جاب علمه بشيره

وهذه القصيدة لبندر بن سرور القسامي العتيبي ، وقد سارت بعض أبياتها مع النـاس سير الأمثال وهي من الشعر الحديث ،يقول فيها بندر:

يا ا لله يا جـال الأمور المهمـة   تجلا وهج قلـبٍ برا حال راعيـه

البر دجته والبحر رحت يـمـه   يقطعك يا حظ على ا لله مساعـيه

يوم أن ولد اللاش رزقه على أمه   رزقي على اللي ميت القشع يحييه

يا مل قلبٍ كـل ما مات همـه   دارت دوليب الدهر لين تحييه

فـراق شمل الناس عيًا يلمه   وقـت يشيب الراس شايةٍ فيه

أحدٍ إذا نام حـط راسه بكمه   وأحدٍ تخم النوم عينه وتخطيه

وأحدٍ يحاول بالردى بنت عـمه   وأحدٍ يراعي ستر عذرى عوانيـة

مانـــي وأنـــا بنـــدر ببياع دمه يقطعــك يا بيـــاع دمه ومهفيه

اللـــي يبيـّــع لابســـات الأزمة ثورٍ يبا بيض الرعابيب تغنيه

يحزن ليا جت ليلة الدور يمه يرضَى بسوق المال في أخوه وفي أبيه

خطـــو البخيل اللي يكبِّر معمه يقرأ الكتاب وواجـب ا لله يخليه

إما هـرج لك في رفيقك بنمـة وإلا عطا و أمه تضيِّع هقاويه

أنشدك يا اللي كل فرضٍ تتمـه تقرا الكتاب وكل فرضٍ تصليه

ويش القليب اللي غميق مجمه ما فاد غرسه ماه عطشَى سوانيه ؟

تخالـــف الأنظـــار شرقٍ ويمه وكل هدف رآيه من الناس مرضيه

سمٍّ السبب يا عـــارف عنه سمه سم السبب يا عارفه قبل أسميه

وهذه القصيدة لغازي بن عضيب الدعجاني العتيبي[1]، يشتكي فيها من جور الزمان ويفتخر بنفسه، ويثني على عبد العزيز بن ماضي أمير روضة سدير عندما ســاعده في مشكلة حصلت عليه سنة ١٣٥٢هـ، يقول غازي.

واعذابي من غرابيل الزماني حتت المزهب وقربتنا رديــه

والصديق من العدو اليوم بانــي مثل ابن ماضي ومعروفه عـليـه

يا أهل الهجن المراديم السمانــي خبروا بي عند سبيان الحميه

في عيال العود ذربين اليمانــي مكرمين الضيف يوم المعسريــه

من نشدني قلت ماني بدعجاني من يمش الوسم عن خد المطيه

ليت جدي من صليب أهل الهواني كان لانشره ولا يشـره عليه

---

[1] ـ محمد العصيمي: شعراء عتيبة ٢ / ٥٣٩ ـ ٥٤٠

يازبون الحرد يا هيف السماني   من زبنكم عده ا لله في عليتي[1]

مزبن اللي قطعت عنه العواني   دام راسك حي فعظامي قويه

ما ندوبح في الغبا نعطي البياني   لازبنت قطلن مالي في رحيه

من ورد بحبالكم شرب اسمهاني   ما يجلـي كود مقطوع الدنيه

ولن طويت الياس من كل المعاني   اقطع الفرجة وأنا نفسـي قويه

ضربوا كوري على بنت العماني   والديار اللي نبيها في يديه

ما ركب بأكوارهن خطو الهداني   لو أرد الشور له ضيِّم عليَّه

ما عليها إلا المشوك والأمانـي   والخوي اللي يفرج عن خويه

ما فزعت إلا بحرٍ صيرماني   مانكرته لين نورني سميه

وهذه أبيات للشاعر مهنا عبد العزيز المهنا مـن آل زيـد مـن سكان الدوادمي، وهو شاعر مجيد، رقيق الشعر حلو الأسلوب، وأهم أغراض شعره الغزل، والمديح، وتبرز في شعره العاطفة الوطنية، وقضايا المسلمين. ومن ذلك قوله في حرب رمضان بـين العرب، وإسرائيل عام ١٣٩٣هـ:

ترى الدين مرجعناولا بالإسلام اشكوك   دستورنا القرآن ومن ا لله مبريه

ترى القدس يا إسرائيل عنها العرب عدوك   ينال الفخر جيش السعودي وسوريه

وقوله في المديح:

قواعد المملكة ماهي اسمنت وحديـد   قواعد المملكة أنتم تعرفونهـا

قواعد المملكة إليا صار يوم شديـد   إخوان نورة هل العوجا يفكونها

---

[1] ـ علية: جبل جنوبي نجد.

يا ونتي ونة يتيم ولاه أربع حريم   مات أبوه كل الأربع بقن في نمن

يا الله إني طالبك تلطف بحال اليتيم   اليتيم أقشر وجله البلا من عنن

إن بغى له حاجة تضربه ضرب الغشيم   وإن غدت عنه العصا بيبيها خنن

قبل موتة والده عند عمّاته حشيم   وعقب موتة والده يجزعك من ونن

يجزع الجيران من ونته عقب العتيم   مثل هرش ياترى بانت في عنن

الصبائب جادل وا الله إن شكله عديم   يبلغ العشرين عمره على أول زمن

قلت من أي ديرة قال من أهل القصيم   ياعارفين الجدي لابتي ترامها بعن

قلت ويش جابك يمنا قال جابني رب حكيم   جادل ريح النفل والخزامى خمن

تل قلبي تل غربٍ على ملحٍ هميم   لا نهمها توصل الغرب عالي قمن

ويش أسوى راح قلبي مثل زرع حطيم   انتبه يا هاني القلب حالي سمن

ولا ترافـق ياترى كـل مشّاي نعيم   رافق اللي إليا نخيته تنوس همن

ياجعل مَن لامني ما يعرف المستقيم   جعله الله يا سعد مانح في جنن

ولا انتقد راع الهوى كود رجل غشيم   الهوى عـد وكل شرب من جمن

وقال عسكر القنامي العتيبي متغزلاً وقد أملاها عليّ مهنا عبد العزيز المهنا من أهل

ي

يا ونـة ونيتهـا مغربيـة   ونة يتيم حوير عقب الأطيار

أمه رنوم وبنت بكر اغنويـة   عقب اتسى جابه من الرب مقدار

لا وا الله اللي حرق الود فيه   تحريـق أهل هجن حفايا وضمار

تحرق أهل هجنٍ مع الجرهديـة	وعصيهم راحت على أرقابها كسار
إن جن مع الجوبة تواشل دميه	وجنبه عن ورد مياه الانجار
لو الجدا في بعدها ما عليه	هي تاصله فج المناكب عن الزار
العيـن عين النادر الوحوحية	تبغي العشا وهي على كف صقار
أدنـى منازلها بهضبة طمـية	وأقصى منازلها من النير ويسار



محتويـــات الكتـــاب

